المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

السنن الإلهية في المصائب والكوارث الكونية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستر

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور:

شريف الشيخ صالح الخطيب

إعداد الطالبة:

أميرة حامد معيش النمري

الرقم الجامعى

٤٣٠٨٨٢٤٥

العام الجامعي

١٤٣٤هـ/١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ
ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾. (التغابن: ١١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ
فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.
(الشورى: ٣٠)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا
فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن
نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحديد:
٢٢)

الملخص

"السنن الإلهية في المصائب والكوارث الكونية"

تقوم هذه الدراسة على تقعيد وتأصيل السنن الإلهية في المصائب والكوارث الكونية، مقارنة بين التفسيرات الدينية والتفسيرات المادية؛ بُغية الوصول إلى الكشف عن أسبابها وأهدافها وغاياتها... .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة والتمهيد: خُصصت للحديث عن أهمية الموضوع، ومنهج الدراسة، وخطة البحث. أما **التمهيد:** فكان للحديث عن تحرير المفاهيم والمصطلحات الرئيسة في الرسالة، وللحديث عن علاقة المصائب بسلوك البشر.

الفصل الأول: تحدثت فيه عن التفسيرات الدينية والمادية للمصائب والكوارث الطبيعية.

الفصل الثاني: خصصته للحديث عن علاقة المصائب بالعقاب الإلهي، مع ذكر النماذج من القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ.

الفصل الثالث: تحدثت فيه عن علاقة المصائب بالابتلاء، وحكمته وأسباب رفعه.

الفصل الرابع: تم تخصيصه للحديث عن الشبهات المثارة حول الكوارث الكونية، مع ذكر الردود عليها.

أما أبرز نتائج البحث وتوصياته، فهي كالآتي:

- إن المصائب والكوارث الكونية بكافة أشكالها – الزلازل، الرياح، الأمطار، الطوفان، الرعد، البرق– من فعل الله ﷻ، يصيب بها من يشاء من عباده، العاصي والمؤمن على حد سواء، فهي عقاب للعاصين، وابتلاء للمؤمنين.
- يقوم التفسير المادي للمصائب والكوارث الطبيعية، على أنها ناتجة عن فعل الطبيعة، ومرتبطة بأسبابها العلمية.

أما التوصيات: فإني أوصي الباحثين بضرورة مواصلة الاهتمام بالسنن الكونية، والكشف عن جوانبها في القرآن الكريم والسنة النبوية.

هذا والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم

انتهى

Abstract

"The divinity norms regarding to the cosmic disasters and catastrophes "

This study based on rooting and establishing the divinity curriculums in the cosmic disasters and catastrophes ,making a comparison between the religious interpretations and physical interpretations in order to reveal its causes,goals and objectives .

The research topic needs to be divided into introduction,smoothening,four chapters,conclusions and indexes .

The introduction part was devoted to talk about the importance of the subject ,methodology of the study and the research plan ,while the smoothening was talking about editing the main concepts and terminology in the study ,also it's talking about how the disasters effect on the behavior of humans.

In Chapter I We talked about religious interpretations and physical interpretations of the catastrophes and cosmic disasters. Chapter II was devoted to talk about relationship between the catastrophe and the divine punishment, mentioning models from the holly Quran and the Sunnah of the Prophet (pease be upon him).

Chapter III talked about the relationship between the disaster and the plague ,the philosophy of why its happened and what makes it stop.

Chapter IV was devoted to talk about the suspicious moves around the cosmic disasters,mentioning replies for each Suspicion.

The main findings and recommendations of this research are:

The cosmic calamities and disasters of all kinds: earthquakes, wind, rain, flood, thunder, lightning are actions from Allah, infects all human kinds , sinner and believer alike.

They are punishment for Insurgent and a plague for the believers.

The physical interpretation of calamities and cosmic disasters based on which ,they are results of natural acts ,and they have there own scientific reasons ,

Recommendations: I recommend that the researchers need to pay more attention to the cosmic norms , and revealing its aspects in the Holy Quran and the Sunnah.

This, and Allah knows more, and may Allah bless our Prophet Muhammad (pease be upon him) and his family and his followers.

الإهداء

إلى القلب الحنون العامر بالدفء والرحمة... إلى المشاعر الفيّاضة...

أبي الحبيب

إلى القلب المعطاء والإنسانية النادرة، إلى من علمتني الحب والعطاء...

أمي الحبيبة

إلى من كانوا لي سندًا وعضدًا، إلى الذين رأيت في عيونهم الفرحة بنجاحي...

إخوتي وأخواتي

إلى الذين كانوا يشدون أزري، إلى الذين لم يبخلوا على بوقتهم وجهدهم وتجاربهم.

صديقاتي وزميلاتي

إليهم جميعًا أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

الباحثة

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، المتفضل بنعمه، والمتعالي بعظمته، القائل في كتابه العزيز: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ (سورة البقرة: ١٥٣)

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ، القائل: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"(1)... وبعد:

الشكر كل الشكر، إلى الصرح العلمي الشامخ جامعة أم القرى، التي تلقيت في رحابها العلوم والمعارف، ولجميع أساتذة قسم العقيدة.

كما أود أن أقدم جزيل الشكر، وفائق التقدير والامتنان، إلى سعادة الدكتورة: هند القثامي لجهودها خلال فترة الارشاد كما أود أن أشكر سعادة الدكتور: شريف الشيخ صالح الخطيب لإتاحة الفرصة لي بالتتلمذ على يديه، ولقبوله الإشراف على هذا البحث، حيث كان لي خير عون؛ فكان له الفضل الكبير في توجيهي. وفقه الله للخير، وجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول إلى كل من سعادة الأستاذ الدكتور: سعود عبد العزيز العريفي، وسعادة الأستاذ الدكتور: بهنسي أبو النجا ،على ما بذلاه من جهد في قراءة البحث وتقويمه، حيث كان لهما دور بارز في إثراء البحث، من خلال توجيهاتهم القيمة، ونصائحهم السديدة.

كما أتقدم بجميل الشكر وخالص العرفان إلى والديّ الغاليين، الذين لم يبخلا عليّ بالدعاء والعطاء، وإلى كل الذين ساعدوني بآرائهم السديدة، وتوجيهاتهم المخلصة، ومواقفهم الطيبة، والتي كان لها عظيم الأثر في نفسي وفي البحث، فلهم مني جميعًا عظيم الشكر والتقدير.

١-المسند أحمد بن حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة ١٩٩٥، حديث رقم: ٧٩٢٦/ ٦١ اسناده صحيح

وفي الختام، أدعو الله أن ينال هذا الجهد رضاه ﷻ، ثم استحسان ورضا لجنة الحكم والمناقشة. فإن كان صوابًا فمن الله ﷻ، وإن اعتراه النقص أو الخلل فمن نفسي والشيطان...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحثة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، المبتلي عباده المؤمنين، والمملي لعباده المستكبرين الجاحدين، نحمده تعالى في السرّاء والضرّاء، ولا نملك إلا حمده وشكره عند كل نِعمة أو بلاء، ما أصابنا من نعمة فمن جوده وكرمه، وما أصابنا من سوء فبما كسبت أيدينا ويعفو عن كثير، ونشهد أن لا إله إلا الله، آمنّا به ﷻ وحده، وكفرنا بالطاغوت جملة، ونشهد أنّ محمداً بن عبد الله العربي القرشي، رسول من الله إلى النّاس كافة، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلوات ربنا وسلامه عليه، وعلى آله المهتدين بهديه، ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد

فإن الكون مخلوق لله ﷻ، وهو يسير وفق النواميس والسنن الإلهية، التي وهبها الله الفاعلية وفقًا لقانون ثابت، وموازين محددة، فيقول تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القمر: ٤٩)، فإذا اختلت تلك الموازين اختل الكون، وظهرت فيه الاضطرابات المختلفة الأشكال والمظاهر.

ويمكن النظر للسنن الإلهية من جانبين، الجانب الأول: وهو المتعلق بالقوانين الحاكمة للكون، والتي جعلها الله حاكمًا لحركة الكون واستقراره، وأداء كل عنصر من أجرام وكواكب، وبحار وجبال لمهمته المخلوق لأجلها، والجانب الثاني: تلك السنن المتعلقة بالسلوك الإنساني في علاقته مع الله ﷷ، وفي علاقته بالكون، "فقد خلق الله تعالى الكون والحياة، وسيرهما وفق سنن ثابتة تحكم سيرهما في كلا الجانبين، جانب الحياة الطبيعية وجانب الحياة الإنسانية، فأما

الجانب الأول: فتحكمه سنن الله الكونية التي يقصد بها منهج الله في تسيير الكون وعمارته وحكمه، أما الجانب الثاني: فتحكمه سنن الله في الحياة الإنسانية، ويقصد بها نواميس الله في سير الحياة الإنسانية، ونواميسه في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين وفق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله".[1]

وحيث أن كلا القانونين من مخلوقات الله ﷻ؛ فإنهما يجتمعان في الصفات التي وضعها الله ﷻ فيهما، وأهم تلك الصفات الثبات والاستمرار، بحيث لا يتغيرا ولا يتبدلا، كما أنهما يرتبطان بعضهما ببعض، فإذا اختل أحد الجوانب اختل الآخر، وما دام القانون الحاكم للحياة الطبيعية يقوم على قوانين فيزيائية، فإنها لا تختل إلا باختلال الجانب الثاني المتعلق بالسلوك الإنساني، فإذا خرج الإنسان عن منهج الله ﷻ الذي يُصلح من شأنه، فإنه بالتالي يؤدي إلى اختلال.

وقد اخذت السنن في الحياة الإنسانية، الحظ الأوفر من وقت وجهد الباحثين والدارسين، ولم تأخذ السنن الكونية حظها من الدراسة والبحث، ومن هنا فقد تمّ توجيهي إلى ضرورة الحديث عن هذا الجانب، الذي يعتبر فقيرًا -بحثًا ودراسة- إذا ما قورن بالجانب الأول، وقد رأى مشايخي وأساتذتي الكرام أن نتخذ للدراسة العنوان الآتي: **"السنن الإلهية في المصائب والكوارث الكونية"**.

أما عن أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومشكلة الدراسة، ومنهج البحث، وهيكل الدراسة ، فهي على النحو الاتي:

---

[1] السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، الدار العثمانية، عمان، ٢٠٠٤م، ١/٥.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

تكمن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، فيما يأتي:

أولاً: البحث عن القوة الفاعلة والمؤثرة، التي تقف وراء حدوث الكوارث والمصائب الكونية، وتتبع ما قاله الدينيون والماديون من آراء في هذه المسألة الخطيرة، التي هي من صميم عقيدة المسلم.

ثانيًا: البحث عن العلل والحكم من وراء المصائب والكوارث الكونية، سواء ما يتعلق منها بالكافر الجاحد، أو المؤمن الموحد.

ثالثًا: بيان سنن الله ﷻ وخصائصها المتعلقة بالمصائب والكوارث الكونية، وتأصيل الأصول، وتقعيد القواعد التي تخص هذا الجانب العلمي.

ثانيًا: مشكلة الدراسة.

شهدت السنوات الأخيرة العديد من الكوارث والمصائب التي حلت بكثير من دول العالم، والتي تناقلتها وسائل الإعلام المختلفة، مثل إعصار تسونامي الذي حدث باليابان، وما شهدته جدة من أمطار غزيرة، وغيرها من الأحداث التي مرت بالعالم؛ وأدت إلى هلاك العديد من الأشخاص، وأضرار كثيرة لحقت بالممتلكات العامة والخاصة، مما شكل مشاهد مروعة تدعو للرهبة والخوف، وتثير العديد من الأسئلة المتعلقة بتلك الكوارث على الصعيد العقدي.

وقد تعددت التفسيرات حول طبيعة حدوث تلك الكوارث، فمنهم من عزاها إلى أنها مجرد ظواهر طبيعية، وبالتالي فقد ذهبوا إلى أنها ناتجة عن "غضب الطبيعة"، وأمثالها من العبارات التي لا تعطي معنى عقائدي، يساعد الإنسان

على تجاوز تلك المحن، والمصائب التي حلت به.

وقد أثارت تلك العبارات والمصطلحات المستخدمة، حفيظة الغيورين على الدين والعقيدة الإسلامية، بالدفاع عنها وتوضيح أسبابها الدينية، وما يجب على الإنسان من التحلي بالصبر، والرضا مع العمل على إزالة آثارها، وتخفيف آلام المصابين، وتضامن المجتمع من أجل تجاوز المحنة، والتوبة إلى الله والتضرع إليه، لحماية البلاد من تلك الكوارث والمصائب.

ومن هنا فقد ظهر الاختلاف بين الاتجاهات المادية، التي تقف في تفسيرها للظواهر الطبيعية، عند حدود الأسباب العلمية التي بينها العلم الحديث، بما يثيرونه من شبهات حول العقيدة الإسلامية؛ بهدف النيل منها وبيان تخلف المتمسكين بها، وبين المتمسكين بالاعتقاد الديني من أنها مقدرة، وتقع على الناس نتيجة الذنوب والمعاصي التي يرتكبونها.

وهذا ما دعاني إلى القيام بتلك الدراسة؛ لبيان نظرة العقيدة الإسلامية إلى تلك الأحداث وتفسيرها، والعلاقة بين الكوارث والمصائب الكونية، وبين أفعال الناس وما يرتكبونه من ذنوب.

ثالثًا: أهداف البحث.

يسعى البحث بشكل عام، إلى بيان العقيدة الإسلامية الصحيحة في المصائب والكوارث الكونية، مقارنة بالعقائد الأخرى سواء الدينية أو المادية منها، ويتضمن ذلك تحقيق الأهداف التالية:

١. بيان العقيدة الإسلامية في المصائب والكوارث الكونية.

٢. بيان العقائد الكتابية والدينية الوثنية في المصائب والكوارث الكونية.

٣. بيان التفسيرات المادية في المصائب والكوارث الكونية.

٤. المقارنة بين العقيدة الإسلامية، والاتجاهات الأخرى فيما يخص المصائب والكوارث الكونية.

٥. بيان بعض ما ورد من شبهات حول العقيدة الإسلامية، فيما يخص المصائب والكوارث الكونية، والرد عليها.

رابعًا: منهج الدراسة.

تقوم الدراسة الحالية على المنهج الاستقرائي التحليلي، بالرجوع إلى المصادر الأصيلة، والتي يُعد القرآن الكريم والسنة النبوية أهمهما، وتفاسير المفسرين، وأقوال علماء الإسلام في تلك القضايا، وسوف أتّبع الضوابط التالية في إعداد الدراسة:

١. ذكر أرقام الآيات وسورها.

٢. اللجوء إلى كتب التفسير المعتمدة لدى أهل السنة والجماعة.

٣. تخريج الأحاديث النبوية من مظانها الأصيلة المشهورة.

٤. الرجوع إلى المصادر الأصيلة ما أمكن ذلك.

٥. .نسبة الأقوال والآراء إلى أصحابها.

٦. إبداء رأيي ووجهة نظري المتواضعة، في المواقع التي تستدعي ذلك.

خامسًا: هيكل الدراسة.

سوف تشمل الدراسة إن شاء الله الفصول والمباحث الآتية:

الفصل التمهيدي: الأسس اللغوية والشرعية للمصائب والكوارث الكونية، وعلاقتها بسلوك البشر، وسيتم الحديث فيه عن الأمور الآتية:

- **أولاً:** تعريف السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.
- **ثانيًا:** تعريف المصيبة في اللغة والاصطلاح.
- **ثالثًا:** تعريف الكوارث الكونية في اللغة والاصطلاح.
- **رابعًا:** علاقة السنن الإلهية بسلوك البشر.
- **خامسًا:** المفاهيم الخاطئة وصلتها بالقضاء والقدر.

الفصل الأول: المصائب والكوارث الكونية بين التفسير الديني والتفسير المادي، ويتكون من ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** أنواع المصائب والكوارث الكونية.
- **المبحث الثاني:** التفسير المادي للمصائب والكوارث الكونية.
- **المبحث الثالث:** التفسير الديني للمصائب والكوارث الكونية.

الفصل الثاني: المصائب وعلاقتها بالعقوبات الإلهية، ويتكون من ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** العقوبات الإلهية مفهومها وأنواعها.
- **المبحث الثاني:** نماذج من العقوبات القدرية من خلال القصص القرآني.
- **المبحث الثالث:** خصائص سنة الله سبحانه وتعالى في العقاب.

الفصل الثالث: المصائب والكوارث الكونية وعلاقتها بالابتلاء، ويتكون من تمهيد ومبحثين:

- **التمهيد:** التعريف اللغوي والاصطلاحي للابتلاء.
- **المبحث الأول:** تقرير سنة الابتلاء.
- **المبحث الثاني:** حكمة الابتلاء وأسباب رفعه.

الفصل الرابع: الشبهات المثارة حول وقوع المصائب والكوارث الكونية، ويتكون من خمسة مباحث:

- **المبحث الأول:** الكوارث لها أسبابها الطبيعية.
- **المبحث الثاني:** إذا كان الله ﷻ يتصف بالكمال والجمال، فكيف يخلق الكراهية والقبح والشر؟
- **المبحث الثالث:** إصابة الكوارث لدول غنية.
- **المبحث الرابع:** الكوارث ظاهرة كونية طبيعية محضة ثابتة، لا علاقة لها بأحوال الناس.
- **المبحث الخامس:** إذا كانت الزلازل عقوبات، فلم يُصاب بها المسلمون والكافرون على حد سواء؟

- الخاتمة (النتائج والتوصيات).
- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- المصادر والمراجع.
- فهرس المحتويات.

الفصل التمهيدي:

الأسس اللغوية والشرعية للمصائب والكوارث الكونية، وعلاقتها بسلوك البشر

وسوف يتم الحديث فيه عن النقاط الآتية:

أولاً: تعريف السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: تعريف المصيبة في اللغة والاصطلاح.

ثالثًا: تعريف الكوارث الكونية في اللغة والاصطلاح.

رابعًا: علاقة السنن الإلهية بسلوك البشر.

خامسًا: المفاهيم الخاطئة وصلتها بالقضاء والقدر.

تمهيد:

قبل أن أدلف إلى الحديث عن مباحث ومفردات الدراسة التي أقدم بين يديها، يلزمني أن أحرِّر المفاهيم والمصطلحات الواردة في العنوان الذي اتخذته لها؛ حتى لا يتم الخلط بين المصطلحات، وبالتالي يقع الخلاف وتتسع هوته، وكذلك لا بد من الإشارة إلى علاقة السنن الكونية بسلوك البشر، أما عن عنوان الرسالة، فهو: **"السنن الإلهية في المصائب والكوارث الكونية"**

أولاً: تعريف السنن الإلهية في اللغة والاصطلاح.

يتكون المصطلح من كلمتين هما "سنة" و "إلهية".

أ. تعريف السنن في اللغة.

السنن: الطريقة، يقال: استقام فلان على سنن واحد، ويُقال: امض على سَننك وسُننك، أي على وجهك، والسنة: السيرة.[1] وسن الله سنة، أي بين طريقًا قويمًا، قال الله ﷻ: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأحزاب:٣٨)، نصب سنة على إرادة الفعل.[2]

ب. تعريف "الإلهية" في اللغة.

هي كلمة "إله" مضاف إليها ياء النسب، ومؤنثة لتأنيث كلمة السنن، و "أله" بالفتح أي عبد عبادة، والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد".[3]

والإله: الله ﷻ، وكل ما اتخذ من دونه معبودًا إله عند متخذه، والجمع

---

[1] الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م، ص ٢١٣٨ – ٢١٣٩.

[2] لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي، دار صادر ، بيروت، د.ت، ٢٢٥/١٣.

[3] الصحاح ، الجوهري ، مرجع سابق، ص٣٢٢٤.

آلهة.[1] وبناء على ما سبق يمكن تعريف "السنة الإلهية" لغويًا بأنها: الطرق التي يضعها الله ﷻ لسير الحياة.

ج. تعريف "السنن الإلهية" في الاصطلاح.

لا يختلف التعريف الاصطلاحي كثيرًا عن التعريف اللغوي؛ حيث تعرّف السنة الإلهية في الاصطلاح بأنها: "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر، بناءً على سلوكهم، وأفعالهم، وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة.[2]

ثانيًا: تعريف المصيبة في اللغة والاصطلاح.

أ. التعريف اللغوي.

المصيبة اسم فاعل من الفعل الرباعي أصاب، و"الإصابة الإتيان بالصواب وإرادته،...والصابة: المصيبة،كالمصابة والمصوبة، والضعف في العقل".[3]

و"المصيبة ما أصابك من الدهر،... والجمع مصاوب، ومصائب، والأخيرة على غير قياس"[4]. وقال أَحمدُ بن يحيى: "مُصِيبَة كانت في الأَصل مُصْوِبة"[5].

وصاب السهم يصيب، وسهم صيوب، والجمع صُيبٌ.[6] والمصيبة:

---

[1] لسان العرب، ابن منظور مرجع سابق، ١٣/ ٤٦٥.

[2] السنن الإلهية في الأمم والجماعات في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٣.

[3] القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٠٦

[4] تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق علي هلالي،مطبعة حكومة الكويت، ٢٠٠٤م، ٣/ ٢١٥.

[5] لسان العرب، ابن منظور ،مرجع سابق ، ١/ ٥٣٥.

[6] المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،

الشدة والبلية، جمعها مصائب، ومصاوب، ومصيبات[1]، وورد في المصيبَة أنها: "كلُّ مَكْروهٍ يَحُلُّ بالإنسان".[2]

ب. التعريف الاصطلاحي.

يذكر الراغب الأصفهاني في المفردات: أن "المصيبة أصلها في الرمية، ثم اختصت بالنائبة، نحو: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ (آل عمران: ١٦٥)، ﴿فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾(النساء: ٦٢). وأصاب جاء في الخير والشر، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ٥٠﴾ (التوبة: ٥٠). قال بعضهم: "الإصابة في الخير اعتباراً بالصوب أي بالمطر، وفي الشر اعتباراً بإصابة السهم، وكلاهما يرجعان إلى أصل"[3]، ويعرفها السمرقندي بأنها: "الشدة والنكبة والهزيمة"[4]، ويذكر الطبري أن المصيبة هي: "النقمة من الله".[5]

والمصيبة إما أن يقتصر أثرها على شخص، أو مجموعة محدودة من الأشخاص،

لبنا ن، ٨/٣٦٦

[1] المعجم الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص ٧٤٦.

[2] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤م.

[3] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، د.ت، ٢/ ٣٧٧.

[4] بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق وتعليق، علي محمد معوض و أحمد عبد الموجود وزكريا عبد المجيد النوبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢/٥٥.

[5] تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ٢٠٠١م، ٧/٣٦.

وعند ذلك تكون مصيبة خاصة، أو تشمل جماعة كبيرة من الناس، وعند ذلك تكون المصيبة عامة، وقد ظهر لنا من الاطلاع على كتب الفقهاء، أن الكوارث مصيبه عامه بهذا المعنى. قال ﷺ: "إذا أنزل الله بقوم عذابًا أصاب من كان فيهم، ثم بعثوا على أعمالهم"[1]، أي أنه "إذا أنزل الله عقوبة لهم على سيئ أعمالهم، أصاب من كان فيهم ممن ليس على رأيهم، ثم بعث كل واحد منهم على حسب عمله، إن كان صالحًا فعقباه صالحة وإلا فسيئة، فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين ونقمة على الفاسقين"[2]. فإن عم العذاب الجميع أطلق عليه كارثة جماعية.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي: من الملاحظ أن المعنيين —اللغوي والاصطلاحي- متفقان إلى حد كبير، فلا يخرج معنى المصيبة في كليهما عن الشدة والبلية، والمكروه الذي يحل بالمصُوبين.

ثالثًا: تعريف الكوارث الكونية في اللغة والاصطلاح.

أ. التعريف اللغوي.

الكارث: المسبب الحزن الشديد، والكارثة المصيبة، وجمعها "كوارث".[3]

و"كرثه الأمر إذا بلغ منه المشقة"[4]. و"كرثه الأمر يكرثه، ويكرثه كرثًا، وأكرثه: ساءه واشتد عليه، وبلغ منه المشقة... وكل ما أثقلك فقد كرثك، ويقال: ما

---

[1] الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ ، كتاب الفتن، باب إذا أنزل الله بقوم عذابا، حديث رقم ٧١٠٨، ٤/ ٣٢٢

٢ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، الرياض، ١٤٢١هـ، ١٣/٦٠.

[3] المعجم الرائد ، جبران مسعود، مرجع سابق ، ص ٦٥٤

[4] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م، ٥/١٧٥.

أكرثني هذا الأمر أي ما بلغ مني مشقة".[1]

و"كرثه الغم يكرثه إذا اشتد عليه، وبلغ منه المشقة"[2]. وانكرث الحب: انقطع، وما أكترثُ له: ما أبالي به، وأمر كريث: كارث.[3] والكارثة: النازلة العظيمة والشدة، الجمع كوارث، ويقال: كرثته الكوارث أقلقته.[4]

ويقال: امر كريث، أي كارث شديد، وفي الأساس: كرثه الأمر: حركه، وأراك لا تكترث له: لا تتحرك له ولا تعبأ به.[5]

ب. التعريف الاصطلاحي.

إن ما يميز الكارثة هو اتساع نطاق أثرها التدميري، وهو ما يتضح من التعريف اللغوي، والذي يغلب عليه طابع الشمول، وبالتالي يمكن القول: إن الكارثة هي مصيبة عامة، أي أن آثارها تشمل جماعة كثيرة، كمدينة أو دولة بالكامل.

تعرف هيئة الأمم المتحدة الكوارث بأنها: "حالة مفجعة يتاثر من جرائها نمط الحياة اليومية فجأة، ويصبح الناس بدون مساعدة ويعانون من ويلاتها، ويصيرون في حاجة إلى حماية وملابس وملجأ، وعناية طبية واجتماعية واحتياجات الحياة الضرورية الأخرى".[6]

ويُشار إلى أن الكارثة لا تقتصر على إحداث وفيات واسعة النطاق، بل

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق ٢/ ١٨٠.

[2] الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، مرجع سابق، ١/ ٢٩٠.

[3] القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مرجع سابق، ص ١٧٤.

[4] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ،مرجع سابق، ص ٧٨٢.

[5] تاج العروس، الزبيدي، مرجع سابق، ٥/٣٣٣.

[6] الكوارث الكونية في بلاد الشام، محمد حمزة محمد صلاح، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، ص ٣

تتعدى ذلك لتسبب تمزقًا اجتماعيًا جسيمًا، وتفشي الأمراض الوبائية والمجاعات، التي تجعل الناجين منها معتمدين اعتمادًا كاملًا على الإغاثة الخارجية.(١)

وتعرف -أيضاً- بأنها: "حالة خطيرة، وقوة قاهرة، تحدث إما بفعل الطبيعة، أو بفعل الإنسان، وهي تحدث دون سابق إنذار، أو بوجود إنذار مسبق، ورقابة ضعيفة وغير فعالة، كما أنها تهدد بحدوث وفيات، وإصابات وأضرار بالممتلكات".(٢)

ومنهم من عرفها بأنها: "حدث أو واقعة ناتجة عن قوى الطبيعة أو بفعل الإنسان، سواء كان إراديًا أو لا إراديًا، وتسبب أضرارًا فادحة في الأرواح والممتلكات أو في كليهما، وتلحق أضرارًا لقطاع كبير من الناس، وتتطلب مواجهتها عملاً يفوق إمكاناتهم المتاحة، وتتطلب تدخلًا سريعًا من جهات متعددة، تملك من الوسائل والإمكانات ما يسمح بوقاية أفراد المجتمع قبل وقوعها، ومكافحتها أثناء وقوعها، وإزالة تأثيراتها بعد وقوعها".(٣)

العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي: من الملاحظ أن هناك قدرًا مشتركًا بين المعنيين، فهما يتفقان على أن الكارثة نازلة عظيمة وشدة كبيرة، غير أن المعنى الشرعي جاء أكثر تحديدًا وتفصيلاً، فقد بين أسبابها، وكيفية الوقاية منها، ومكافحة أضرارها.

---

١ تدبير الطوارئ الصحية في أعقاب الكوارث الطبيعية، منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط، الإسكندرية، ص٣

٢ استخدام نظم المعلومات الجغرافية لدعم القرار في إدارة الكوارث، عرفان علي ؛ وسعد الله آغة القلعة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، ٢٢(١)، ص ٣٨

٣ الأسس النظرية والعلمية لإدارة الكوارث ومدى تطبيقها في إدارة الأزمة: دراسة تطبيقية على المديرية العامة للدفاع المدني بالرياض، أحمد محمد موسى الزهراني، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٧م، ص ١٠

رابعًا: علاقة السنن الإلهية بسلوك البشر.

يتضح من تعريف السنة الإلهية، في كونها الطريقة التي وضعها الله ﷻ، ليسير الكون بما فيه من مخلوقات، ومنها الإنسان بناءً على قوانينها ونظمها، ولذلك فإن الخروج عن المنهج الذي حدده الله تعالى للإنسان، في حياته يعد انتهاكًا لتلك القوانين، الأمر الذي يمكن القول أنه إحداث فساد للحياة الإنسانية، ومن المتعارف عليه في حياة البشر أن أي خروج عن قاعدة قانونية، يستوجب معه العقاب والذي ينفرد الشارع بتحديده تبعا لما يراه، وعلى ذلك فإن الخروج عن السنن الإلهية كالخروج عن القوانين، والنظم بين الناس يتبعه عقاب من الله ﷻ.

ومن هنا يرتبط وقوع المصائب، والكوارث الكونية التي تقع للناس بسلوكهم في الحياة، وخصوصًا فيما يتعلق بتمسكهم بالمنهج الإلهي، ويتضح ذلك كما ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٩٦﴾ (الأنعام: ٩٦)، أنه ﷻ يذكر ذلك عقب ذكره الأجرام العلوية، وما تضمنه من فلق الإصباح وجعل الليل مسكنا، وإجراء الشمس والقمر بحساب لا يعدو أحدهما عن الأخر، وتزيين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها، وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزته وعلمه، ليس أمرا اتفاقيا لا يمدح به فاعله ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية، ويتضح هذا في القرءان الكريم في سورة الشعراء بعد أن ذكر الله ﷻ قصص الأنبياء وقوم كل نبي عقب على كل قصة بالآية: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩﴾ (الشعراء: ٩)، فإن ما حكم به لرسله وأتباعهم ولأعدائهم صادر عن عزة ورحمة، فوضع الرحمة في محلها وانتقم من أعدائه بعزته، ونجى رسله وأتباعهم

برحمته، والحكمة الحاصلة من ذلك أمر مطلوب مقصود، وهي غاية الفعل لا أنها أمر اتفاقي.[1]

ومع أن الله ﷻ قضى بجعل الحساب والجزاء في يوم القيامة، فقد جرت سنته بالفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، في مواقف معينة لحكمة ربانية عالية، وذلك بإهلاك الظالمين ونجاة المؤمنين في الصراع بين الرسل وأعدائهم، دارت الدائرة على أهل الشقاوة، فمنهم من أغرقه الله، ومنهم من أهلكه بالريح أو بالصيحة أو بالرجفة، ومنهم من خسف به الأرض، ومنهم من مسخهم الله ﷻ قردة وخنازير، وهذا الهلاك الذي حل بأولئك الظالمين؛ إنما هو نكال للهالكين ونصرة للمؤمنين وعبرة للآخرين.[2]

وتلك سنة مطردة، استمرت فيما مضى، ومستمرة حتى الآن، وستظل ما دام هناك مخلوق مكلف قادر على إتيان الذنوب، فهي سنة ثابتة لا تتبدل ولا تتغير فيقول تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ (الأحزاب : ٦٢)، أي تحويلاً وتغييرًا.[3]

خامسًا: المفاهيم الخاطئة وصلتها بالقضاء والقدر.

بالرغم من التشابه بين القوانين التي تحكم حركة الكون الفيزيائية، والقوانين التي تحكم حركة الإنسان في الكون، مما قد يلتبس على البعض فيرى أنه من الضروري أن تحدث الأفعال المتشابهة نتائج متشابهة، إلا أنه يجب أن نفهم أنه لا

---

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، تحرير الحساني حسن عبد الله، دار التراث، القاهرة، د.ت، ص ٤٠٥.

[2] أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، سعيد محمد بابا سيلا، سلسلة إصدارات الحكمة ، ليدز بريطانيا، ٢٠٠٠م، ص ٨.

[3] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م ٢٣٦/١٧.

شيء يحكم أفعال الله ﷻ غير إرادته وحكمته المطلقة، وبالتالي فإنه بالرغم أن سنة الله في كونه أن المعاصي والذنوب تقتضي العقاب، وأن الإيمان والإخلاص يقتضي الحياة الآمنة من المصائب والكوارث، إلا أن كل ذلك يخضع لحكمة الله ﷻ التي يعجز البشر عن الإحاطة بها، فالخلط بين ما أريد بنا، وما أريد منا هو الذي يلبس الأمر ويوقع في المحذور، بالرغم أن الله هو الفعال لما يريد، الخالق لكل شيء الذي بيده ملكوت كل شيء، الذي له مقاليد السماوات والأرض، ولكنه تبارك وتعالى جعل لهذا الكون نواميس يسير عليها، وقوانين ينتظم بها، وإن كان هو ﷻ قادراً على خرق هذه النواميس وتلك القوانين، وإن كان أيضا لا يخرقها لكل أحد. [1]

وبالتالي فقد يذنب البعض ويمهلهم الله ﷻ لحكمته، فيظن البعض أن الذنب أمر عادي، فيعيش في اللهو ويبتعد عن منهج الله ﷻ، كما قد يرى البعض وقوع المصائب والكوارث بقوم مؤمنين، فيظن أن الإيمان لا يفيد؛ ومن هنا كان من الضروري التأكيد على أن سنة الله ﷻ مضطردة وثابتة، إلا أنه ﷻ قد يعطلها أو يؤخرها لحكمة يعلمها فتقع في الوقت والظروف التي حددها الله تعالى لها.

ومن جهة أخرى قد يُحمّل البعض القضاء والقدر تبعية سلوكه الإنساني، فيقول أنه كُتب عليه الذنب، كما كُتب عليه ما يصيبه من مصائب من جرائر ذلك الذنب، وأنه لم يكن ليذنب لو لم يكن ذلك الذنب مقدرا له، فيكون العقاب على ذنب لم يكن في مقدوره تجنبه، ومن الناس من يجتهد في العبادة والطاعة خوفا من البلاء، فإذا أصابته مصيبة نقم وعتب على القدر الذي يصيبه بالأذى رغم طاعته واجتهاده، يقول ابن تيمية –رحمه الله– عن طائفتين ضلا:

---

[1] الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار الوطن، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ١٤٣.

فريق آمنوا بالقدر وظنوا أن ذلك كاف في حصول المقصود فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه، وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم كما يطلبه المماليك، وهؤلاء جهلاء ضلال؛ فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا له، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم.[1]

وكلا الفريقين لم يفهم السنن الإلهية الجارية في الحياة، فالأوامر والنواهي يمثلان المنهج الذي فيه صلاح الناس وصلاح الكون بأسره، فإذا أطاع الإنسان ذلك المنهج وسار عليه انتظمت حياته وانتظم له الكون، وإن خرج عن ذلك المنهج فسدت حياته وفسد الكون بأسره.

والخلاصة في ذلك الأمر أن الله ﷻ خالق الإنسان، والأعلم بصلاح دنياه وآخرته، وقد أمر الإنسان أن يسير وفقًا لشريعته ﷻ، فإن أطاع انتفت أسباب الفساد، وسارت حياته وفقًا للسنن الإلهية، وإن انحرف تحققت أسباب الفساد، وانقلب عليه الكون بما يصيبه من أمور نتيجة لتلك الأفعال، وكلها بقدر الله ﷯ ووفقًا لمشيئته ﷻ.

---

[1] مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة،٢٠٠٤م، ص ٧١.

الفصل الأول

المصائب والكوارث الكونية بين التفسير الديني والتفسير المادي

ويتكون من ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: أنواع المصائب والكوارث الكونية.

المبحث الثاني: التفسير المادي للمصائب والكوارث الكونية.

المبحث الثالث: التفسير الديني للمصائب والكوارث الكونية.

تمهيد:

تتمثل المصائب والكوارث الكونية في العديد من المظاهر الطبيعية، التي تحدث كثيراً في منطقة أو أخرى في العالم، فنسمع عن زلزال وقع في بعض الأماكن، وفيضان في مكان آخر، وانتشار وباء معين، أو سقوط أجرام سماوية على منطقة معينة.

وينظر لتلك الحوادث من جانبين، أحدهما: الجانب المادي المتعلق بأسبابها العلمية، والأخرى: الجانب الديني المرتبط بقدرة الله سبحانه وتعالى وإرادته، وعقاب الناس إذا وقعت فيهم الخطايا. وعلى الرغم مما قد يبدو من تعارض بين الجانبين إلا أنه في الحقيقة لا يوجد أي تعارض بل إنه تكامل، فوقوع زلزال – مثلاً– يرجع إلى تحركات في القشرة الأرضية، ولا يضير أن نقول أنه قد حدث بأمر الله ﷻ، فالله قد خلق الأسباب، وأراد لها أن تكون أسباباً لمسبباتها.

وسوف نخصص هذا الفصل –بمباحثه الثلاثة– للحديث عن العلاقة بين التفسير الديني والتفسير المادي للمصائب والكوارث الكونية من جهة، ولبيان الفرق بينهما من جهة أخرى، وسوف يكون التقسيم على النحو الآتي:

المبحث الأول: أنواع المصائب والكوارث الكونية، يتناول المبحث الكوارث الكونية وبيان أنواعها وأسبابها العلمية كما وردت في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: التفسير المادي للمصائب والكوارث الكونية، نتناول فيه نظرة الفلاسفة الماديين لحدوث الكوارث، من خلال ربطهم المسببات بالأسباب في علاقة الإنسان مع الطبيعة.

المبحث الثالث: التفسير الديني للمصائب والكوارث الكونية، نتناول من خلاله التفسير الديني للحوادث والكوارث كما دلت عليه الشريعة الغراء.

المبحث الأول
أنواع المصائب والكوارث الكونية

تتعدد أشكال الكوارث والمصائب الكونية التي تصيب الناس، والتي ذكرت في القرآن الكريم، فمنها: الزلازل، ومنها: الرياح والأعاصير، ومنها سقوط الكسف من السماء، وبالرغم من أن إيمان المسلم بأن كل تلك الأشياء هي من صنع الله وإرادته، إلا أن الله أراد أن يجعل لوقوعها أسباب يعرفها الناس عن طريق العلم والمعرفة، ولذلك سأقوم بعرضها، وهي:

أولاً: الزلازل.

تعرف الزلازل بأنها: "هزات سريعة قصيرة المدى في قشرة الأرض، تنتج عن حدوث التفاعلات النووية في باطن الأرض، ونتيجة المحورية للأرض، وتجمع المواد المشعة في جوفها، وإعادة توازن القشرة الأرضية، وتحرك طبقاتها على طول أسطح الصدوع العميقة فيها، وتسهم الزلازل في استمرار الأرض في الاحتفاظ بتوازنها، وبقائها بصورتها الحالية في الفضاء السماوي"[1].

وقد جاءت كلمة زلزال في العديد من الآيات القرآنية على أنها الهزة الأرضية، وتحرك الأرض[2] التي تسبب دمار وخراب، فيقول تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾(الزلزلة: ١-٢)

والآية تحمل من معاني الإعجاز العلمي الكثير، فقد فُسرت "أثقالها" بأنها

---

[1] الموسوعة الكونية الكبرى: آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل، ماهر أحمد الصوفي وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٧٧.

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م ٨/٤٦٠.

موتاها، فالإنسان وهو فوق الأرض ثقل عليها وفي بطنها ثقل لها[1]، كما فُسرت "أثقالها" على أنها ما في جوف الأرض من الدفائن[2]، فقد بنيت تفسيرات الفقهاء حسب المعنى المباشر للكلمة في حدود ما توصل إليه العلم في وقتهم.

إلا أن العلم الحديث أشار إلى معنى آخر، فقد تبدو الأرض صلبة وثابتة، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك؛ فتحت سطحها ترتفع درجة الحرارة ارتفاعًا هائلاً، إلى درجة أن الكثير من الصخور تنصهر، أما القشرة الخارجية الصلبة للكرة الأرضية، فهي الأرض التي نعيش فوقها، وتظهر بها شروخ في بعض المواقع، وهذه الشروخ تسمى صدوعًا أو فوالق، ويمكن أحياناً أن تنزلق الصخور عند هذه الشروخ، وعندها يحدث الزلزال[3].

ووجه الإعجاز أن الزلزال يحدث بسبب تحرك الكتل المحمومة في باطن الأرض، وقد اكتشف العلماء أن الحمم في باطن الأرض لها وزن نوعي مرتفع جدًا، فتكون الآية الكريمة قد وصفت ما في الأرض بالأثقال؛ لأن وزنها النوعي مرتفع جدا.[4]

فالآية تشير بشكل واضح إلى كيفية حدوث الزلزال بإخراج أثقالها، كما تشير إلى قدرة الله ﷻ وأنه هو الفاعل لكل شيء بأسبابها، ويتضح ذلك من بناء الفعل "زلزلت" بصيغة النائب عن الفاعل؛ لأنه معلوم فاعله وهو الله

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق ٢٤/٥٥٨

[2] انظر: الكشاف، جار الله أبي القاسم محمود الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود ، وعلي محمد معوض وفتحي عبدالرحمن، أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م ،٦/٣١٤. تفسير البحر المحيط ،محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ،تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب، بيروت، ١٩٩٣م.٨/٤٩٦

[3] انظر: الزلازل، كيث لاي، ترجمة أمل الشاذلي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م ص ٤.

[4] انظر الموسوعة الكونية الكبرى "آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل،، ماهر أحمد الصوفي وآخرون، مرجع سابق١٣/ ١٨٦

تعالى.[1]

ولا زالت الزلازل تقع للناس منذ الأزمان القديمة حتى يومنا هذا؛ ليدركوا قدرة الله ﷻ، فقد وقع زلزال بالصين عام ١٥٥٦م مات بسببه (٣٨) الف، وفي عام ١٧٣٧م حدث زلزال في الهند مات بسببه (١٨٠) الف، وفي عام ١٩٢٣م حدث زلزال في اليابان مات بسببه (١٠٠) ألف، وفي عام ١٩٧٦م حدث زلزال في الصين مات بسببه (١٠٠) ألف في ثوان معدودة.[2]

وهذا ما يدعو الناس إلى التفكر، فإذا كانت هزة أرضية بسيطة تهلك تلك الأعداد الهائلة، فالأمر في الآخرة أشد وأقسى، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج: ٢٢)، حيث أمر الله ﷻ الناس بتقواه، ووصف —سبحانه— شدة زلزلة الساعة بالشيء العظيم، وهو وصف – على اختصاره– يوقع في النفس الرهبة والخوف، "والإتيان بلفظ شيء للتهويل بتوغله في التنكير، أي زلزلة الساعة لا يعرف كنهها إلا بأنها شيء عظيم، وهذا من المواقع التي يحسن فيها موقع كلمة شيء".[3] فالزلزال عندما يقع يذكر بالآخرة وما فيها من أهوال أفظع كثيراً من الزلزال الذي يقع في الدنيا.

فقد جرت الله سـنة على جعل الزلازل آية من آياته ﷻ، فالزلازل نذر وايات يرسلها الله ﷻ على عباده؛ ليستعتبهم فيها حتى يعود ويرجعوا ليستغفروا ربهم؛ لأن عقوبه الله ﷻ اذا نزلت حلت بالصالح والطالح والصغير والكبير، والذكر والأنثى على حد سواء.[4]

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، ٤٩١/٣٠

[2] انظر: الموسوعه الكونية الكبرى، ماهر أحمد الصوفي وآخرون، مرجع سابق، ١٨٤/١٣.

[3] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق ١٨٧/١٧

[4] انظر: الزلازل أسبابها الشرعية وسبل النجاة منها، عمرو عبد المنعم، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٩٩٣، ص

ثانيًا: الرياح.

تعرف الرياح بأنها: الحركة الطبيعية للهواء، سواء أكانت بطيئة أم سريعة. والعامل الرئيسي لهبوب الرياح هو اختلاف الضغط الجوي من مكان إلى آخر، وتهب الرياح دائماً من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض القريبة منها، وتتبع عند هبوبها نظاماً ثابتاً، حيث تنحرف دائماً إلى جهة اليمين من هدفها في نصف الكرة الشمالي، وإلى اليسار منه في نصفها الجنوبي(1).

وتنشأ فروق الضغط الجوي بسبب تفاوت التوزيع الحراري، واختلاف معدلات التسخين، حيث تتعرض المناطق المختلفة من الأرض لأشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية، فكلما تعامدت الأشعة على السطح زاد التسخين، كما هو الحال في المناطق القطبية الباردة، حيث تكاد تسقط أشعة الشمس موازية لسطح الأرض، وينتج عن هذا التفاوت الحراري تغير في كثافة الهواء، يسفر عن صعود وهبوط تيارات هوائية، وتنشأ الدورة العامة للرياح بصعود الهواء الساخن إلى أعلى عند خط الاستواء، مولداً مناطق ضغط منخفض، وبهبوطه عند القطبين، مولداً مناطق ذات ضغط مرتفع، وتزداد سرعة تحرك الهواء كلما زاد الفرق بين الضغطين(2).

وقد جاءت الريح بمعنى العذاب في عدة آيات من القرآن الكريم، منها:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾(الأحزاب: ٩).

٧-٨.

(1) انظر: الجغرافيا المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ أفريقيا ومناخ العالم العربي، عبد العزيز طريح شرف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ١٠٩.

(2) انظر: الموسوعة الكونية الكبرى، ماهر أحمد الصوفي آخرون ، مرجع سابق، ١٣/٥٢.

وقد نزلت الآية في الأحزاب حيث سلط الله ﷻ عليهم ريحًا كفأت قدورهم على أفواهها ونزعت خيامهم[1]، فالريح جند من جنود الله ﷻ، يرسلها على أعدائه الذين يريدون شرًا بالدين، وتلك سنة الله ﷻ فيمن يحارب الدين ويسعى للقضاء عليه، فيرسل عليه العذاب بالقدر الذي تشاؤه حكمته، فقد أثارت الريح الرعب في نفوس الأحزاب فرحلوا مذعورين، وكفى الله المؤمنين شر القتال، وهي سنة الله في خلقه ومع جميع الأنبياء، ويقول ﷻ: ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ .(فصلت:١٤- ١٦).

والآية تذكر جزاء الذين استكبروا بغير الحق، ريح شديدة تحمل معها الهلاك، وقد وصفها الله ﷻ بالريح الصرصر، وقيل في معناها أنها: الريح السموم كما قيل من الصر، أي باردة تحرق كما تحرق النار، وقيل أنها من الصرة وهي الصيحة.[2]

وتدل الآية على سنة الله ﷻ في إرسال الريح على المتكبرين الجاحدين

---

[1] انظر: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، مرجع سابق١٩/٢٨

[2] انظر: تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، مرجع سابق، ١٩٩٣م، ٤٧٠/٧، الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق ، ١٩٩٨ م ٣٧٦/٥. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الفراء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٣، ٣/ ١٣

بآيات الله، والمكذبين للرسل في كل العصور، فقد جاء في التفسير أن قوله ﷻ ﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يعني من قبل عاد وثمود، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ يعني من بعد عاد وثمود.[1]

وكما سبق بالنسبة للزلازل، فإن الريح ايضًا هي آية من الآيات التي يرسلها الله تعالى للناس تخويفًا لهم؛ ليرجعوا عن ذنوبهم ويستغفروا ربهم ﷻ.

ثالثًا: الأمطار والطوفان.

إن الأمطار مصدر خير كثير، وبشرى للناس، خصوصاً في المناطق التي تعاني من ندرة مصادر المياه، وقد تصبح نقمة وعقاب على الكافرين، وهو ما يُسمى بالطوفان، ويعرّف بأنه: "المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شيء".[2]

والطوفان عقاب الله ﷻ لقوم نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ (العنكبوت: ١٤-١٥).

وكما كان الطوفان هلاكًا لقوم نوح عليه السلام، فإنه كان نذيرًا لقوم فرعون – مع آيات أخرى– لعلهم يرجعون، يقول تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا مُّجۡرِمِينَ

---

[1] انظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي،مرجع سابق، ١٧٩/٣، تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي،مرجع سابق٤٦٨/٧

[2] الصحاح، الجوهري، مرجع سابق، ١٣٤٧/٤ ،جامع البيان عن تأويل القرآن، الطبري، مرجع سابق،٣٨٢/١٠، تفسير بحر العلوم، السمرقندي،مرجع سابق ٥٦٤/١.

﴿١٣٣﴾ ﴾(الأعراف: ١٣٣).

"فقد أرسل الله عليهم الطوفان فغرق كل شيء لهم، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفها عنا، ونحن نؤمن لك، ونرسل معك بني إسرائيل، فكشفه الله عنهم وثبت بها روعهم، فقالوا: ما يسرنا أنا لم نمطر"[١]، وهذا دأب الإنسان عند الشدة والإحساس بالعجز أمام الكوارث التي لا يستطيع دفعها، فإنه يلجأ إلى القوي الذي لا يعجزه شيء، فإذا كشف الله عنه العذاب نسي لحظات عجزه وجحد، فكانت سنة الله ﷻ أن يكون جزاء ذلك الجحود هلاك الجاحدين.

فالسنة قائمة في خلق الله تعالى أن المتكبرين والجاحدين يستحقوا العذاب الشديد، والمستكبر يستمر في استكباره حتى يقع به العذاب فيهلكه، فيقول ﷻ: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءِۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأحقاف: ٢٤-٢٥).

فبالرغم من رؤيتهم مقدمات العذاب إلا أنهم استمروا في التكبر وخداع النفس، بأن قالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ﴾ "ظنًا منهم برؤيتهم إياه أن غيثًا قد أتاهم يحيون به، فقالوا: هذا الذي كان هود يعدنا وهو الغيث"[٢]. وذلك يزيد العذاب، فحين يظنون أنها سحاب جاء بالخير يأتيهم العذاب، وكان أولى بهم أن يدركوا أن ما يرونه جاء بعد أن أنذرهم هود عليه السلام، فيعرفوا أنه العذاب ويتوبوا ويتبعوا النبي، إلا أن قولهم يدل على الاستكبار والعناد فاستحقوا ما حاق

[١] المرجع السابق، ٣٧٨/١٠

[٢] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري، مرجع سابق١٥٦/٢١

بهم من العذاب.

ولا زال الطوفان والأعاصير تجتاح العالم حتى اليوم، ففي شهر يوليو ٢٠٠٥م، وقبل أن يضرب الإعصار "كاترينا" السواحل الجنوبية للولايات المتحدة، وتنهار الجسور والسدود الرئيسية في مدينة نيو أورليانز- التي تم بناؤها أصلا لصد أمواج المد البحري في حالة حدوث الأعاصير- كانت هناك رياح محلية عاتية موسمية غزيرة الأمطار، تهب على جنوب شرق آسيا قد ضربت مدينة بومباي، والتي يطلق عليها اسم ممباي وباقي ولاية ماهاراشترا في الهند، مما أدى إلى إجلاء ٥٠٠ ألف من السكان عن منازلهم وفقًا لبيانات منظمات الإغاثة.

وفي نفس الشهر من العام ٢٠٠٥م، قامت المكسيك بإخلاء ٥٨ ألفًا من سكانها، عندما ضرب الإعصار "إيميلي" مدينة "كانكون"، وشبه جزيرة يوكاتان المكسيكيتين، وقبل أن ينقضي اسبوعان على كارثة الإعصار كاترينا، كانت هناك دولة أخرى تتعرض للكوارث الطبيعية أيضًا هي الصين، وذلك عندما ضرب الإعصار "خانون" مقاطعات سيغيانج وأنهيويي وفيوجان، وكذلك مدينة شانغهاي، وجاء في تقارير الصحف أن السلطات الصينية قامت بإجلاء ١،٣٥ مليون مواطن، وقبل ذلك بأسبوع كان الإعصار "نابي" الذي أجبر السلطات اليابانية على ترحيل ١٠٠ ألف شخص من بيوتهم.[1]

والملاحظ أنه برغم التقدم التكنولوجي الهائل الذي تتمتع به أغلب الدول التي أصابتها الأعاصير، إلا أنها لم تستطع تجنب الآثار المدمرة لتلك الأعاصير، وفي ذلك إشارة إلى أن الإنسان مهما أوت من علم وقوة، فإنه لا يمكن أن يستغني عن الحماية الإلهية من قوة الطبيعة الجبارة، ولذلك فعلى البشرية أن تلجأ إلى ربها ﷻ، فهو وحده القادر على حفظهم من تلك الكوارث الهائلة.

---

[1] انظر: الموسوعة الكونية الكبرى، ماهر أحمد الصوفي وآخرون، مرجع سابق ١٣/١٦٦-١٦٧

رابعًا: الصواعق والرعد والبرق.

أما الصواعق فهي جمع صاعقة، "وهي نار تنزل من السماء، وقت الرعد الشديد"[1]، و "يكون معها أحيانا قطعة نار تحرق ما أتت عليه".[2]

وقد ورد لفظ "الصاعقة" في بعض آيات القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ (الرعد: ١٣)

وقد عوقب بنو إسرائيل بالصاعقة، حينما استكبروا على أمر الله ﷻ، وطلبوا أن يروا الله ﷻ جهرة، فيقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (البقرة: ٥٥).

وقد ذُكرت الصاعقة كعقاب على كفر ثمود قوم صالح، يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (فصلت: ١٧)، أي بيّنا لهم الهدى والضلال، فاختاروا الكفر على الإيمان، والعمى على البيان، والمعصية على الطاعة، فلحقهم عذاب المهانة، وأضيفت الصاعقة إلى العذاب؛ لأن الصاعقة اسم للمبيد المهلك، فكأنه قال مهلك العذاب، أي العذاب المهلك.[3]

أما الرعد، فهو: "عبارة عن الصوت المزعج المسموع من جهة السماء"[4]،

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٩٠/١.

[2] الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، مرجع سابق، ٢١٩/١.

[3] انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، مرجع سابق ، ٣٤٩/١٥.

[4] تفسير البحر المحيط،أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ١/ ٢٢٠

وروي عن ابن عباس أنه قال: "الرعد ريح تختنق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت".[1]

والبرق، هو: "الجرم اللطيف النوراني الذي يُشاهد ولا يثبت".[2] والصواعق —كما أشرنا-: "نار تنزل من السماء وقت الرعد الشديد".[3]

وبالتالي تكون الصاعقة أشد خطرًا من الرعد والبرق، فالرعد والبرق في أغلب الأحيان مصدر خوف ورعب لا غير، إلا إذا وصلا إلى درجة لا يتحملها الإنسان، أما الصاعقة فهي نار من الممكن أن تصيب الإنسان أو الأشياء فتدمرها. فيذكر الفراء: أن "الرعد ما أتى في القرآن من التخويف".[4]

والرعد، والبرق والصواعق، من الظواهر الطبيعية التي تصاحب سقوط الأمطار، وقد كانا مصدر خوف ورعب، وقد كان الإنسان منذ قديم الزمن يخشى صوت الرعد ولمعان البرق، وقد نُسجت الأساطير والخرافات حول الرعد والبرق، ويتضح ذلك جلياً في تراث الأمم السابقة، حتى أن اليونانيين جعلوا البرق والرعد تعبيراً عن غضب كبير آلهتهم "زيوس"[5].

"ويمكن أن تحدث عواصف الرعد نتيجة لنشاط التيارات الصاعدة، التي يسببها ارتفاع درجة الحرارة في طبقات الجو السفلى، كما هي الحال في المنطقة الاستوائية، أو نتيجة لارتفاع الهواء الدافئ فوق الهواء البارد عند تقابل كتلتين هوائيتين مختلفتين في درجة الحرارة، أو لاندفاع الهواء في الأعاصير الدوارة بقوى

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ،مرجع سابق، ١/ ٣٢٨

[2] تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق ٢٢٠/١٩

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٩٠/١

[4] معاني القرآن، الفراء، مرجع سابق، ١٧/١

[5] الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، أ. أ. نيهاردت، ترجمة هاشم حمادي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٤ص ١٧

إلى أعلى الجو، أو نتيجة لصعود الرياح بقوة على منحدرات الجبال التي تعترض طريقها، فالذي يحدث في مثل هذه الأحوال أن يرتفع الهواء الصاعد إلى مستويات مرتفعة جداً؛ فيتكاثف بخار الماء العالق به بسرعة، وتتكون منه سحب شديدة السمك والكثافة من النوع المعروف باسم المزن الركامي، وتأخذ الأمطار في السقوط، إلا أن كثيراً من نقط الماء لا تستطيع أن تصل إلى سطح الأرض؛ بسبب قوة التيارات الصاعدة التي تدفعها باستمرار إلى أعلى، ويترتب على ذلك تزايد حجم هذه النقط حتى يبلغ قطر الواحدة منها نصف سنتيمتر تقريباً، ومتى بلغت هذا الحجم لا تقوى على التماسك، فتتفتت إلى نقط صغيرة، لا تلبث أن تكبر ثم تتجزأ بنفس الطريقة، وهكذا، ويترتب على تفتت النقط المائية انطلاق شحنة كهربائية يتجمع السالب منها في قمة السحابة، أما الموجب فيتجمع في وسطها، وقد يتجمع بعضه في أسفلها، وعندما تكبر هذه الشحنات يحدث تفريغ بين أعلى السحابة ووسطها أو بين السحابة والأرض، أو بين سحابتين متجاورتين، والتفريغ الذي يحدث بين السحابة والأرض هو الذي يعبر عنه بالصاعقة، ويؤدي التفريغ الكهربائي إلى حدوث الشرارة المضيئة التي يعبر عنها بالبرق، أما الرعد، فيحدث نتيجة لتمدد الهواء الذي تخترقه هذه الشرارة بسبب شدة الحرارة ثم انكماشه وانضغاطه بشدة نتيجة للتبريد الذي يحدث بعد مرورها"[1]

يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ

[1] الجغرافيا المناخية والنباتية، عبد العزيز طريح شرف، مرجع سابق ص ٢١٦.

﴿ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (البقرة : ٢٠).

فالرعد والبرق منذ القديم مثل مصدر رعب وخوف للإنسان لما له من مظهر مرعب في نفوس البشر، حتى أنهم يرتعبون من مجرد سماع صوت الرعد، وتشير الآية إلى قدرة الله ﷻ فمن ناحية في إظهار البروق وسماع الرعود وهي من مظاهر قوته وقدرته، ومن ناحية في إثبات قدرته على أن يذهب بسمعهم وأبصارهم، فلو شاء ﷻ "لذهب بسمعهم بالرعد وأبصارهم بالبرق".[١]

والخوف من الرعد والبرق يدفع الناس إلى الاستقامة والبعد عن المعصية، وذلك أن خالق الرعد والبرق قادر على أن يجعله رحمة، كما أنه قادر على أن يجعله عذابًا، وهو القادر على أن ينجي المؤمنين، كما يشاء ﷻ، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾. (النور: ٤٣)

فإن الله ﷻ "يريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف أبصارهم ليعتبروا ويحذروا"[٢]، وقوله تعالى ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾، أي "من فرط الإضاءة فهو –سبحانه– مخرج الماء والنار والظلمة والنور من شيء واحد"[٣]، فيجمع العذاب بالبرق والرعد بين العذاب النفسي، المتمثل في الرعب والخوف الذي يصيب الناس عند رؤيته، وهو وسيلة للعذاب البدني إذا أصاب

---

[١] التسهيل في علوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ٥٦/١

[٢] الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ٣١١/٤

[٣] جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الإيجي الشيرازي الشافعي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٠/٣

الناس في أجسامهم، كأن تسبب شدة الرعد الصمم، أو يسبب شدة الضوء من البرق العمى.

فالبرق والصواعق من آيات الله ﷻ التي أصابت الكافرين والعاصين بسبب ما اقترفوه من كفر وعصيان، فيقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾(البقرة: ٥٥).

فقد طلب من بني إسرائيل طلبًا فيه الكثير من الكبرياء والتعنت، فقد أراهم الله تعالى على يد نبيه موسى عليه السلام الكثير من الآيات، ومع ذلك طلبوا طلبًا عظيمًا، فبالرغم من أنه "ليس في الآية ما يدل على أنهم كفروا حين قولهم هذا، ولكنها دالة على عجرفتهم وقلة اكتراثهم بما أوتوا من النعم، وما شاهدوا من المعجزات، حتى راموا أن يروا الله جهرة، وإن لم يروه دخلهم شك في صدق موسى، وهذا كقول القائل إن كان كذا فأنا كافر".[1] ونظرًا لعظم الطلب وكبر الذنب، فإن الجزاء جاء سريعًا عن طريق أسرع طريقة للهلاك وهي الصاعقة.

وكذلك قال الله ﷻ في ثمود: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾(فصلت: ١٧).

وفي تلك الآية يبين ﷻ أن الإنسان هو الذي يجلب العذاب على نفسه، فقد بين لهم ﷻ سبيل الهدى، فاستحبوا العمى على الهدى، أي "فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد"[2]، فسنة الله أن يبين لعباده طريق الحق، فإذا انحرفوا عنه ذاقوا وبال أمرهم، فليس العذاب مقتصرًا على الأقوام المذكورة في القرآن، بل هي سنة الله في خلقه إلى يوم الدين، فيقول تعالى:

[1] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ١/٥٠٦

[2] الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ٥/٣٧٦

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ (فصلت: ١٣). يقول تعالى ذكره: "فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجج، التي بينتها لهم يا محمد، ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها، ولم يُقروا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره، فقل لهم: أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود".[1] وذلك الإنذار مستمر إلى يوم القيامة، فإن أعرض أحد عما ذكر به فلا يأمن أن يصيبه الله بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود.

والخلاصة أن الرعد والبرق -وما يحدث من صواعق- كغيرها من الظواهر الطبيعية، قد تكون خلقها الله ﷻ لتؤدي مهماتها في الحياة، فإذا أراد الله ﷻ أن تكون آية عذاب على الكافرين كانت بإذن الله تعالى.

خامسًا: الحشرات والأوبئة والأمراض.

من أشد الكوارث الطبيعية التي تصيب الناس الأوبئة والأمراض، وإذا كانت كل الكوارث السابقة تتسم بالسرعة؛ فإن الأوبئة قد تطول لفترات، وتتسبب في عذاب شديد للمصاب بها، بالإضافة إلى المعاناة التي يعيشها الناجون منها. ويعرف الوباء: بأنه "مرض عام، وقد وبئت الأرض توبأ، فهي موبوءة إذا كثر مرضها".[2]

وتعد الحشرات من أكثر وسائل نشر الأمراض والأوبئة، "فلوصول الحشرات الناقلة، وملامستها للإنسان أهمية بالغة في إيصال مسببات الأمراض إليه، وبالتالي إحداث الأمراض- فإذا كانت هناك نظافة عامة، ومساكن جيدة، وثقافة، وتوعية، ومستوى معاشي جيد؛ فإن هذه الحشرات والمفصليات تبعد

---

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،الطبري، مرجع سابق ٢٠ /٣٩٥

[2] الصحاح، الجوهري، مرجع سابق ٧٩/١.

كثيراً عن الإنسان– وقد لا تتمكن من الوصول إليه وملامسته، بحيث تنقل إليه الأمراض.

إن اتصالات وملامسات الإنسان والحيوانات مع الحشرات تختلف كثيراً، فبعض أنواع المفصليات تلامس الإنسان فترة قصيرة فقط، فترة تأخذ خلالها وجبة غذائها من الدم، وأحسن مثال على ذلك البعوض، والحرمس الواخز، بينما هناك أنواع تلازم الإنسان، وتلامسه فترة طويلة، مثل: القمل، وحلم الجرب، وأخيراً، هناك أنواع قد لا تبقى ملامسة للإنسان فترة طويلة، ولكنها تتواجد في الشقوق، والثقوب، والفراش، وطوال وقتها قريبة من الإنسان ترجع إليه للتغذية كلما أحست بالجوع وخصوصاً في الليل، ومثال ذلك بق الفراش، والبرغوث. كما أن الأنواع التي تعتمد كلياً أو إلى حد كبير على الإنسان تكون ملامسة له أكثر من الأنواع التي لا فرق لديها بين الإنسان والحيوانات الأخرى، إذ المهم عندها هو العثور على الدم (وجبتها الغذائية)[1].

وقد ذكر القرآن الكريم انتشار الحشرات والأوبئة، كعقاب للمجرمين في القرآن الكريم، فقال ﷻ: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾(الأعراف: ١٣٣).

فكما يعذب الله الطغاة والجبابرة بمظاهر الطبيعة العاتية، كالطوفان والأعاصير والرعد والبرق، وغيرها من الظواهر التي ترتجف القلوب من رؤيتها، فإنه قادر على أن يعذب بما هو أهون من ذلك – في نظر الناس– بأشياء ضعيفة، لكن لا يقدرون على مقاومتها.

---

[1] انظر: الحشرات الناقلة للأمراض، جليل أبو الحب، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢، ص٩.

سادسًا: سقوط الحجارة.

إن سقوط أحجار من السماء ظاهرة سجلتها الكتابات الفلكية منذ آلاف السنين، ففي أول الأمر تظهر كتلة متقدة في السماء، وهذا الذي نراه هو هواء مضغوط في الأمام زادت حرارته بفعل الاحتكاك مع حركة الصخرة، ويمكن أن يكون حجمه أكبر كثيرًا من حجم الصخرة نفسها، وينصهر سطح الصخرة، ويتطاير الشرر من الذيل، وتظل ذيول الدخان زمناً طويلاً بعد سقوط الصخرة، ثم إن الصخرة قد تنفسخ وتسقط قطع قاتمة لا ترى إلى الأرض بسرعة ٢٠٠ متر في الثانية، أي بسرعة طائرة نفاثة عند انقضاضها بأنفها، وتحدث موجة صدمة لها قعقعة وأصداء، مثل صوت مدافع ترعد في معركة...وقد تتشكل النيازك من الحجر أو من كتل من الحديد. وهي تختلف بوجه عام من حيث تركيبها الكيميائي والمعدني عن صخور الأرض؛ ونتيجة لذلك، فإنّ من السهل تعرف نيزك فوق الأرض، حتى ولو لم يكن أحد قد رآه لحظة سقوطه.[1]

وقد أشار القرآن الكريم إلى إمطار قوم لوط بالحجارة جزاء شنيع فعلهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ (هود: ٨٢-٨٣)

ويذكر القرآن الكريم أن الله ﷻ أرسل على الكافرين حجارة من السماء، بعد طلب الكفار نزولها عليهم من السماء، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا

[1] انظر: الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، فرانك كلوز، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤ص ٢٣.

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾(الأنفال: ٣٢).

وقد رد الله تعالى عليهم قولهم هذا، فيقول ﷻ ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (الأنفال: ٣٤) المعنى، "أي شيء يمنع من عذابهم وهم يصدون -أي يمنعون- المؤمنين من المسجد الحرام"(١)، فإن الله ﷻ لا يمنعه شيء، إذا أراد عذاب قوم بالحجارة أو بغيرها من الآيات، في أي مكان وزمان سواء فيما مضى أو في المستقبل، وهي سنة الله الباقية إلى يوم القيامة.

سابعًا: الرجفة.

الرجفة هي إحدى صور العذاب التي عذب الله تعالى بها الكافرين، فيقول الله ﷻ في ثمود قوم صالح عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾(الأعراف : ٧٨).

ويقول ﷻ عن بني إسرائيل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ .(الأعراف: ١٥٥)

ويقول في أهل مدين، قوم شعيب عليه السلام: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ

---

(١) التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزي ، مرجع سابق ٣٤٣/١

ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾. (العنكبوت: ٣٧)

وقد تعددت أقوال المفسرين في بيان المقصود من "الرجفة" إلى عدة أقوال، منها:

منهم من قال إن الرجفة "الاضطراب الشديد، يُقال: رجفت الأرض والبحر، وبحر رجاف"[١]، وهي على هذا المعنى يكون المقصود بها الزلزال، غير أن آثاره اقتصرت على اهتزاز الأرض بهم دون هدم وتدمير المساكن. ويستنتج هذا من الأقوال التي ذكرها الماوردي في تفسير الرجفة بأنها على ثلاثة أقوال: منها أنها حركة الأرض تضطرب من تحتهم وأنها الصيحة، وأنها زلزلة أُهلكوا بها"[٢]، فقد فرّق بين الزلزلة وحركة الأرض واضطرابها، وهذا التفريق بين الزلزلة واضطراب الأرض غير دقيق من وجهة نظرنا.

ومنهم من قال معناها الصيحة[٣]، والصيحة هي "رفع الصوت"[٤]، غير أن ابن كثير يُفرق بين الصيحة والرجفة، حيث يذكر أنه "جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في ساعة واحدة".[٥]

---

[١] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ١/ ٢٥١

[٢] النكت والعيون تفسير الماوردي، محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٢/ ٢٣٦

[٣] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري مرجع سابق ، ٢٠٠١م، ١٠/ ٣٠٢. تفسير الإمام مجاهد بن جبر، تحقيق محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣٣٩، النكت والعيون، الماوردي، مرجع سابق، ٢٣٦/٢

[٤] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ٣٧٨/٢

[٥] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٤٤٢/٣

المبحث الثاني:
التفسير المادي للمصائب والكوارث الكونية

كثيرًا ما ينخدع الإنسان في حواسه ومداركه، فيعتد بها أيما اعتداد، ولا يُعترف إلا بما تدركه تلك الحواس، أما ما لا تستطيع حواسه أن تدركه فهو بالنسبة له غير موجود، أو على أقل تقدير مشكوك في وجوده، فالحقيقة فقط هي المدركة بالحواس، وبناءً على ذلك يهتم التفكير المادي للأحداث بالحواس كدليل على الوجود، "بمعنى أنه في عقيدته لا يؤمن بشيء في الوجود غير محسوس، وأنّ كل ما يدرك بالحس المباشر أو غير المباشر فهو موجود؛ لأن الحواس في نظره هي الوسيلة الوحيدة الموصلة إلى العلم والمعرفة، وأن المعرفة نفسها حسية جزئية".[1]

وتؤكد المادية على أن:[2]

- ظاهرات الكون، هي مختلف وجوه المادة التي هي في حركة، إذ أن المادة هي ما يوجد خارج ذهني، وخارج كل ذهن، وليس بحاجة إلى أي ذهن كي يوجد.
- يترتب على هذا أن المادة هي الحقيقة الواقعية الأولى، التي ليست أحاسيسنا وليس فكرنا إلا نتاجًا لها وانعكاسًا عنها.
- إنّ العالم وقوانينه يمكن النفوذ إليها بكاملها من قبل المعرفة، التي تراجعها التجربة والنشاط العملي ويثبتان من صحتها.

---

[1] - القرآن الكريم في مواجهة الماديين والملحدين، أحمد عبد الحميد الشاعر ، دار القلم ، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٣٣

[2] انظر: النظرية المادية في المعرفة "ما هي المادية"، روجيه جارودي، ترجمة محمد عيتاني، دار المعجم العربي، بيروت، ص.٦٠.

المطلب الأول: الكوارث الطبيعية عند الماديين.

تعرف الطبيعة من المنظور الفلسفي، بأنها: "مجموع الموجودات الماثلة في العالم خارج الأشياء المصنوعة من طرف الإنسان".(١)

يوضّح التعريف أن الطبيعة هي شيء خارجي لا دخل للإنسان فيه، وقد تحددت العلاقة بين الإنسان والطبيعة في شكل علاقة الشيء بالآخر، وهي علاقة تستدعي عقد المقارنة بين مصلحة الإنسان ومصلحة الطبيعة، وبالتالي كانت النظرة للطبيعة من جانبين، الجانب الأول: هو الجانب النفعي، والذي ينحصر في كيفية الاستفادة من تلك الطبيعة، والجانب الثاني: هو جانب الخصومة والعداء، حيث يُعد استفادته من الطبيعة بمثابة الاعتداء عليها، الذي يؤدي إلى الإخلال بالطبيعة، فينتج عنها رد الطبيعة بما يحدث من كوارث، "فإن الطبيعة بجانب كونها كانت مستودع الخبرات الكفيلة بإشباع الإنسان، هي أيضاً في حد ذاتها تهديد للإنسان بمظاهر عنفها وقسوتها من حر وبرد، وفيضان، وزلازل، وبراكين، وغيرها، وهو ما يحفز الإنسان على مراكمة الخبرة في مواجهة عتو الطبيعة، وهنا تصبح وظيفة الثقافة هي حماية الإنسان من عسف الطبيعة واستخراجه لخيراته، وترويضه لها يمر عبر ترويض نفسه".(٢)

وقد اتخذت تلك العلاقة أشكالاً مختلفة بين الخوف من الطبيعة والاعتداء عليها، حتى وصل الإنسان إلى مرحلة المصالحة معها، "فقد كان على أسلافنا أن يتقوا شر أهواء الطبيعة ونزواتها. وما كان بالإمكان إقناع أي منهم بأن وقتًا سيأتي، يتعين فيه حماية الطبيعة من تصرفات الإنسان. وكانت علاقتهم ببيئتهم تحكمها غرائزهم والبنى القائمة آنذاك، فمن منا كان يجسر على الظن بأن هذه

---

[١] الثقافة والطبيعة، محمد سبيلا، وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩١م، ص٥.

[٢] الثقافة والطبيعة، محمد سبيلا، وعبد العالي، مرجع سابق، ص ٥.

العلاقات سوف ترقى يوماً إلى مستوى الوعي، وتغدو موضوعًا يتناوله علم جديد هو الإيكولوجيا؟ بل من منا كان يظن أن ضرورة تحليلها وإقامتها على أسس عقلانية، سوف تجبرنا على التضحية بمصالح عاجلة في سبيل خيارات متروية من شأنها أن تصون التراث الطبيعي[1].

فالاتجاه إلى الإلحاد، ونفي التدخل الإلهي في الأحداث، قد مر بمراحل، "فقد عرض نيوتن على الدنيا فكرة تثبت أن الكون مرتبط بقوانين ثابتة تتحرك في نطاقها الأجرام السماوية، ثم يحدث في الكون من الأرض إلى السماء خاضع لقانون معلوم، سموه قانون "الطبيعة" فلم يبق للعلماء ما يقولون بعد هذا الكشف، غير أن الإله كان هو المحرك الأول لهذا الكون، ويضرب "والتير" مثلاً في هذا الصدد: أن الكون كالساعة، يرتب صانعها آلاتها الدقيقة في هيئة خاصة ويحركها، ثم تنقطع صلته بها، ثم جاء "هيوم"[2] فتخلص من هذا الإله الميت"[3]، تعالى الله عما يصفون.

وقد ربط "هيوم" بين مظاهر الطبيعة وتقلباتها، وخوف الإنسان مما يحدث فيها من كوارث، وبين نشأة الدين والاعتقاد بوجود آلهة، فيقول: "ينشأ الدين البدائي للنوع الإنساني من الخوف، والقلق من أحداث المستقبل ومن الأفكار،

---

[1] انظر: عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، جان ماري بيلت، ترجمة السيد محمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة، ع (١٩٨)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م، ص ١٤.

[2] ديفيد هيوم، فيلسوف ومؤرخ وعالم اقتصاد اسكتلندي، ولد عام ١٧١١م، في أدنبرة، دخل جامعة أدنبره في عامه الثاني عشر وتركها في عامه الخامس عشر، وبين الثالثة والعشرين والسادسة والعشرين كتب عمله الرئيسي "رسالة في الطبيعة البشرية، لم يلفت الانتباه، ثم أصدر الجزئين، ثم درس السياسة والاقتصاد السياسي حيث أصاب حظا أوفر فالجزء الأول من كتابه "محاولات أخلاقية وسياسية وأدبية، الذي صدر عام ١٧٤١ نفذ في أشهر معدودة حتى أنه أعاد طبعه مرة أخرى مع الجزء الثاني، وتوفي فيها عام ١٧٧٦م، انظر معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، مرجع سابق، ص ٧٢٦ - ٧٢٧.

[3] القرآن الكريم في مواجهة الماديين الملحدين، الشاعر، مرجع سابق ص ١٥٠.

التي يضمرها الإنسان عن القوى غير المرئية، وغير المعروفة، فقلب أحداث الحياة بين صحة ومرض، وبين نجاح وفشل، وبين انتصار وهزيمة، وبين سعادة وتعاسة، وبين حظ موات وحظ معاكس، وتعدد أحوال الظواهر الطبيعية بين أحوال مفيدة وأحوال ضارة، والحوادث الكونية المفاجئة، مثل: الزلازل، والبراكين، والفيضانات، والصواعق، والعواصف، كل ذلك وما شابهه جعل الإنسان في حالة من القلق الدائم، والخوف والأمل المستمرين، ونتج عن هذه الحالة أن عزا الإنسان كل ظاهرة طبيعة، وكل شأن من شئون الحياة، إلى قوى خفية عاقلة، وتعددت هذه القوى بتعدد الظواهر الطبيعية وشئون الحياة، ونسب الإنسان لتلك القوى الخفية أو الآلهة اختصاصات محددة، وقسم مناطق نفوذها"[1].

وبذلك يتضح رأي "هيوم" أن الدين ما هو إلا تفسير بدائي للظواهر الطبيعية، التي عجز الإنسان البدائي في فهمها إلا من خلال الآلهة، فهو "ينقد اتخاذ وحدة تصميم العالم وتجانسه وانتظامه، والغائية المسيطرة على ظواهره وقوانينه، كدليل على وجود إله حكيم يسيطر عليه، حيث يشكك في صلاحية ذلك الدليل فضلاً عن تشكيكه في سائر الأدلة على وجود إله، مما يدل على أن "هيوم" ضد الدين أيًا كان نوعه، لأنه يرفض الفرضية التي يقوم عليها الدين".[2]

فقد نفوا تدبير الله ﷻ لخلقه، وبالتالي فإن ما يقع من أمور لا تتعلق بمشيئة الله، وإنما هي في أخف الأقوال نتيجة للتنظيم الإلهي السابق، ثم جاء من نفوا وجود الإله بشكل نهائي.

---

[1] الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، محمد عثمان الخشت، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، العاشر من رمضان، مصر. ص ١٧.

[2] المرجع السابق، ص ٢٢

المطلب الثاني: الرد على أصحاب التفسير المادي.

سوف نقوم بتفنيد رأي الماديين حسب ما أوردوه من أدلة، أما وجهة الإسلام العامة حول هذه القضية، فسوف نرجئ الحديث عنها للمبحث القادم.

إن قول "هيوم" إن اضطراب الفكر الإنساني أمام الظواهر الطبيعية، هو ما أدى إلى اختلاق فكرة الدين، وأن اتجاه الناس للدين ناتج عن خوفهم من الطبيعة، مما اضطرهم إلى اللجوء لفكرة إله خالق يتحكم في تلك المظاهر، هو قول مردود وذلك لعدة أسباب أهمها ما يلي:

أولاً: إن المشكلة ليست في تفسير الإنسان لمظاهر الطبيعة، وإنما في إيجاد تلك المظاهر، وتنظيمها بالشكل الموجودة بها الآن، كل ذلك لا يتم إلا إذا كان هناك إله قادر حكيم.

ثانيًا: لم تكن كل المجتمعات والبيئات التي ظهرت فيها الأديان تعاني من اضطرابات بيئية، أو كونية مما يدفع الإنسان إلى الخوف وإيجاد فكرة الإله.

ثالثًا: إن الفكرة نفسها من الصعوبة أن يتخيلها الإنسان إن لم يكن لديه معرفة بمفهوم الإله، وتلك المعرفة لم تكن تتأتى إلى من خلال رسالة سابقة نسيها الناس.

وقد رد القرآن على من ينكر وجود الإله، ويرجع كل شيء لقانون الطبيعة أو الزمن أو الدهر، فيقول ﷻ: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(الجاثية: ٢٤)

يقول سيد قطب –رحمه الله-: "هكذا كانوا ينظرون تلك النظرة القصيرة، الحياة في نظرهم هي هذا الشوط الذي يرونه في الدنيا رأي العين. جيل يموت

وجيل يحيا؛ وفي ظاهر الأمر لا تمتد إليهم يد بالموت، إنما هي الأيام تمضي، والدهر ينطوي، فإذا هم أموات؛ فالدهر إذن هو الذي ينهي آجالهم، ويلحق بأجسامهم الموت فيموتون! وهي نظرة سطحية لا تتجاوز المظاهر، ولا تبحث عما وراءها من أسرار...ولهذا يقول الله عنهم بحق: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، يظنون ظناً غامضاً واهياً، لا يقوم على تدبر، ولا يستند إلى علم، ولا يدل على إدراك لحقائق الأمور. ولا ينظرون إلى ما وراء ظاهرتي الحياة والموت من سر يشهده بإرادة أخرى غير إرادة الإنسان، وبسبب آخر غير مرور الأيام". (١)

والأدلة العقلية والنقلية في الرد على الماديين والملحدين أكثر من أن تحصر، فالله ﷻ يرد على هؤلاء وأولئك في آية جامعة معجزة، وهي قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾(الطور: ٣٥-٣٦)

تضمنت هاتان الآيتان ثلاث مقدمات هي:

المقدمة الأولى:هل خُلقوا من العدم ؟

المقدمة الثانية: هل خلقوا أنفسهم ؟

المقدمة الثالثة: هل خلقوا السماوات والأرض ؟

فإذا لم يكونوا خُلقوا من عدم، ولم يخلقوا أنفسهم، ولم يخلقوا السماوات والأرض، فتعين أنه لا بد من الإقرار بوجود خالق خلقهم، وخلق السماوات

١ في ظلال القرآن، سيد قطب ،دار الشروق، القاهرة، الطبعة (٣٢)، ٢٠٠٣م، ٣٢٣٢/٥.

والأرض، وهو الله الواحد القهار.[1]

وكم هي الآيات الكريمة التي تبين أن الله مالك الملك، يتصرف في ملكه كما يريد، فكل ما يحيط بنا من سماء وأرض، مقهور تحت قدرته ﷻ، يتصرف فيه كما يريد[2]، فكل شيء تحت قدرة الله ﷻ، فالسماء لا تفعل شيئًا من تلقاء نفسها، وإنما هي مأمورة بما تفعل وبما لا تفعل، وكذلك الأرض، وسائر المخلوقات.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) ﴾. (فصلت: ٩-١٢)

---

[1] انظر: الإسلام أصوله ومبادئه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ، ط١، ١٤٢١هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١/ ٢٣.

[2] انظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق ٧/٢٥١

المبحث الثالث:
التفسير الديني للمصائب والكوارث الكونية

هناك عامل مشترك في التفسير الديني للظواهر أيًا كانت طبيعية أو غير طبيعية، يعني إرجاع جميع الأمور إلى القوة الإلهية، فقد اتفقت جميع الأديان على أن جميع الظواهر الكونية هي من عند الإله القادر، حيث ينزل العذاب على من يعصيه، أو من يرغب الإله في عذابه لسبب ما، إلا أن الاختلافات بين الأديان ظهرت في تصورهم للإله، وطبيعة العلاقة بينه وبين البشر، ومدى ما يملك من قدرة على العقاب والإيذاء.

وقد اتجهت الأديان الوثنية إلى وجود آلهة متعددة، لكل إله اختصاصه وقدرته المحدودة على فعل الإيذاء بطريقة معينة، ووصل الأمر ببعضهم إلى تصوير الكوارث الكونية على أنها صراع بين الآلهة المتعددة، وما يقع على الإنسان فهو آثار ذلك الصراع، وغيرها من التصورات البدائية الأخرى.

وقد اقتصرت المسيحية واليهودية على أن الكوارث عقاب من الله ﷻ للناس على خطئهم، أما الإسلام فقد حقق التوازن بين حدوث الكوارث لأسباب طبيعية، وبين كونها من قدر الله ﷻ، يصيب بها الناس لحكمة، إما لعقاب المجرمين والكافرين، أو لابتلاء المؤمنين.

المطلب الأول: تفسير الأديان الوثنية للكوارث الكونية.

إن الخوف من الطبيعة ومظاهرها قد لازم الإنسان منذ قديم الزمان، وقد عجز الإنسان عن تفسير تلك المظاهر، وقد اتجهت الفطرة الإنسانية – لصفائها– إلى إرجاع تلك المظاهر إلى الفعل الإلهي، غير أنه– نظراً لمحدودية العقل البشري– فقد تعددت الاتجاهات التفسيرية لتلك الظواهر الكونية، حيث

ذهب البعض إلى وجود آلهة مختلفة، كل إله مختص بعمل معين، فهناك إله للنور، وإله للظلمة، وهناك إله للبحر، وإله للبر، فكان عليهم إرضاء الآلهة حتى لا تغضب عليهم.

ولم تختلف النظرة الوثنية للطبيعة عن نظرة الماديين، إلا في رد القوى إلى آلهة. بينما نظرت الفلسفة المادية إلى تلك القوى على أنها: قوى كامنة في الأشياء فاعلة بذاتها، وللوقوف على التفاصيل سوف أقوم بعرض نماذج لتلك التصورات.

أ. السومريون.

اعتقد قدماء بلاد سومر أن سلطة الإله، كانت ترمز إليها لوحة سميت "لوحة الأقدار"، تمكن الإله من تسيير أمور الكون بامتلاكها، وكانت الكارثة في فقدانها، أو الاستيلاء عليها من قبل عدو آخر،...وإذا كان فقدان "لوحة الأقدار" أو الاستيلاء عليها، قد أخل بسير الكون، وأدخل الرعب إلى قلوب الآلهة، فقد استمر الإنسان على الاعتقاد بأن حسن سير الكون وتناغمه، يكمن في إرضاء الآلهة، وأن غضب الآلهة يعني عقاب البشر والانتقام منهم؛ بسبب تقصيرهم في أداء واجباتهم نحو الآلهة، في علاقة بدأت بتقديم القرابين إرضاء لهم، وتطورت هذه العلاقة فيما بعد، فعمد الإنسان إلى المحافظة على نقاء قلبه إرضاءً للإله، وإزالة "الظل من صدره" لأن الإله يريد ذلك، يكافئ من يتبع فرائضه ويعاقب من يخالفها، وأصبح الإله في وجدان البشر قاضياً وراعياً لهم، يسهر على إقامة العدالة فيما بينهم، ويقودهم إلى إنصاف الأرملة، وحفظ حقوق اليتيم، وإلى تطبيق العدالة التي شرعوا لها بمعونة الإله وباسمه، فيستحقون بذلك ثوابه، وفي صميم وجدانهم أيضاً استقرت رهبتهم من عقابه وانتقامه"[1].

[1] ديوان الأساطير: سومر وآكاد وآشور، الكتاب الثاني :الآلهة والبشر، قاسم الشواف، دار الساقي، بيروت،

يتضح من ذلك أن التصور السومري لقوة الإله -حسب ما ورد في القصة- ووجه الخطأ في في التفسير السومري، أنهم يرجعون مصدر قوة الإله إلى لوحة الأقدار، فالقوة الإلهية ليست ذاتية، بل محكومة بمقادير البشر وأحوالهم، فمن خلال "لوحة المقادير" يتحكم في حياة البشر، ولا يتوقف التصور عند هذا الحد، بل يتمادى لإمكانية سرقة تلك اللوحة، التي تجعل الآلهة عاجزين عن التدخل في الكون والتحكم فيه، وبالتالي فهم ينسبون كل ما يقع في الكون إلى وجود "لوحة الأقدار"، فهي التي تمكن من يملكها من القيام بالأشياء التي يريدها.

بينما التصور الإسلامي يعتبر قوة الله ﷻ من أسمائه وصفاته الحسنى، فلا يحتاج الله ﷻ إلى مصدر قوة إنما هي مشيئته ﷻ لتصريف الأمور، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (يس: ٨٢)، "وليس هناك شيء أخف في الكلام من ﴿كُن﴾ ، ولا أهون على لسان العرب من ذلك، فجعله الله تعالى مثلًا لأمره في السرعة".(١)

فأمر الله يقترن بالتحقق الفوري لحظة صدوره، والأقدار يقدرها الله تعالى وفقًا لمشيئته وحكمته ﷻ، فلا حاجة لوجود "لوحة للمقادير"، أما ما يخص اللوح المحفوظ فإن الله يكتب فيه كان وما يكون، فالأقدار المكتوبة وفقًا لمشيئة الله ﷻ.

ب. البابليون.

نظرت العقائد البابلية القديمة إلى البشر باعتبارهم خدم الآلهة، التي تعاقب

١٩٩٧م، ص ٣٠٧.

١ النكت والعيون، الماوردي، مرجع سابق، ٣٤/٥

على أتفه الذنوب، فعليهم أن يطيعوا رغبات السماء بكل دقة، وأن يلبوا نزواقم...، فإذا ما رأوا أحلاماً فإنهم يعمدون إلى الإرهاصات، والدلالات الطبيعية، فهي ترشدهم إلى الحقيقة، ولذا يجب الانتباه الكلي ليس إلى تغيرات القمر فحسب، بل إلى شكل الغيوم، فكل حركة وكل تنقل من الزاحفة تحت العشب، حتى الكواكب السابحة في ميدان النجوم تعطي إشارة لإرادة الآلهة، سواء أكانت حسنة أم سيئة، وهنا يظهر الفن أو العلم عبقريته، فيميز إذا كانت الإرادة خيرة أم لا، وعلى السحرة أن يتدخلوا، إما ليعجلوا مجيء الحظ السعيد وإما لدفع القوى المعادية التي تهدد الحياة، وليس المقصود حياة الأفراد أو عامة الشعب، بل حياة الملك الذي ينُاط به مصير الأمة بأسرها"[1].

يتضح من ذلك أن المصائب والكوارث الطبيعية تحدث نتيجة لغضب الآلهة من الإنسان، وذلك حين يقصر في خدمته للآلهة التي تغضب عليه، فترسل عليه تلك الكوارث، ويظهر ذلك في قصة الطوفان البابلية، حيث يذكر أنه: "ثار البشر ضد طغيان الآلهة وأهملوا واجباتهم، أو أنهم ارتكبوا الكثير والكثير من الموبقات والآثام، ولاسيما الفضول، مثل: الفضول الذي أطاح بآدم، فمن المحتم ليس معاقبتهم بشدة فحسب، بل تلاشيهم ومحوهم من الوجود ما عدا شخص واحد كان مستقيمًا، هو "أوم نابيشتي" وإبدالهم بقوم آخرين أكثر طاعة، والدرس القاسي الذي يبيت لهم يكفي لكبح جماحهم، ويكفل خضوعهم التام، هذا هو رأي "بل" إله الأرض، ففتح بالخفية عن بقية الآلهة جميع سدود السماء على مصراعيها، ولما رأت "عشتار" هذا المنظر الرهيب أرسلت صرخة قوية: "ألم أخلق البشر إلا ليملئوا البحر كالأسماك"، ولكن ما

[1] أساطير بابل وكنعان، شارل فيرولليو، تعريب ماجد خير بك، مطبعة الكتاب العربي، دمشق. ١٩٩٠م، ص ٢٥ بتصرف يسير.

حدث قد حدث، فنشطت العناصر من عقالها، حتى أن الآلهة خافوا من الغرق، فصعدوا حتى أعلى سماء، وهناك انطووا، لقد تجاوز "بل" بحقده كل المعايير، إذ ليس البشر وحدهم بمهددين بل الآلهة أيضا في أكبر خطر"[1].

ويُلاحظ على تلك القصة تقاربها من القصص الدينية في الكتب السماوية، من حيث أسباب الطوفان وحدوثه ونتيجته، إلا أنها تظهر بشكل جلي نقطة هامة وهي الطريقة العفوية والعبثية التي حدثت بها، حين قرر أحد الآلهة أن يفعل ما فعل، والنقطة الثانية: هي الذهول والرعب الذي انتاب باقي الآلهة، وتلك النظرة راجعة في المقام الأول إلى القصور في تصور الإله في الحضارات القديمة، وإضفاء الطابع البشري مع امتلاكهم بعض الصلاحيات التي يستطيعون بواسطتها القيام بما يفعلونه، وبالتالي فهم عُرضة لكل ما ينتاب الإنسان من مآسي وصعاب حياتية، من خوف وقسوة ورعونة، وغيرها من صفات النقص التي يضفونها إليهم.

بينما في العقيدة الإسلامية، فإن الله ﷻ يفعل ما يريد عن حكمة وبصيرة لا تخطيء، وكم من الأحداث التي لا يستطيع الإنسان أن يتفهم معناها في وقتها، ثم يُظهر الزمن أن ما حدث كان لحكمة عليا، ومشيئة حكيمة من إله حكيم، يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (البقرة: ٢١٦)، قيل في معنى الآية "لا تكرهوا الملمات الواقعة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك، ولرب أمر تحبه في عطبك"[2]، فلا يمكن أن تخطئ حكمة الله تعالى، فإذا وقعت في الكون كارثة أو مصيبة فإنها تكون لحكمة يقدرها ﷻ، ولا يمكن أن تنتج عن طيش – تعالى الله عما يصفون– أو فكرة طارئة، كما لا يمكن أن

---

[1] المرجع السابق، ص ٢٦.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق ٤١٨/٣

تكون نتائجها إلا إصلاح الكون وإصلاح حياة البشر.

وبالرغم من قول البابليين إن الكوارث والظواهر الطبيعية هي عقاب من الآلهة للبشر، إلا أنهم انحرفوا انحرافًا شديدًا في تصور الآلهة، سواء في تعددها أو الطريقة التي يتعاملون بها مع البشر.

ج. الإغريق.

تتحدث الأساطير اليونانية عن توالد الآلهة، ولاسيما الأرض والسماء، وعن مبدأ الظلام أو العدم، وعن تزاوج الأرض والسماء، وتصدر الآلهة الأخرى ابتداءً "بكرونوس" وانتهاءً "بزوس" رب الأرباب وحاكم السماء والأرض... ولا يرمز "زوس" إلى السلطة الكونية التي تتحكم بمقادير البشر وحسب، بل إلى مبدأ العدالة، والمساواة، والألفة، بين الآلهة والبشر"[1].

وتفسر الأساطير اليونانية الظواهر الطبيعية من رعد، وبرق، وزلازل، على أنها أسلحة في يد الآلهة يستخدمونها في حروبهم، أو ضد البشر، فتحكي الأسطورة عن كبير ألهتهم "زوس" أن أبيه "كرونوس" كان قد ابتلع أخوته خوفاً من تمردهم عليه، فأجبره "زوس" على أن يعيدهم، وبدأوا الحرب ضد "كرونوس" والمردة من أجل السيطرة على العالم، وكان هذا الصراع فظيعًا وعنيدًا، وقد ثبت أبناء"كرونوس" أقدامهم على الأولمب العالي، وانضم إلى جانبهم بعض المردة، وفي طليعتهم المارد "أوقيانوس"، وابنته "ستيكس" مع أولادها "زيلوس" (الحماسة)، "ونيكة" (النصر)، "وبيا" (القوة)، كان هذا الصراع خطيراً بالنسبة لآلهة الأولمب، فقد كان خصومهم أقوياء رهيبين، لكن "السيكوبات" جاءت لنجدة "زوس"، وقد صنعت له الرعود والبروق التي رما بها "زوس" المردة، واستمر

[1] تاريخ الفلسفة اليونانية، ماجد فخري، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٩١ م ،ص ١٥.

الصراع عشر سنوات، لكن لم ترجح لا كفة هؤلاء ولا كفة أولئك، أخيراً حزم "زوس" أمره، وأطلق من جوف الأرض "الهيكاتوشير" العمالقة ذوي الأيدية المئة، واستنجد بهم، وقد خرجوا بحجومهم الهائلة، كما الجبال من جوف الأرض، وانخرطوا في المعركة، كانوا ينتزعون الصخور الهائلة من السلاسل الجبلية، ويقذفون بها المردة، كانت الصخور تسقط بالمئات للقاء المردة، وهم مقتربون من الأولمب، كانت الأرض تئن، وكان الهدير يملأ الجو، وكان كل شيء يهتز، حتى التارتار (الجحيم) اهتز من هذا الصراع، راح "زوس" يقذف الصواعق النارية الواحدة تلو الأخرى والرعود، ذات الهزيم الذي يصم الآذان، وعمت ألسنة اللهب الأرض كلها، وراحت البحار تغلي، وغلف الدخان والنتانة كل شيء بغشاوة كثيفة"[1].

يتضح مما سبق أن الإغريق يميلون لتمثيل المحسوسات، من قوى ونصرة بكائنات سامية، ويضيفون لها صفات إلهية، كما يتضح -من خلال وصف المعركة السابق- وجود عدة مظاهر لاضطراب الطبيعة، منها: الرعود، والبروق، التي كان يقذفها "زوس"، ومنها اهتزاز الأرض، وغليان البحار، والبخار والنتانة التي عمت الأرض، وكل تلك المظاهر التي توصف بأنها كوارث طبيعية نتجت من تلك الحرب التي قام بها آلهة الأولمب ضد المردة.

ويتضح التصور البدائي للآلهة في الفكر اليوناني، وأن الكوارث من رعود وفيضانات وأوبئة وغيرها، هي أسلحة صُنعت لحمايتهم، ولاستخدامها في حروبهم ضد بعضهم البعض، وضد أعدائهم سواء من البشر أو من المردة، وتلك الأسلحة يصنعها إله معين، وكما تصيب تلك الكوارث البشر، فإنها من الممكن أن تصيب الآلهة أيضًا، ولذلك يمكن أن نفهم من خلال ذلك أن الكوارث الطبيعية قد تصيب الأرض، إذا أراد الإله أن يرسل كارثة، كما قد تصيبها بطريقة

[1] الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، نيهاردت، مرجع سابق، ص ١٤.

غير مقصودة كما حدث في حرب الآلهة مع المردة.

د. الفراعنة.

لم يُخالف الفراعنة في أن المصائب والكوارث الكونية من فعل الآلهة، أو أنها أسلحة لديهم يستخدمونها في معاركهم وحروبهم ضد بعضهم البعض، وتوضح لنا أسطورة "عشتارت" ذلك التصور، حيث تقول الأسطورة أن الإله "يم" عندما دخل أرض مصر أظهر- عند وصوله- غضباً عارماً، وحدة شديدة، وهدد بتدمير كل شيء، وأنه سيغمر السهل والجبل بأمواجه، وأنه يريد أن يفرض سيطرته على جميع الآلهة، وأوشك هؤلاء على الاستسلام، فتدخلت عندئذ ربة المحاصيل "إيرنولت"، وحاولت بشتى الطرق أن تخفف من تجبره، فقدمت له الهدايا المختلفة: الفضة، والذهب، واللازورد، ولكنها فشلت في كل محاولاتها فاستنجدت بـ "عشتارت"، وانتهى هذا الموقف الحاد بالزواج أو بتوحيد "عشتارت" وإله البحر[1].

وبذلك يتضح أن الفراعنة -أيضًا- رأوا أن الكوارث هي أسلحة في يد الآلهة، تستخدمها في حروبها ضد بعضهم البعض، وبالتالي فإن الإنسان يُصاب بتلك الكوارث نتيجة للحرب الدائرة بين الآلهة، ولو استمرت تلك الحرب لهلكت الأرض بسبب ما يصيبها من كوارث.

هـ. المجوس.

زعمت المجوس أن إبليس ما يزال في الظلمة والجو والخلاء، بمعزل عن سلطان الله، ثم لم يزل يزحف ويقرب بحيله حتى رأى النور، فوثب وثبة فصار في سلطان الله في النور، وأدخل معه هذه الآفات والشرور، فخلق الله ﷻ هذا

[1] انظر: أساطير بابل وكنعان، شارل فيرولو، مرجع سابق، ص ٨٦.

العالم شبكة به فوقف فيها، وصار متعلقاً بها لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه، فهو محبوس في هذا العالم، مضطرب في الحبس يرمي بالآفات، والمحن، والفتن، إلى خلق الله، فمن أحياه الله رماه بالموت، ومن أصحه رماه بالسقم، ومن سره رماه بالحزن، فلا يزال كذلك إلى يوم القيامة، وكل يوم ينقص سلطانه حتى لا يبقى له قوة، فإذا كانت القيامة ذهب سلطانه، وخمدت نيرانه، وزالت قوته واضمحلت قدرته، فيطرحه في الجو، والجو ظلمة ليس له حد ولا منتهى"[1].

فالمصائب والبلايا بشكل عام ترجع إلى أفعال إبليس-حسب تسمية الشهرستاني- الذي لديه مخزون من الأسلحة المتنوعة، والتي تتمثل في الموت، والأمراض، والأحزان، ويُمكن أن تشمل جميع أصناف المصائب التي تحدث للإنسان في حياته، فهو يستخدمها ضد البشر في محاولة للانتقام من حبسه في هذا العالم، وتلك الأسلحة قابلة للنفاد، وسوف تنفد عند نهاية العالم.

المطلب الثاني: تفسير المسيحية واليهودية للكوارث الكونية.

لقد تطور الفكر البشري بالرسالات السماوية، حيث نسبوا الأفعال كلها إلى الله ﷻ، فقد تم تفسير ما يقع لهم من خير أو شر بأنه نتيجة لإرادة الله ﷻ، فعند رضائه يعم عليهم الخير والبركة، وعند غضبه يصب عليهم العذاب بعدة أشكال.

وقد ورد العديد من النصوص اليهودية والنصرانية، التي تبين أسباب معاقبة الله للناس بالمصائب والكوارث الكونية، كالزلازل، والأوبئة، وغيرها.

ومن أهم تلك الأسباب: الشرك بالله، حيث يذكر سفر التثنية: (١٦

[1] الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٦٣.

اغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس، ١٧ ذبحوا لأوثان ليست الله، لآلهة لم يعرفوها، أحداث قد جاءت من قريب لم يرهبها آباؤكم، ١٨ الصخر الذي ولدك تركته ونسيت الله الذي أبداك، ١٩ فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه و بناته، ٢٠ وقال احجب وجهي عنهم وانظر ماذا تكون آخرتهم، إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم، ٢١ هم أغاروني بما ليس إلها، أغاظوني بأباطيلهم فانا أغيرهم بما ليس شعبًا بأمة غبية أغيظهم، ٢٢ انه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد إلى الهاوية السفلى، وتأكل الأرض وغلتها وتحرق أسس الجبال، ٢٣ اجمع عليهم شرورًا وأنفذ سهامي فيهم، ٢٤ إذ هم خاوون من جوع ومنهوكون من حمى وداء سام، أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض، ٢٥ من خارج السيف يثكل، ومن داخل الخدور الرعبة، الفتى مع الفتاة والرضيع مع الأشيب، ٢٦ قلت أبددهم إلى الزوايا وأبطل من الناس ذكرهم، ٢٧ لو لم اخف من إغاظة العدو من أن ينكر أضدادهم من أن يقولوا: يدنا ارتفعت و ليس الرب فعل كل هذه، ٢٨ إنهم امة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم، ٢٩ لو عقلوا لفطنوا بهذه و تأملوا آخرتهم) (تثنية: ٣٢: ١٧-٢٩).

وتفسير ذلك أن "الرب قال لا أعود أرعاهم أو أبالي بما حدث لهم، بل سأتطلع لما سيحدث بهم من بلايا نتيجة أفعالهم، أنهم غير ثابتين على إيمانهم، بل هم أولاد خائنون غير أوفياء نسوا محبة الله لهم،... وإن أعمالهم الشريرة تشعل نار الغضب الإلهي فتحرق حتى إلى أعماق الجحيم، كأنها تمتد من فوق سطح الأرض لتصل إلى عمق الجحيم، فتصبح الأرض التي يعيشون عليها كأنها جزء من الجحيم، وذلك من هول العذابات التي سيتعرضون إليها، وفي امتدادها من سطح الأرض تأتي على الحقول ومحاصيلها، وتهدم الجبال من أسسها فوق رؤوسهم، ويسلط الرب عليهم البلايا والويلات لتهاجمهم كالجيوش الكثيرة، كما

يصوب ضرباته نحوهم فتصيبهم المصائب، فإذا هم منهكون"[1].

فالبلايا والويلات التي أصاب بها الرب ﷻ الناس؛ نتيجة لما فعلوه من ذنوب وخطايا في حق الرب، ولذا كان عليهم أن يتحملوا نتيجة ذلك، وهي إصابتهم بالعديد من المصائب والكوارث، فتصبح الأرض كأنها جزء من الجحيم، وبذلك يتضح أن الذنوب التي يقترفها الناس هي سبب العقوبات التي يرسلها الرب، وقد تكون في عدة صور وأشكال: كالفقر أو تغلّب الأعداء، أو التيه كما حدث لبني إسرائيل، كما أن هناك ذنوب تسببت في إرسال العقوبات الإلهية متمثلة في كوارث طبيعية، مثل: الطوفان، فقد ورد في الإصحاح السادس من سفر التكوين: (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وولد لهم بنات، ٢ إن أبناء الله رأوا بنات الناس إنهن حسنات؛ فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا، ٣ فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه، هو بشر وتكون أيامه مئة و عشرين سنة، ٤ كان في الأرض طغاة في تلك الأيام و بعد ذلك أيضًا، إذ دخل بنو الله على بنات الناس، وولدن لهم أولادًا، هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم، ٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، ٦ فحزن الرب انه عمل الإنسان في الأرض و تأسف في قلبه، ٧ فقال الربُّ أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم و دبابات و طيور السماء؛ لأني حزنت أني عملتهم). (تكوين: ٦: ١-٨).

يُظهر النص أن الذنوب التي قام بها البشر؛ هي السبب فيما أُرسل عليهم من عذاب، فلما كثر الخبث بين الناس وشاعت الفاحشة، وكثر الطغاة بين

[1] الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم شرح لكل آية، الجزء الثالث، العدد والتثنية، مجموعة من كهنة وخدام كنيسة مارمرقص، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ٥٧٢.

الناس أهلكهم الله ﷻ بالطوفان، فكان الطوفان هو الكارثة التي أرسلها الله تعالى على العاصين والطغاة؛ جزاءً وفاقًا على ما ارتكبوه.

والسبب في ندم الله وتأسفه– تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً– الذنب والعصيان، وانتشار الشر، "فلم يكن ممكنًا لله القدوس أن يطيق الشر الذي كثر على الأرض، ولا يتحمل الالتقاء مع النفس التي خلقها، كمسكن له أن يرى تصورها شريراً كل يوم، لهذا حزن أنه صنع الإنسان في الأرض، وحينما يقول الكتاب: "حزن"، أو "تأسف قلبه"، أو "ندم"، لا نفهم هذه التعبيرات كانفعالات غضب، وإنما هي لغة الكتاب الموجهة لنا نحن البشر؛ لكي نفهم وندرك مرارة الخطية في ذاتها، وعدم إمكانية الشركة بين القداسة الإلهية والفساد الإنساني"[1].

ثم يذكر "سفر التكوين" أن الأرض قد فسدت بما فعله الناس، وكان هذا الفساد هو السبب الذي من أجله قدر الله ﷻ أن يهلك هؤلاء الطغاة، وينجي نوح وأسرته: (١١ وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلمًا، ١٢ ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت إذ كان كل بشر قد أفسد طريقه على الأرض، ١٣ فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي؛ لأن الأرض امتلأت ظلمًا منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض، ١٤ اصنع لنفسك فلكًا من خشب جفر، تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل و من خارج بالقار، ١٥ وهكذا تصنعه ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك، وخمسين ذراعًا عرضه، وثلاثين ذراعًا ارتفاعه، ١٦ وتصنع كوًا للفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق، وتضع باب الفلك في جانبه مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله، ١٧ فها أنا آت بطوفان

---

[1] من تفسير وتأملات الآباء الأولين، التكوين، القمص تادرس يعقوب مالطي، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، ١٩٨٣، ص ١٠٢

الماء على الأرض؛ لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كل ما في الأرض يموت، ١٨ ولكن أقيم عهدي معك، فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك، ١٩ ومن كل حيّ من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك؛ لاستبقائها معك تكون ذكرًا وأنثى، ٢ من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها، ٢١ وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل، واجمعه عندك فيكون لك ولها طعامًا، ٢٢ ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله هكذا فعل). (تكوين: ٦: ١١-٢٢).

يقول القمص تادروس مالطي: "لقد كشف له أنه وإن كان يهلكهم مع الأرض، فإن الهلاك هو ثمرة طبيعية لفساد هم اختاروه، ويظهر ذلك في قوله: "نهاية كل بشر قد أتت أمامي"، وكأنه يقول: لم أكن أود هذا لكنهم صنعوا بأنفسهم هلاكًا يجلب نهايتهم، اختاروه بمحض إرادتهم[١].

ويعد الجحود والتذمر من الله ﷻ -تعالى الله عما يقولون- أحد أسباب عقاب الله للإنسان، وقد جاء في دليل العهد القديم، أن "سفر العدد قصة واحدة طويلة من شكاوى وتذمر الشعب، بالرغم من العجائب التي تمت معهم وقت خروجهم من أرض مصر، ولهذا ثلاث فقط بقوا على قيد الحياة عند ختام السفر هم: موسى النبي، ويوشع بن نون، وكالب بن يفنة، اثنان فقط من هؤلاء تمتعا بدخول أرض الموعد، حيث أن موسى النبي لم يدخل الأرض"[٢].

"بلغ التطاول والتذمر شدته، وبدلاً من أن يسمع الشعب ليشوع وكالب، الشاهدين والأمينين، انقلب بالأكثر عليهما، بل وطالب برجمهما حتى الموت،

---

[١] انظر: المرجع السابق، ص ١٠٢.

[٢] دليل العهد القديم، ملاك محارب، مكتبة النسر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٥٧-٥٨.

فإذا رأى الله كل هذا التذمر، بل محاولة قتل يشوع وكالب تدخل سريعًا، فظهر بمجده في الخيمة لكل الشعرب، وبدأ الرب حديثه مع موسى معلناً غضبه على الشعب، وموضحا لموسى الشر العظيم الذي وقعوا فيه، وأظهر الرب غضبه باستخدام تعبير صعب، إذ اعتبر أن ما صنعه الشعب هو إهانة لشخصه القدوس، إذ تذمرهم هو عدم إيمان بقدرة الله أو تصدير لوعوده المقدسة، وعدم عرفان وشكر لكل ما سبق وصنع بهم، وأعلن الله لموسى عن عقابه المزمع أن يقوم به وهو وباء يرسله ليبيد الشعب، ويجعل من موسى، وهارون، والأمناء من الشعب، بداية جديدة لشعب جديد أعظم وأكبر عدداً، كما فعل مع نوح سابقاً عند تجديد الخليقة، فالله في عدله لا يشمل عقابه الكل بل الخطاة وحدهم، أما من كانوا أمناء وحفظوا عهوده، يحفظهم الله من التجربة الصعبة ولا يعاقبهم"[1].

فقد كان الوباء الذي أرسله الله ﷻ عليهم عقابًا لهم، جزاء ما صنعه الشعب من إهانة لشخصه القدوس، فكان جزاءهم هذا الوباء كعقاب لهم على إهانتهم، بالتالي يتضح التصور اليهودي المسيحي للكوارث على أنها عقاب يرسله الله ﷻ؛ نتيجة للذنوب التي يرتكبها الإنسان.

واستخلص مما سبق: أن نظرة اليهود والنصارى للمصائب والكوارث الكونية، أنها من قدر الله ﷻ وصنعه، يرسلها الله ﷻ إذا كثرت الآثام والمعاصي التي يقترفها الإنسان، غير أن الإسلام بصفاء عقيدته، يجعل المسلم متقبل لهذا القدر راضيًا به، مع أخذه بالأسباب الدافعة لتلك الكوارث، فبالرغم من كونها من قدر الله إلا أنه يجب تجنب أسبابها الدينية والدنيوية، فواجب المسلمين أن يتقوا الأوبئة، والعمل على الحد من آثار الفيضانات بالسدود،

---

[1] الموسوعة الكنسية، مجموعة من كهنة وخدام كنيسة مار مرقص ، مرجع سابق، ص ١٣١.

وغيرها، كما عليهم وقاية أنفسهم من الأمطار والسيول، هذا مع التسليم بأن كل شيء من قدر الله ﷻ.

المطلب الثالث: التفسير الإسلامي للكوارث والمصائب الكونية.

أ. المصائب من قدر الله:

يقوم تصور المسلم لحدوث الكوارث أو غيرها من الظواهر الطبيعية، على إرجاعها إلى مصدرها الحقيقي وهو الله ﷻ، فلا يحدث أدنى شيء في الحياة الدنيا إلا بأمر الله وإرادته، ولا راد لأمره، ولا معقب لحكمه ﷻ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القمر: ٤٩)، وقد ورد أن هذه الآية نزلت في المشركين الذين خاصموا النبي ﷺ في القدر،[1] ومعتقد أهل السنة "أن الله —سبحانه— قدر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى، وقدرته وإرادته دون خلقه".[2]

ومن الآيات التي تضيف كل شيء إلى الله ﷻ، قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الفرقان: ٢)، "أي كل شيء مما سواه ﷻ مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه، ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتسخيره، وتدبيره وتقديره".[3]

ومن الأحاديث ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "إن

---

١ انظر: تفسير القران العظيم،ابن كثير ،مرجع سابق ٤/١٦٢.

٢ الجامع لأحكام القران، القرطبي، مرجع سابق١٧ / ١٤٨ .

٣ الجامع لأحكام القران،القرطبي ،مرجع سابق ١٧/١٤٨.

أول ما خلق الله من شيء القلم، فقال: اكتب، فقال: يارب وما اكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة".(١)

وقد وقع خلاف بين العلماء، في أيهم كان في الخلق أولاً: القلم أم العرش؟ وقد حسم الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله- هذه المسألة في نونيته، قائلاً: (٢)

والناس مختلفون في القلم الذي	كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده	قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبل لأنه	قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت	إيجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال اكتب كذا	فغدا بأمر الله ذا جريان
فجرى بما هو كائن أبدا إلى	يوم المعاد بقدرة الرحمن

وعن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز".(٣)

ويحتمل أن العجز هنا على ظاهره، وهو عدم القدرة. وقيل: هو ترك ما يجب فعله، والتسويف به وتأخيره عن وقته، قال: ويحتمل العجز عن الطاعات، ويحتمل العموم في أمور الدنيا والآخرة. والكيس ضد العجز، وهو النشاط

---

١ المستدرك على الصحيحين، الحاكم، ٢/ ٤٩٨. قال: صحيح على شرطيهما، ووافقه الذهبي.

٢ انظر: القصيدة النونية، ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ١/ ٦٥.

٣ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، حديث رقم ٤٧٩٩.

والحذق بالأمور، ومعناه أن العاجز قد قدر عجزه، والكيس قد قدر كيسه.[1]

وبما أن موضوعنا عن الكوارث والمصائب، فهي بلا شك من قدر الله ﷻ، يقول تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾﴾ (الحديد: ٢٢)، وقوله ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يعني: قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ يعني: الأمراض وفقد الأولاد، ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾، يعني: اللوح المحفوظ".[2]

فإذا ما اصابتهم المصيبة فإنهم يردون كل شيء لله ﷻ، يقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (البقرة: ١٥٦)، "أي تسلوا بقولهم هذا عما أصابهم، وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبيده، وأنهم إليه راجعون في الدار الآخرة، ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (البقرة: ١٥٧) أي: ثناء من الله عليهم ورحمة[3].

ب. الكون كله يسير بأمر الله:

الكون كله مخلوق لله، ويسير بأمر الله ﷻ، وكما سبق الإشارة إليه فإن علاقة المسلم بالكون هي علاقة مخلوق بمخلوق، لا يستطيع أيًا منهما أن يفعل

١ انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ٥/٩.

٢ معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ، ٤٠/٨

٣ انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٤٦٧/١.

شيئًا إلا بمشيئة الخالق ﷻ، وتلك العقيدة يتعلم منها المسلم أمرين، الأول: أن ما يحدث في الكون من كوارث أو أحداث هي بأمر الله ﷻ، والثاني: أن الإنسان وإن كان مطلوب منه القيام باتخاذ كافة الإجراءات اللازمة لحمايته من تلك الكوارث، إلا أن نجاته في النهاية تتعلق بمشيئة الله ﷻ، ولذلك فإن أهم ما يقوم به المسلم هو اللجوء إلى الخالق طلبًا للحماية من المخلوق.

فإن الله ﷻ خالق الكون ومدبره، فالكون كله مسخر لله، ولا يخرج عن أمره ﷻ، فيقول تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) ﴾ (فصلت: ٩-١١).

فقوله تعالى: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ "يعني أعطيا الطاعة طوعاً أوكرهاً، يعني ائتيا بالمعرفة لربكما، والذكر له طوعاً أوكرهاً: ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فأعطيا الطاعة بالطوع"[١].

وقوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١)، "قال الله للسماوات أطلعي شمسي وقمري، وأطلعي نجومي، وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك، فقالتا: أعطينا طائعين"[٢].

فالتخيير في الآية ليس في الإتيان، فالسماء والأرض سوف تأتيا، إلا أنهما خُيرا في أن يأتيا طوعًا أو كرهًا، وهذا هو الفرق بين المؤمن والكافر، فالمؤمن

---

[١] بحر العلوم، السمرقندي، مرجع سابق، ٣/ ١٧٨.

[٢] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٢٠/ ٢٩١.

يسير على الطريق المستقيم طائعًا غير مكره، محبًا لكونه طائعا، يجد في الطاعة متعته ولا يستبدلها بمتعة أخرى، أما الكافر فلا يطيع إلا إذا رأى العذاب حاق به، فلا يملك إلا الإذعان كارهًا الطاعة راغبًا في العصيان.

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأعراف: ٥٤).

"يقول تعالى ذكره: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم، مسخراً كل ذلك بأمره، أمرهن الله فأطعن لأمره، ألا له الخلق كله، والأمر الذي لا يخالف، ولا يرد أمره دون ما سواه من الأشياء كلها، ودون ما عبده المشركون من الآلهة والأوثان، التي لا تضر ولا تنفع، ولا تخلق ولا تأمر، تبارك معبودنا الذي له عبادة كل شيء رب العالمين"[1].

ولأن الكون مخلوق لله ﷻ؛ فقد يجعل من عباده من له سيطرة على تلك المظاهر الطبيعية بإذن الله ﷻ، فقد سخر الله ﷻ الريح لسليمان تجري بأمره، ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (ص: ٣٦).

وهكذا إذا شاء الله لإنسان أن يتحكم في بعض مظاهر الطبيعة، ويستفيد منها سواء بالتسخير المباشر لأمره كما حدث مع سليمان عليه السلام، أو عن طريق التقدم العلمي الذي يجعل الإنسان قادرًا على إنشاء مصدات للأمواج، أو مصارف للأمطار، يستطيع بها تجنب الكثير من الأضرار المدمرة للكوارث الكونية، ومن هنا فإن العقيدة الإسلامية وصلت إلى توازن بين الإيمان بقضاء الله

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق ١٠/ ٢٤٦.

ﷻ فيما يقدره من كوارث على الناس، وبين وجوب الأخذ بالأسباب في مواجهة مخاطر الطبيعة.

وقد أخرج البخاري في صحيحه، عن زيد بن خالد ﷺ، قال: "خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية، فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى بنا رسول الله ﷺ الصبح، ثم أقبل علينا فقال: أتدرون ماذا قال ربكم؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: قال: الله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مُطرنا برحمة الله وبرزق الله، وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مُطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي"[1].

فالسماوات والأرض طائعة لله ﷻ، لا يحدث فيها شيء إلا بأمره ﷻ، فالسماء تشرق بشمسها، وتخرج نجومها بأمره تعالى، كما أنها ترسل الأنواء، والرياح المهلكة بأمره إذا شاء، والأرض تخرج خيرها لبني آدم، كما قد تأتي بالهلاك في صورة زلزال، أو فيضان، أو أي أمر آخر حسب مشيئته.

ج. العقاب بأمر الله تعالى.

إن الله وحده من يملك معاقبة الناس بأي وسيلة شاءها ﷻ، سواء كانت الأوبئة، أو الزلازل، أو الأعاصير، أو غيرها. وقد دلت الآيات القرآنية على أن العقاب الذي يأتي القوم إنما هو بأمره تعالى، فيقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾.(هود: ٤٠).

---

[1] الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، وقوله تعالى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (الفتح: ١٨) ٣/ ١٢٧.

وفي التفسير: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا ﴾، "يعني قولنا بالعذاب، ويقال: عذابنا وهو الغرق"[1]. فالعذاب جاء بأمر من الله ﷻ، وهو شيء مقدر على الكافرين في جميع الأمم.

ففوران التنور جاء بعد أمر الله ﷻ، فإن فورانه المؤذن بحدوث الطوفان، وهلاك الكافرين ما هو إلا تنفيذًا لأمر الله ﷻ، ولا يمكن أن يحدث شيء إلا بأمره ﷻ.

ويقول تعالى: ﴿ أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨ ﴾. (النساء: ٧٨).

"فقد جعلوا ما يصيبهم من المصائب بسبب ما جاءهم به الرسول ﷺ، وكانوا يقولون: النعمة التي تصيبنا هي من عند الله، والمصيبة من عند محمد، أي بسبب دينه وما أمر به، فقال تعالى: قل هذا وهذا من عند الله لا من عند محمد"[2].

والمعنى: "﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ ﴾ أي خصب ورزق من ثمار، أو زروع، أو أولاد ونحو ذلك، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ ﴾، أي: قحط وجدب، ونقص في الثمار والزروع، أو موت أولاد أو نتاج أو غير ذلك، ﴿يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ ﴾، أي: من قبلك وبسبب إتباعنا لك واقتدائنا بدينك، ﴿قُلۡ كُلّٞ

---

[1] بحر العلوم، السمرقندي، ، مرجع سابق، ٢/ ١٢٦.

[2] التفسير الكبير، أحمد عبد الحليم بن تيمية ،تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ٣/ ٢٨٨.

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، أي الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذ في البر والفاجر والمؤمن والكافر، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، أي: الحسنة والسيئة[1].

فهذا التطيُّر المذموم، خصوصًا إذا كان التطير ممن يدعون إلى الخير والحق، والهدى ليدل على الغفلة والجهل، فكل شيء يصيب الإنسان قدر من الله ﷻ، يوقعها الله ﷻ كعقاب على ما اقترفوه من معاصي وآثام.

وهنا يجب التفرقة بين وقوع مصيبة أو ابتلاء بقدر الله، وبين فعل الله للشر من عدمه، فكل ما يفعله الله ﷻ خير، وفي هذا يذكر ابن القيم أن: "الشر حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعلم أن الشر ليس إليه، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك، فإن منها القدوس والسلام، العزيز الجبار المتكبر، فالقدوس المنزه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير هو الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة، وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة، ومنه بيت المقدس؛ لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب، ومن أمّه لا يريد إلا الصلاة فيه رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومنه سميت الجنة حظيرة القدس؛ لطهارتها من آفات الدنيا، ومنه سُمي جبريل روح القدس؛ لأنه طاهر من كل عيب، ومنه قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (البقرة: ٣٠)، فقيل: المعنى ونقدس أنفسنا لك، فعدى باللام، وهذا ليس بشيء، والصواب أن المعنى نقدسك وننزهك عما لا يليق بك، وهذا قول جمهور

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٣٦٢.

أهل التفسير"[1].

فإن الإله القادر الحكيم لا ينسب إليه شر، أما ما يقع للناس من أحداث كالزلازل والبراكين، والآفات التي تهلك الملايين فكلها لا يقال عنها شر، "فما أراد أن يخلقه ويفعله خيراً من أن لا يخلقه ويفعله، وما لم يرد أن يخلقه ويفعله كان أن لا يخلقه ويفعله خيراً من أن يخلقه ويفعله، فهو لا يفعل إلا الخير، وهو ما وجوده خير من عدمه، فكل ما كان عدمه خيراً من وجوده، فوجوده شر، فهو لا يفعله بل هو منزه عنه، والشر ليس إليه، فالشر- وهو ما كان وجوده شراً من عدمه- ليس إليه، إذا كان هذا مستحقاً للعدم لا يشاؤه ولا يخلقه، والمعدوم لا يضاف إلى فاعل فليس إليه، ولكن الخير بيديه- وهو ما كان وجوده خيراً من عدمه"[2].

فالشر هو: "ما كان عدمه خيرًا من وجوده"، فما أوجده الله هو ما كان وجوده هو الأفضل وهو الخير، وبالتالي فإن وقوع الأمور أياً كان شكلها فيها كل الخير للإنسان، أما إذا كان المقصود بكلمة الشر ما يحصل للناس من مصائب أو بلايا، فإنها كلها من قدر الله ﷻ، ولا يصح وصف تلك المصائب أو البلايا بالشر، ولكنها تقع لحكمة منه ﷻ وليست شراً، وعدمها ليس أفضل من وجودها، بل نسلم بقدر الله تعالى، وأنه خلقها.

ومما يظهر لي أن الاستخدام السليم لكلمة شر تتعلق بالجوانب الداخلية للإنسان، فالشر يوازي إرادة المعصية أو إرادة الشرك، أما في مجال الأفعال، فالأفعال الشريرة هي التي تعبر عن النية الشريرة، فلا يكون العمل شريرًا في

---

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق ص ٣٦٠.

[2] جامع الرسائل لابن تيمية، رسالة في معنى كون الرب عادل، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة، ١٣١.

نفسه، وإنما إلى نية الشر أو نية الخير، فالعمل الواحد الصادر من شخص معين قد يوصف بالشر، كما قد يوصف بالخير إذا صدر من آخر بنية آخرى، كالقتل إذا كان ظلمًا وعدوانًا بهدف الانتقام أو السرقة فإنه يكون شرًا، أما إذا كان جهادًا في سبيل الله، أو تنفيذًا لحكم القاضي في قصاص أو غيره، فإنه لا يكون شرًا.

فحتى يصح وصف الشيء بالشر، فإنه لا يُنظر إلى نتائجه، وإنما إلى وجوده وعدمه، فما أوجده الله فهو خير، ومن هنا فإننا نقر أن الله ﷻ لا يصنع الشر ابتداءً، ونقول إن كل ما يحدث للإنسان سواء ما يعده خيرًا أو شرًا فإنها من عند الله وقدره، وقد أوجده لحكمته ﷻ.

"فلا عذر لأحد بما قدره الله ﷻ من ذلك، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وكل أفعاله تعالى عدل وحكمة، لأن الله تعالى واضع كل موجود في موضعه، وهو الحاكم الذي لا حاكم عليه ولا معقب لحكمه، قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾(هود: ١٠٧)"[1].

[1] المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق محمد منير الدمشقي، الطباعة المنيرية، القاهرة ١/ ٣٨.

د. السنة الإلهية في العقاب على الذنوب.[1]

إن المصائب والكوارث الكونية مظهر من مظاهر قدرة الله وعظمته، وهي جند من جنوده يسلطه على من يشاء من العصاة والكافرين، بما كسبته أيديهم، وقد أكدت العديد من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، أن الكوارث والمصائب هي عقاب من الله ﷻ للعصاة، والطغاة، والكافرين ومن على شاكلتهم.

فسنة الله تقتضي أنه إذا ظهر الفساد في الناس، يجب أخذهم بالعقاب حتى يرجعوا إلى ربهم، فيقول تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم: ٤١)، ويقول ابن كثير: "أي بأن النقص في الثمار أو الزروع بسبب المعاصي"[2].

"يعني: يعذبهم ببعض ذنوبهم في الدنيا، ويدخر البعض في الآخرة، والذوق إنما هو كناية عن التعذيب، فكأنه يقول: يعذبهم بالجوع والقحط في الدنيا

---

[1] انظر: الايات التي تذكر الذنوب كأحد أسباب العقاب كثيرة، نشير إلى بعض منها، نحو قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ (آل عمران: ١١)﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٦)﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الأنفال: ٥٢)﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الأنفال: ٥٤)﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ (غافر: ٢١).

[2] تفسير القرآن العظيم، ا بن كثير، مرجع سابق، ٦/٣٢٠.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، أي: لكي يرجعوا عن الكفر[1]. فالسبب في ظهور الفساد أن يذيق الناس بعض الذي عملوا، والحكمة من ذلك تنبيههم من غفلتهم ليرجعوا إلى طريق ربهم، ومن هنا يكون السبب المباشر فيما يحدث من فساد، والذي يسبب الكوارث الكونية هو وذنوب الناس ومعصيتهم، أما إذا استقاموا فإن الكون يستقيم لهم.

ويقول تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الروم: ٣٦) يذكر المفسرون أن قوله: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ فيها وجهان، أحدهما: بلاء وعقوبة، والثاني: قحط المطر، ويُحتمل ثالثًا أنها الخوف والحذر[2].

وهذا دأب الإنسان في مواجهة ما يصيبهم من مصائب أو كوارث، فبدلاً من الانتباه إلى ما قدموه من ذنوب ومعاصي فإنهم يقنطون، ولذلك فإن المؤمن هو من يعبد الله تعالى في السراء والضراء، ويعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله تعالى له وعليه.

هـ. أفعال العباد التي تؤدي إلى العقاب.

لقد وضع أهل السنة والجماعة قاعدة عظيمة عند حديثهم عن القدر، من الأهمية بمكان أن نشير لها سريعًا، وهي أن الله ﷻ "ربط الأسباب بمسبباتها شرعًا وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الديني والشرعي، وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه، فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد

---

[1] انظر: بحر العلوم، السمرقندي، مرجع سابق، ٣/ ١٤.

[2] انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، مرجع سابق ،ص١٨٨. وانظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، مرجع سابق، ٢/٢١٥.

للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع والجزاء". [1]

والقرآن مملوء من إثبات الأسباب، كقوله ﷻ: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ١٠٥) ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٩) ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ (الحج: ١٠) ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (الشورى: ٣٠) ﴿ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا ﴾ (النساء: ١٦١)...يقول ابن القيم: "ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة، لزاد على عشرة آلاف موضع، ولم نقل ذلك مبالغة بل حقيقة، ويكفي شهادة الحس والعقل والفطر، ... وأنت لا تجد كتابًا من الكتب أعظم إثباتًا للأسباب من القرآن، ويا لله العجب! إذا كان الله خالق السبب والمسبب، وهو الذي جعل هذا سببًا لهذا، والأسباب والمسببات طوع مشيئته، وقدرته منقادة لحكمه، إن شاء أن يبطل سببية الشيء أبطلها، كما أبطل إحراق النار على خليله إبراهيم، وإغراق الماء على كليمه وقومه، وإن شاء أقام لتلك الأسباب موانع تمنع تأثيرها مع بقاء قواها، وإن شاء خلى بينها وبين اقتضائه لآثارها، فهو -سبحانه- يفعل هذا، وهذا، وهذا". [2]

ولقد جرت سنة الله ﷻ على أنه كما يُثاب الصالحين، فإنه يجب عقاب العاصين، كما جرت سنته ﷻ على أن الأمور تقع بأسبابها، إلا أنها كلها تتم بمشيئة الله ﷻ ووفق حكمته، ولذلك فإن أي حدث يقع للإنسان فإنه يقع وفق إرادة الله ﷻ، وفقًا للأسباب التي قدرها ﷻ والمتمثلة في أفعال العباد.

يقول ﷻ: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم

[1] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن القيم، مرجع سابق، ص١٨٨.

[2] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن القيم، مرجع سابق، ص١٨٩.

مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ (العنكبوت: ٤٠)، يذكر الطبري في تفسيره: فأخذنا جميع هذه الأمم التي ذكرناها لك يا محمد بعذابنا، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، وهم قوم لوط الذين أمطر الله عليهم حجارة من سجيل منضود، والعرب تسمي الريح العاصف التي فيها الحصى الصغار، أو الثلج أو البرد والجليد، حاصباً[1].

والأخطاء من الإنسان لها وجهان، الوجه الأول: هو المعصية بشكلها العام كإنتشار الفاحشة في المجتمع، والوجه الثاني: هو الأخطاء التي تقع في واجباته الحياتية، كالإهمال في الاحتياط للكوارث والمصائب، وقد يتسبب كل من نوعي الخطأ في وقوع كوارث ومصائب؛ ولذلك فلا يصح رد سبب الكارثة إلى أمر واحد بإطلاق، وهو الخطايا إلا في حالين:[2]

- في مثل قوم كفروا بالله وبرسوله، وأطبقوا على الاستكبار، كحال الأقوام الذين عمهم الله بالبلاء في الأمم السابقة، فينتقم الله منهم.
- أو بمعنى أن المصيبة العامة، تصيب جميع الناس من مسلمين، فسببها الخطايا، فيطهرهم بها.

فإذا كانت الكوارث تقع بسبب أعمال الناس، فإن العقاب ينزل على قدر الذنب وحسب المعصية، فعقاب الكافرين الجاحدين يختلف عن عقاب المؤمن العاصي، فيكون العقاب من جنس العمل، كما أن درجات المعاصي تختلف، فتختلف معها درجة العقوبة، ومن الأفعال التي ينال صاحبها العقاب:

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٨/٤٠٠.

[2] انظر: كارثة جدة والعلاقة بين المصيبة والخطيئة، لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجة، موقع صيد الفوائد، http://www.saaid.net/Doat/khojah/٩٢.htm.

أولاً: الشرك بالله.

الشرك بالله ﷻ هو أكبر الذنوب التي يمكن أن يقترفها الإنسان، فلا يوجد ذنب يعادله، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٣)، أي هو أعظم الظلم[1]، ولأن الشرك أعظم الذنوب فإن المشرك يستحق أعظم العذاب، ولذلك استحق في الآخرة الخلود في النار، أما في الدنيا فقد جرت السنة الربانية، أن من يتخذ مع الله ﷻ ندًا، فإن جزاءه يكون الاستئصال بأشد أشكال العذاب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "اعلم رحمك الله أن الشرك بالله أعظم ذنب عصي به الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ (النساء: ٤٨)، وفي الصحيحين: أنه ﷺ سئل: "أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك"، والند المثل، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (البقرة: ٢٢)، وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ (إبراهيم: ٣٠)، فمن جعل لله نداً من خلقه فيما يستحقه ﷻ، من الإلهية والربوبية فقد كفر بإجماع الأمة"[2].

ولا توجد عقوبة دنيوية معينة قد رُتبت على ذنب الشرك بالله ﷻ، وإنما العقاب مذكور في جملة ذنوب أخرى، هذا ولم نعدم بعض الإشارات من بعض المفسرين حول عقوبة الشرك في الدنيا، يقول الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٦/٣٣٦.

[2] مجموع الفتاوى ،ابن تيمية، مرجع سابق، ١/ ٨٨.

الله- لدى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ (الأنفال: ٥٠)، "وهذا بيان لأول ما يعرض لهم من العذاب في أول مرحلة من مراحل عالم الغيب، بعد بيان ما يكون من عذابهم وخذلانهم في الأرض. وضرب له المثل بآل فرعون، وما كان من عذابهم في الدنيا، **وقد صدق خبر الله الذي أوحاه إلى رسوله في سوء عاقبة المشركين في الدنيا، وسيصدق خبره عنهم في الأخرى فلله الآخرة والأولى**".[1]

وتظهر تلك السُنة في تتبع الأقوام التي ذكرهم الله ﷻ في القرآن الكريم، فقد دعا نوح عليه السلام قومه لسنوات عديدة، فلما يئس منهم دعا الله لإهلاكهم؛ بسبب اتخاذهم الأنداد وكفرهم بالله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ (نوح: ٢١-٢٥)، فكان الطوفان الذي أغرق الأرض كلها، وأهلك الكافرين، ونُجيّ المؤمنون بفضل الله ﷻ.

وقال رسول الله ﷺ: "اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات

[1] تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ١/١٢٠.

الغافلات"[1].

والموبقات هي المهلكات؛ وسميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها، وعلى رأس تلك السبعة الشرك بالله، لأنه أعظم الذنوب. وقد أخرج البخاري عن عمر بن شرحبيل عن عبد الله قال: "سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك"[2].

فالشرك من المهلكات لوجهين، الأول: أنه سبب للهلاك في الآخرة، وهو شر الهلاك والخسران المبين، أما الوجه الثاني: لكون الشرك مهلك صاحبه في الدنيا؛ لما يجر على صاحبه من العذاب الذي ينزله الله على المشركين، ولفظ "الموبقات" الوارد في الحديث لفظ عام يشمل الدنيا والآخرة، ومما يدخل في الشرك، ما يأتي:

أ. البطر والإعراض عن شكر النعمة.

والبطر: هو الطغيان والإشراك وكفر النعم[3]، يقول الله ﷻ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ (القصص: ٥٨)، وكثيرة هي الأمم التي أهلكها الله ﷻ بسبب بطرها، ولا زالت بعض آثار تلك الأمم إلى يومنا هذا،

[1] صحيح البخاري، كتاب الحدود باب من أظهر الفاحشة واللطخ والتهمة بغير بينة، حديث رقم ٦٨٥٧، ٤/ ٢٦٤.

[2] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾، حديث رقم ٧٥٢٠، ٤٠٩/٤.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٩٥/٣.

خربت من بعدهم، ولم يعمر منها إلا القليل، وكان الله ﷻ هو الوارث.[1]

ومنها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (الأعراف: ٩٥). وأما قوله ﷻ: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾، فإنه خبر من الله ﷻ عن هؤلاء القوم، الذين أبدلهم الحسنة مكان السيئة التي كانوا فيها استدراجاً وابتلاءً، إنهم قالوا إذ فُعل ذلك بهم: هذه أحوال قد أصابت مَن قبلنا من آبائنا ونالت أسلافنا، ونحن لا نعدو أن نكون أمثالهم يصيبنا ما أصابهم من الشدّة في المعايش والرخاء فيها. وجَهِل المساكين شكر نعمة الله، وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله بالإنابة إلى طاعته، والمسارعة إلى الإقلاع عما يكرهه بالتوبة، حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون. يقول ﷻ: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾، يقول: فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة، أتاهم على غِرّة منهم بمجيئه، وهم لا يدرون، ولا يعلمون أنه يجيئهم، بل هم بأنه آتيهم مكذّبون حتى يعاينوه ويروه.[2]

فالجحود هنا جحود نعمة وكفر بها، يستحق فاعلها أشد العقاب، وذلك أن نكران نعمة الله ﷻ فيه إنكار لعبادته، فالشكر من العبادة، إلا أنه يجب التفرقة بين الطمع وعدم الرضا، وبين نكران النعمة المصاحب للكفر الصريح، فيقول الله ﷻ في سورة سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق ٣٠١/١٣.

[2] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٣٣٢/١٠.

﴿... مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ (سبأ: ١٥-١٩).

والتأويل أنهم قالوا: ياربنا باعد بين أسفارنا، فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل، ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه عليهم.[1] فكان جزاءهم من جنس ذنبهم، والملاحظ أن الجزاء هنا جاء تلبية لدعائهم في أن يباعد الله ﷻ بين أسفارهم، غير أن التباعد وصل إلى حد التمزيق والتشتت.

ب. الاستكبار.

والاستكبار: الإباء وترك المطاوعة والامتناع عن قبول الحق،[2] يقول ﷻ: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ (فصلت: ١٥-١٦).

وقيل عن الريح الصرصر: هي الشديدة الهبوب، وقيل الباردة، وقيل هي التي لها صوت، والحق أنها متصفة بجميع ذلك، فإنها كانت ريحًا شديدة قوية،

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٩/٢٦٥.

[2] انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مرجع سابق، ٢/٣٧٣.

لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم، وكانت باردة شديدة البرودة، كقوله تعالى: ﴿ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ (الحاقة: ٦)، أي: باردة شديدة، وكانت ذات صوت مزعج.[١]

أي أنهم بغوا وعتوا وعصوا، ومُنوا بشدة تركيبهم وقواهم، واعتمدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله[٢]، فأوضح صور الاستكبار أن يغتر الإنسان بقوته، التي هي في الأساس هبة من الله تعالى، يهبها إلى الناس لاستغلالها في عمارة الأرض، وإصلاحها لا ليغتر بها وينسبها لنفسه، فالمؤمن يعلم أن القوة من الله، فإن استغلها في غير ما وهبت له، أو اغتر بها فإنها تزول منه وتجلب له العذاب، فيقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ (النساء: ١٧٣)، فشكر النعمة جزاؤه الزيادة فيها والثواب في الآخرة، أما جزاء الاستكبار فهو الخيبة في الدنيا والعذاب في الآخرة، فالمتكبر ليس له إلا جهنم، يقول ﷺ: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر".[٣]

وأما قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَنكَفُواْ ﴾، فإن الاستنكاف من الفعل الثلاثي "نكف"، ويشير ابن منظور إلى أن: "النكْف تنحِيتُك الدَّمْع عن خدَّيك بإصْبَعك"[٤]، وذكر ابن كثير أن "الاستنكاف هو الامتناع"[٥]، وقيل: مأخوذ

---

١ انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ١٦٩/٧.

٢ انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٦٩/٧.

٣ صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم ١٤٧، ١/ ٥٥.

٤ لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق ٣٤٠/٩.

٥ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٤٨٠/٢.

من الأنفة[1]، أي: أنفوا وامتنعوا من طاعة الله وعبادته، ومن المفسرين من "يقولون الاسْتِنكاف والاسْتكبار واحد".[2]

يقول صاحب المنار: "ومعنى الجملة : ومن يترفع عن عبادته أنفة ويتبرأ منها، ويجعل نفسه كبيرة، فيرى أنه لا يليق بها التلبس بها، فسيحشرهم إليه جميعًا، أي فسيحشر هؤلاء المستنكفين والمستكبرين للجزاء، مجتمعين مع غير المستكبرين والمستنكفين، الذين ذكر بعضهم في أول الآية، فإن الله يحشر الخلق كلهم في صعيد واحد كما ورد، ثم يحاسبهم ويجزيهم عملهم".[3] و ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر: ٦٠)، ومعنى "دَاخِرِينَ" صاغرين أذلاء.[4]

فالكبر يمحق الإيمان، فالمتكبر ينظر إلى نعم الله عليه على أنها ميزة خاصة به، وينسى واهب النعمة، فالأشخاص متساوون من حيث كونهم عباد لله ﷻ، فإذا أفاض الله تعالى على بعضهم من فضله في صورة مال، أو قوة، أو عقل، أو علم، فذلك من فضل الله تعالى وحكمته، ولذلك كان العقاب على الاستكبار ردًا للمستكبر؛ ليعرف حقيقة نفسه وهوانه على الله ﷻ.

ثانياً: الذنوب.

نبدأ بحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "يا معشر المهاجرين، خمس إن ابتليتم بهن ونزل فيكم، أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في

[1] انظر: الجامع لأحكام القران، القرطبي، مرجع سابق ٢٦/٦.

[2] لسان العرب، ابن منظور، مرجع سابق ٣٤٠/٩.

[3] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق ٨٠/٦.

[4] انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، مرجع سابق ٣٢٨/١٥.

أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم من غيرهم وأخذوا بعض ما كان في أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله إلا ألقى الله بأسهم بينهم »[1]

والحديث يدل دلالة قاطعة على أن المعاصي تجلب العقاب على مرتكبيها، وقد ذكر الألباني هذا الحديث تحت عنوان المعاصي، التي هي سبب القحط والجور وغيرها من المصائب[2]، كما يشير الإمام ابن تيمية إلى أن الله ﷻ قد أرانا من آياته في الآفاق وفي أنفسنا، وبما شهد به في كتابه أن المعاصي سبب المصائب، فسيئات المصائب والجزاء من سيئات الأعمال.[3]

سبق وأن أشرنا إلى أن الكفر هو أعظم الذنوب، إلا أن هناك بعض الذنوب التي دون الكفر، ويستحق مرتكبوها العقاب عليها، ويذكر ابن تيمية أن الذنوب ثلاثة أقسام، أحدهما: ما فيه ظلم للناس كالظلم بأخذ الأموال، ومنع الحقوق والحسد، ونحو ذلك، والثاني: ما فيه ظلم للنفس فقط، كشرب الخمر والزنا، إذا لم يتعد ضررهما، والثالث ما يجتمع فيه الأمران، مثل أن يأخذ الحاكم والأمير أموال الناس ليزني بها، ويشرب الخمر ويرتكب الفواحش، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟

---

[1] المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب الفتن والملاحم، باب حديث أبي عوانة، حديث رقم٨٧٧٢. قال عنه الحاكم صحيح ووافقه الذهبي. قال عنه الألباني في "الصحيحة" حسن الاسناد.

[2] انظر: صحيح الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الأدب وغيره ، باب الترغيب في إنجاز الوعد، حديث رقم ٣٠٠٥، ٣/١٥٦، صحيح.

[3] انظر: مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، مرجع سابق ٢٨/ ١٣٨

﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (الأعراف: ٣٣)[1].

وهناك عدة أقوال في قوله تعالى ﴿وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، حاصلها أن الإثم هو الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه، والبغي هو التعدي إلى الناس فحرم الله هذا وهذا.[2]

ولهذا قال رسول الله ﷺ: "ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم"[3].

ويقـــول تعـــالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ (الروم: ٤١).

يقول ابن القيم: أراد أن الذنوب سبب الفساد الذي ظهر، وإن أراد أن الفساد الذي ظهر هو الذنوب نفسها، فيكون قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ لام العاقبة والتعليل، وعلى الأول فالمراد بالفساد النقص والشر، والآلام التي يحدثها الله في الأرض عند معاصي العباد، فكلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم عقوبة. والظاهر – والله أعلم– أن الفساد المراد به الذنوب وموجباتها، ويدل عليه قوله ﷻ: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ (الروم: ٤١)، فهذا حالنا، وإنما أذاقنا الشيء

[1] انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦ ص ٣٩-٤٠.

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٤/٤٠٩.

[3] سنن أبي داود،أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٩م، باب النهي عن البغي، حديث رقم ٤٩٠٢، ٧/٢٦٣، إسناده صحيح.

اليسير من أعمالنا، فلو أذاقنا كل أعمالنا لما ترك على ظهرها من دابة[1].

وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تدل على الكوارث الكونية، التي تقع على الأقوام بسبب ذنوبهم وطغيانهم، وبالرغم من كون الآيات السابقة تتحدث عن هلاك أمم كافرة، إلا أنها قد ربطت بين هذا الكفر وبين الذنوب، وبالرغم من أن الشرك أعظم الذنوب، إلا أن شيوع أشكال معينة من الذنوب، سواء بين الكفرة، أو بين أتباع الرسل يؤدي إلى الهلاك، فهناك أمم كافرة يمهلها الله ولا يعذبها، بينما هناك أمم تتبع رسلها، إلا أن شيوع بعض الذنوب فيها يؤدي إلى تعذيبها.

وقد وضحت آيات أخرى أن الذنب حتى بدون كفر، قد يؤدي إلى هلاك الأمة، فيقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾(البقرة: ٦٥-٦٦)

وقيل في المسخ عدة أقوال، منها: أنهم قد صاروا قردة وخنازير فعلاً، وهناك أقوال أنهم لم يمسخوا وإنما هو مثل ضربه الله، وقيل مُسخت قلوبهم حتى صارت كقلوب القردة لا تقبل وعظًا، ويجوز أن يبقي الله لهم فهم الإنسانية بعد صيرورتهم قردة، وروي في بعض قصصهم أن الواحد منهم كان يأتيه الشخص من أقاربه الذين نهوهم، فيقول له: ألم أنهك، فيقول له: برأسه بلى.[2]

وتلك سنة الله تعالى فيمن يعصى أوامره ويتحايل عليها، ويظن أنه قادر

---

[1] ا انظر: الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ص ١٥٩.

[2] انظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ١/ ٤٠٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٢٨٩/١.

على خداع الله تعالى، فيكون جزاءه شديدًا، فكأنه ﷻ يقول: إنكم تعلمون ما أصاب الذين استحلوا أخذ السمك في يوم السبت من العقوبة.[1]

وتلك سنة الله تعالى، وعلى الناس أن يعتبروا بما مضى؛ حتى لا يحيق بهم من العذاب ما حاق بسابقيهم، يقول ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الأنعام:٦).

والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادًا وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام، والسعة في الأموال، والاستظهار بأسباب الدنيا والسماء المظلة.[2] فالبشر في كل وقت وكل مكان عرضة لما سبق ووقع بالأمم السابقة، إن هم اتبعوا سيرتهم في العصيان واقتراف الذنوب.

ثالثاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وذلك السبب مرتبط بسابقه، فالناس في حاجة دائمة لمن يذكرهم، وينصحهم بتقوى الله والالتزام بأوامره ﷻ والبعد عما نهى، فإذا شاعت الفاحشة في الناس، وتركهم الباقون على حالهم بغير نصح وموعظة وتذكير، كان ذلك تقصير من الجميع، وحق عليهم عذاب الله ﷻ، ولهذا يقول ﷺ: "والذي نفسي بيده لتأمرُن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[3].

---

[1] انظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي، مرجع سابق، ص ١٢٦.

[2] انظر: الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ٣٢٤/٢.

[3] الجامع الكبير، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م،

ويقول ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[1].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو سبب خيرية الأمة الإسلامية، يقول تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

يقول ابن تيمية: إذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان، فقد يذنب الرجل والطائفة، ويسكت آخرون عن الأمر والنهي، فيكون ذلك من ذنوبهم، وينكر عليهم آخرون إنكاراً منهياً عنه، فيكون ذلك من ذنوبهم، فيحصل التفرق والاختلاف والشر، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً[2].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو الدفاع الحقيقي ضد الذنوب والمعاصي، فالإنسان قد يخطئ نتيجة شهوة أو سهو أو جهل، فإذا ما ذُكر بالله سبحانه وتعالى رجع عن معصيته، وهناك من يغالط في شرع الله وحلاله وحرامه، فيجب مواجهتهم ببيان صحيح الشرع للناس؛ حتى لا ينخدعوا بقوله فيقعوا في الحرام دون أن يعرفوا، فيصبح الحرام حلالاً والحلال حرامًا.

أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم ٢١٦٩، ٤٢/٤. قال عنه الإمام الألباني حديث حسن. انظر: **صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني**، المكتب الإسلامي، ٢٠١٠ م، ١١٨٩/٢

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، حديث رقم ٤٩، ٧٨/١.

[2] انظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيمية، مرجع سابق، ص ٣٦- ٣٧.

الفصل الثاني

المصائب وعلاقتها بالعقوبات الإلهية

ويتكون من ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: العقوبات الإلهية مفهومها وأنواعها.

المبحث الثاني: نماذج من العقوبات القدرية من خلال القصص القرآني.

المبحث الثالث: خصائص سنة الله ﷻ في العقاب.

تمهيد:

تناولنا في الفصل الأول، التفسيرات المادية والدينية للمصائب والكوارث الكونية، حيث استعرضنا من خلاله النظرة المادية لتلك المصائب والكوارث، بالإضافة إلى التفسيرات الدينية الوثنية منها والسماوية، موضحين الفرق بين نظرة الأديان الأخرى، ونظرة الإسلام لوقوع الكارثة الكونية.

وقد اتضح من خلال الفصل السابق، أن الإسلام ينظر إلى تلك الكوارث على أنها قدر من أقدار الله ﷻ، وهي تقع إما كعقوبة إلهية وإما كابتلاء، وسوف نتناول في هذا الفصل الكوارث الكونية كعقوبات إلهية إن شاء الله ﷻ.

المبحث الأول

العقوبات الإلهية مفهومها وأنواعها

أولاً: مفهوم العقوبات.

التعريف اللغوي: العقوبات جمع عقوبة، و"عاقبة كل شيء آخره"،[١] والمعاقِب هو "المدرك بالثأر"،[٢] و"تعقبه، أخذه بذنب كان منه"،[٣] ووصفها بإلهية، تعني أنها عقوبة لا دخل للبشر في إيقاعها على المذنب.

التعريف الاصطلاحي: تُعرف العقوبة الإلهية اصطلاحًا: بأنها "عقوبة غير مقدرة من الشارع، يعذب الله بها من عصى أمره، وكذب أنبياءه".[٤]

ومن خلال ذلك يمكن القول: إن العقوبة الإلهية هي أمر مؤلم يحل على

---

١ الصحاح ، الجوهري، مرجع سابق، ١/١٨٤

٢ تاج العروس ،الزبيدي، مرجع سابق، ٣/٤٢١.

٣ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مرجع سابق، ص ١١٧.

٤ الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص ٣.

الإنسان، وهو على حال من الكفر أو العصيان.

وفي إطار دراستنا الحالية، فإن العقوبة هي مصائب أو كوارث كونية، تحل على الفرد أو الجماعة، وهم في حالة كفر، أو معصية لله ﷻ.

ثانيًا: أنواع العقوبات الإلهية.

يقسم ابن القيم -رحمه الله- العقوبات إلى عقوبات شرعية،[1] وعقوبات قدرية، ثم يقسم العقوبات القدرية إلى عقوبات تقع على القلوب، وعقوبات تقع على الأبدان، وهي نوعان: نوع في الدنيا، ونوع في الآخرة.[2]

العقوبات القدرية: هي التي تقع بقدر الله ﷻ، بدون تدخل أي بشر في وقوعها، والتي تتمثل فيما يصيب الإنسان من كوارث، ومصائب مختلفة الأشكال، ما بين ضيق الحال والفقر إلى الأمراض النفسية، أو الكوارث الكونية أو غيرها من أشكال العقاب، التي قد تصيب الإنسان.

ثالثًا: العقوبات الإلهية مصائب وكوارث.

هناك من الذنوب التي يؤخرها الله ﷻ إلى يوم القيامة، فإن شاء عفا وغفر بفضله ﷻ، وإن شاء عاقب بعدله ﷻ، غير أن هناك من الذنوب التي يعجل الله تعالى العقاب عليها في الدنيا وبأشكال مختلفة، ومن أبرز تلك الأشكال -وأكثرها تأثيرا في النفس وأدعى للرهبة والخوف- العقاب الذي يأتي في صورة كارثة كونية؛ وذلك لتركها خسائر جسيمة في الجوانب المادية والبشرية،

---

[1] انظر: العقوبات الشرعية هي العقوبات التي حددها الشارع لتنظيم الحياة بين الناس وهي المقابلة لنظم العقوبات في العصر الحديث مثل القصاص، والديات والحدود.

[2] انظر: جامع الفقه، ابن قيم الجوزية، جمع وتوثيق وتخريج أحاديث يسري السيد محمد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر،، ٢٠٠٠، ٦/٤١٢.

تتجاوز قدرات الشعب والدولة المنكوبة.[1]

أ. عقوبة الله في المصائب.

إن مبدأ العقاب على ما يقترفه الإنسان، هو مبدأ مقرر بين الرب ﷻ وخلقه، منذ أن أقام الله ﷻ في الأرض خليفة، ثم جرت سنته في الأمم والشعوب على أن المذنب لابد أن يعاقب.

فقد قررت الآيات القرآنية سنة العقاب عن الذنوب، فيقول تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ (الإسراء: ٧٦- ٧٧).

وفي هذه الآية يبين الله ﷻ سنته في عقاب الأمم الكافرة، التي تخرج نبيها من دار دعوته، وبَين أن سنته التي لا تتبدل ولا تتحول، هي أن يعاقبهم الله فيستأصلهم، ولكن كفار قريش قاربوا أن يزعجوك من أرض مكة لتخرج عنها، ولكن لم يقع ذلك منهم، بل منعهم الله ﷻ منه، حتى هاجر بأمر ربه بعد أن هموا به.[2]

وذلك أن ارتكاب الذنب يجب أن يتبعه عقوبة، ولكن لجهل العبد لا يشعر بما فيه من العقوبة؛ لأنه يكون كالسكران أو المخدر، أو النائم الذي لا يشعر بالألم، فإذا استيقظ أحس بالألم.[3]

---

[1] انظر: الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (٤٩١- ٩٢٣هـ = ١٠٩٧- ١٥١٧م)، محمد حمزة محمد صلاح رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب الجامعة الإسلامية، غزة، ص٤.

[2] انظر: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في السلوك والعقيدة ، الخطيب، مرجع سابق، ٣١٩/٢.

[3] انظر: آثار المعاصي والذنوب، السيد عسكر ن دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، مصر، ١٩٩٧م،ص ١٧.

ويقول تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ (النساء: ٧٩)، قيل: إنّ الحسنة هي النعمة والسيئة البلية،[1] وتلك الآية تلفت النظر إلى أنه بالرغم من أن كل شيء يقع بمشيئة الله وقدره، إلا أنها تقع بسبب أعمال العباد، فالحسنة هي فضل ونعمة من الله، يتفضل بها على من يشاء من عباده، أما السيئة فهي المصيبة أو البلية، جزاء ما عملت أيدي الناس من ذنوب وآثام استحقوا عليها العقوبة.

ويتأكد نفس المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ (الشورى: ٣٠)، أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب، فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم.[2] فكل أنواع المصائب التي تصيب الإنسان تكون نتيجة لما كسبت أيديهم، وعقاب على ذنوبهم.

يقول جل شأنه: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧ ﴾ (القصص: ٤٧)، فقد أعطاهم الله ﷻ الحجة على صدق النبي ﷺ، فهو لم يشهد قصص الأنبياء ولا تليت عليه، ولكن الله بعثه وأوحاها إليه[3]، فإذا ما ثبت صدق النبي ﷺ، فإن عصيانه يستحق العقاب من الله تعالى.

ب. عقوبة الله في الكوارث.

غالبًا ما تأتي العقوبة على قدر المعصية وعلى صفتها، فالذنوب التي

---

[1] انظر: التفسير الكبير، ابن تيمية، مرجع سابق، ١/ ٢٦٧.

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٧/ ٢٠٧.

[3] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٨٩/١٦.

يرتكبها الفرد يتبعها عقاب فردي للشخص، أما إذا انتشرت المعاصي في الناس، فإن انتشارها يجعل من الطبيعي رؤية تلك المعصية ترتكب جهارًا نهارًا، فيجب أن يتبع ذلك عقاب عام يشمل الجميع.

يقول ﷺ: "والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا من عنده، ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم".[1]

يُستفاد من الحديث، أن هناك من الذنوب ما يجعل العذاب عام، يشمل أفراد المجتمع بأكمله؛ وذلك إذا ما عَمَّ الذنب جميع أفراد المجتمع، وعموم الذنب لا يعني أن الباقين يقترفونه، وإنما يعني أن بعضهم يقترفه والآخرون راضين به.

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها، قالت إن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا، يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: "نعم، إذا كثر الخبث".[2]

فكثرة الخبث في المجتمع تؤدي إلى هلاكه بمن فيه من العصاة والصالحين؛ لأن كثرة الخبث دلالة على تقاعس الصالحين، عن أداء ما عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ذلك هو الدرع الواقي من انتشار الخبائث في المجتمع.

---

[1] مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٩كتاب الآداب، باب الأمر بالمعروف حديث رقم ٥١٤٠، ص ١٤٢٢، صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، كتاب الحدود وغيرها، باب الترغيب في الأمر بالمعروف، حديث رقم ٢٣١٣، ٥٧٦/٢، صحيح لغيره.

[2] صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، حديث رقم ٧١٣٥، ٣٢٧/٤ صحيح الترغيب والترهيب، الألباني،مرجع سابق ، كتاب الحدود وغيرها، باب الترغيب في الأمر بالمعروف، حديث رقم ٢٣١٢، ٥٧٦/٢، صحيح لغيره.

وعن أم سلمة رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله ﷺ، يقول: "إذا ظهر السوء في الأرض، أنزل الله عز وجل بأسه بأهل الأرض، قلت: يا رسول الله وإن كان فيهم صالحون؟ قال نعم، وإن كان فيهم صالحون، يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يرجعون إلى رحمة الله".[1]

وقال رسول الله ﷺ: "يا عائشة، إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته، وفيهم الصالحون فيصيرون معهم، ثم يبعثون على نياتهم".[2]

بل وأحيانًا يمتد أثر العقوبة إلى الدواب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، فقال أبو هريرة: بلى والله، فإن الحباري لتموت في وكرها هزلاً من ظلم الظالم[3]، وعن مجاهد في تفسير قول الله عز وجل: ﴿ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٥٩)، قال: يلعنهم دواب الأرض وما شاء الله تعالى، الحيات والعقارب، قال: يقولون: نمنع القطر بذنوبهم.[4]

رابعًا: آثار العقوبة بالمصائب والكوارث الكونية.

ترتبط العقوبة -غالبًا- بالذنب، والله تعالى هو أحكم الحاكمين، فلا يعاقب قومًا إلا إذا ارتكبوا من الذنوب ما يستحقون عليه العقاب، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (الأنعام:

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٩٦، ٢١٨/١٠.

[2] صحيح الترغيب والترهيب، الألباني ، مرجع سابق، كتاب الحدود وغيرها، باب الترغيب في الأمر بالمعروف، حديث رقم ٢٣١١، ٥٧٦/٢، صحيح .

[3] انظر: الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض،، ٢٠٠٣م، حديث رقم ٧٠٧٥، ٥٤٤/٩، إسناده جيد.

[4] انظر: حلية الأولياء، الأصفهاني، مرجع سابق. ٢٨٦/٣.

١٣١)، أي أن الله ﷻ لم يهلكهم بظلم واقع منهم دون أن ينذرهم[1]، فقد شاء الله أن لا يعاقب الناس إلا إذا وقع منهم ظلم، ومن فضله تعالى أن ينذرهم قبل وقوع العقاب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: إن ما يصيب العبد من النعم، فإن الله أنعم بها عليه، وما يصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الشورى: ٣٠)، وقال تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(النساء: ٧٩)، أي ما أصابك من خصب، ونصر، وهدى، فالله أنعم بها عليك، وما أصابك من جدب، وذل وشر فبذنوبك وخطاياك، وكل الأشياء كائنة بمشيئته وقدرته وخلقه، فلابد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره، وأن يؤمن بشرع الله وأمره.[2]

ومن آثار الذنوب والمعاصي، أنها تحدث في الأرض أنواعًا من الفساد في المياه، والهواء والزروع والثمار والمساكن.[3] وبتتبع الآيات القرآنية نجد أن الله سبحانه وتعالى، لم يرسل العذاب على قوم إلا لجريمة عظيمة ارتكبوها، وكان الشرك بالله ﷻ على رأس تلك الذنوب، ودائمًا ما يصاحب الشرك بالله ذنوبًا أخرى، فإن الشرك مفتاح لجميع الشرور، فمنهم من يرتكب الفواحش كالزنا واللواط، ومنهم من يطفف الميزان، ومنهم من يستعبدون الناس، فيرسل سبحانه وتعالى الرسل إليهم،

---

[1] انظر: تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، تحقيق علي محمد معود، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م. ٢ / ٥١٩

[2] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق ٢٤٢/٨.

[3] انظر: الداء والدواء، ابن القيم، مرجع سابق، ص ١٥٧.

ينذرونهم ويدعونهم إلى عبادة الله، وترك ما هم عليه من معصية، فإذا أبوا إلا الاستمرار في ظلمهم، أرسل عليهم العقاب في صور شتى.

وتؤدي العقوبة بالمصائب والكوارث الكونية، إلى نتيجة من اثنتين:

أ. الاستئصال.

والاستئصال هو أن يهلك الله القوم بعقوبة هلاكًا لا يترك لهم بقية،[1] وقد أخبر الله ﷻ عن هلاك "عاد" بقوله: ﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الحاقة: ٨)، "أي هل تجد لهم أحدًا باقيًا".[2]

فالعقوبة الإلهية على الذنوب، قد تكون مُهلكة، أي أنه عذاب استئصال، وتكون تلك العقوبات في الغالب مع الكفار، والعصاة المصرين على الكفر أو المعصية، فإن ذلك الإصرار يبين تمسكهم بما هم عليه من ضلال، وبالتالي فإن مجرد إيذائهم أو إيلامهم لا فائدة من ورائه، ومن هنا يكون الجزاء العادل هو الموت، وهذا ما يوضحه دعاء نوح عليه السلام الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (نوح: ٢٦-٢٧).

يذكر الزمخشري أن كلمة ﴿دَيَّارًا﴾ "من الأسماء المستعملة في النفي العام".[3]، ويقول الزجاج أنها بـ "معنى أحد، يقال: ما في الدار أحد وما بها ديار".[4]، وقد جاءهم العذاب كما دعا نوح عليه السلام فلم يدع منهم ديارًا،

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٠١/٥.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٦١/١٨.

[3] الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ٢١٩/٦.

[4] معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت

فالعذاب هنا عذاب استئصال لا يُبقي أحدًا.

وكذلك فقد كانت عقوبة الموت عند الذنب الذي لا يمكن التوبة منه، وذلك عندما يترتب عليه جريمة لا يمكن إصلاحها، كما عوقب قوم صالح عليه السلام، ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٧-٧٨).

من المفسرين، من قال: أن الرجفة "الاضطراب الشديد، يقال: رجفت الأرض والبحر، وبحر رجاف"[١]، وعلى هذا المعنى يُقصد بها الزلزال، غير أن آثاره اقتصرت على اهتزاز الأرض بهم، بدون هدم وتدمير المساكن، ويستنتج هذا من الأقوال التي ذكرها الماوردي في تفسير الرجفة، بأنها على ثلاثة أقوال: منها أنها حركة الأرض تضطرب من تحتهم وأنها الصيحة، وأنها زلزلة أهلكوا بها[٢]، فقد فرق بين الزلزلة وحركة الأرض واضطرابها، وهذا التفريق بين الزلزلة واضطراب الأرض غير دقيق من وجهة نظرنا.

ومنهم من قال معناها الصيحة[٣]، والصيحة هي "رفع الصوت"[٤]، غير أن ابن كثير يفرق بين الصيحة والرجفة، حيث يذكر أنه "جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة شديدة من أسفل منهم، ففاضت الأرواح وزهقت النفوس في

١٩٨٨م، ٥/٢٣١.

١ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ١/ ٢٥١.

٢ انظر: النكت والعيون، الماوردي، مرجع سابق، ٢/ ٢٣٦.

٣ انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٠/ ٣٠٢، تفسير الإمام مجاهد بن جبر، تحقيق محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣٣٩، النكت والعيون، الماوردي، مرجع سابق، ٢/٢٣٦.

٤ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ٢/٣٧٨.

ساعة واحدة" (1).

والخلاصة أن ثمود أهلكوا هلاكًا تامًا، فقد جاءهم العذاب مستأصلاً لهم، قال علماء التفسير: ولم يبق من ذرية ثمود أحد، سوى صالح عليه السلام ومن اتبعه رضي الله عنهم، إلا أن رجلاً كان يقال له "أبو رغال"، كان لما وقعت النقمة بقومه مقيمًا في الحرم، فلم يصبه شيء، فلما خرج في بعض الأيام إلى الحل، جاءه حجر من السماء فقتله(2)

ب. عقوبات دون الاستئصال.

والعقوبات دون الاستئصال، هي: أن يوقع الله تبارك وتعالى العقوبة بالقوم ثم يرفعها، ويبقى القوم بعد زوالها.(3)

قد تأتي العقوبة مع البقاء على حياة المعاقب؛ وذلك ليتفكر الناس في قدرة الله عز وجل ويؤمنوا به، يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (الأنعام: ٤٦)، أي "قل يا محمد لهؤلاء العادلين بين الأوثان والأصنام المكذبين بك: أرأيتم أيها المشركون بالله غيره، إن أصمكم الله فذهب بأسماعكم، وأعماكم فذهب بأبصاركم، وختم على قلوبكم، فطبع عليها حتى لا تفقهوا قول، ولا تبصروا حجة، ولا تفهموا مفهومًا، أي إله غير الله الذي له عبادة كل عابد، ﴿يَأْتِيكُم﴾ أي يرد عليكم ما ذهب الله به منكم، من الأسماع والأبصار، والأفهام فتعبدوه، أو تشركوه في عبادة ربكم، الذي يقدر على ذهابه

---

(1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ٣١٧/٩.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٤٤٢/٣.

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٤٤٢/٣.

بذلك منكم، وعلى رده عليكم إذا شاء".[1]

يقول الله ﷻ عن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ (الأعراف، ١٣٠)، يعني الجدوب، يقال: أصابتهم سِنة، أي جدب، وفي الحديث: "اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف"[2]، فالجدب، ونقص الثمرات على ما فيه من تهديد للحياة، إلا أنه ليس عذاب استئصال، وإنما عقاب يزول ويبقى القوم بعد زواله.

أما أمة محمد ﷺ، فإن الله ﷻ قد توعدها بالعقاب إن هي قصرت في مهمتها الجهادية والدعوية، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ (التوبة: ٣٨ – ٣٩)، ذكر ابن عباس أن رسول ﷺ استنفر الله حيًّا من العرب، فتثاقلوا عنه، فأمسك الله عنهم القَطْر فكان عذابهم.(٣) "ولا شك أن في الآية توبيخ على ترك الجهاد، وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج".(٤)

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٩/٢٥١.

[2] انظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي مرجع سابق ٩/٣٠٣، والحديث مروي في البخاري ومسلم، انظر صحيح البخاري، مرجع سابق ،كتاب الآذان، باب يهوى بالتكبير حين يسجد حديث رقم (٨٠٤) وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة حديث رقم ٦٧٥، ص ٣٠٣.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٤/١٥٤.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٨/١٤٠.

وقد حذرنا الله ﷻ من عاقبة الارتداد والنكوص على الأعقاب، حيث يعاقب الله عليه باستبدال المؤمنين بالمرتدين، يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ (المائدة: ٥٤)، يقول الإمام الطبري: "فلما قَبَض الله نبيَّه ﷺ، ارتدّ أقوام من أهل الوبَر، وبعضُ أهل المدَر، فأبدل الله المؤمنين بخيرٍ منهم، كما قال تعالى ذكره، ووفى للمؤمنين بوعده، وأنفذ فيمن ارتدَّ منهم وعيدَه".[١]

وقد حذر من مجرد الركون إلى الكافرين والاطمئنان إليهم، وبيّن لهم أن ركونهم إلى الكافرين سيكون سبب هزيمتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (هود: ١١٣)، أي، ولا تميلوا إلى الذين ظلموا، وتستعينوا بهم، فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم، وعندها لا تجدون وليًّا ينقذكم، ولا ناصر يخلصكم من عذابه.[٢]

---

١ جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، الطبري، مرجع سابق، ١٠/٤١٠.

٢ انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٤/٣٥٤.

المبحث الثاني

نماذج من العقوبات القدرية من خلال القصص القرآني.

❶ الطوفان، عقوبة قوم نوح عليه السلام.

قال بعض المفسرين: إن نوح عليه السلام كان في عهد بيورساب، وكان قومه يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى الله عز وجل تسعمائة وستة وخمسين سنة، كلما مضى قرن تبعهم قرن على ملة واحدة من الكفر، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم.[1]

وقد عاقبهم الله تعالى بالطوفان، وقد تمثلت ذنوب قوم نوح عليه السلام فيما يأتي:

– الافتتان بالصالحين.

يقول تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ (نوح: ٢١-٢٣).

يذكر القرطبي قول بعض المفسرين عن تلك الأسماء، أنهم: كانوا قومًا صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم تبع يقتدون بهم، فلما ماتوا زين لهم إبليس أن يصوروا صورهم؛ ليتذكروا بها اجتهادهم، وليتسلوا بالنظر إليها، فصورهم، فلما ماتوا وجاء آخرون، قالوا: ليت شعرنا! هذه الصور ما كان آباؤنا يصنعون بها!؟ فجاءهم الشيطان، فقال: كان آباؤكم يعبدونها فترحمهم، وتسقيهم المطر

---

[1] انظر: تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، د.ت ١/١٧٤.

فعبدوها، فابتدأت عبادة الأوثان من ذلك الوقت. ويُعقب القرطبي -رحمه الله- بقوله: بهذا المعنى فُسر ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة، أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: "إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة".[1]

- تكذيب الرسول.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (الأعراف: ٥٩- ٦٤).

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٦٢/٢١، والحديث في صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور، واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد،، حديث رقم ٥٢٨، ص ٢٣٩. ويتبين من خلال ذلك أمرين:

الأول: الاستدراج إلى المعصية: ذلك أن الإنسان قد يخرج من الإيمان إلى الكفر دون أن يشعر، ثم يستمر في الكفر ويتمادى فيه، فلا يسمع صوت الحق حتى يحق عليه العقاب من الله ﷻ، ولهذا يجب الانتباه إلى مداخل الشيطان.

الثاني: الاعتصام بالكتاب والسنة: إن الطريق السليم للنجاة من حبائل الشيطان، هو الالتزام بما شرعه الله ﷻ، فالإنسان يجب أن يعبد الله بما أمره، وكما جاء في الكتاب والسنة، والخروج عن تلك الحدود يوقع الإنسان في المعصية دون أن يشعر، ويحق عليه قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ (الكهف: ١٠٤).

فقد دعاهم نوح عليه السلام كثيرًا فاستكبروا وآذوه ومن معه، فيذكر ابن الأثير: أن قوم نوح عليه السلام كانوا يبطشون به حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق، قال: اللهم اغفر لي ولقومي فإنهم لا يعلمون، حتى إذا تمادوا في معصيتهم، وعظمت منهم الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، اشتد عليه البلاء وانتظر النجل بعد النجل، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله، حتى إن كان الآخر ليقول: قد كان هذا مع آبائنا وأجدادنا مجنونًا لا يقبلون منه شيئًا، وكان يُضرب ويُلف ويُلقى في بيته، يرون أنه قد مات، فإذا أفاق اغتسل وخرج إليهم يدعوهم إلى الله .[1]

- **كفرهم بالله وإضلالهم الناس.**

يقول تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (هود: ٣٦)، توضح الآية أن قوم نوح كانوا كافرين لم يؤمن إلا بعضًا منهم، وقد علم الله أنه لن يؤمن معه إلا من قد آمن، ومعنى الآية: "اليأس من إيمانهم واستدامة كفرهم، تحقيقها لنزول الوعيد بهم" [2]، فما دام لن يؤمن أحد غير من آمن، فقد حق عليهم العذاب من الله عز وجل.

أما عن إضلالهم الناس، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (نوح ٢٦-٢٧)، أي: إنك إن أبقيت منهم أحدًا أضلوا عبادك الذين تخلقهم بعدهم.[3]، فلم يقتصروا على إتباعهم طريق الضلال، بل إن وجودهم في حد

[1] انظر: الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ٥٥/١.

[2] الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، مرجع سابق، ١٠٨/١١.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢٣٧/٨.

ذاته سيكون سببًا لضلال الناس من بعدهم، ولهذا حق عليهم العذاب.

❷ **الصيحة، عقوبة عاد قوم هود عليه السلام.**

عاقب الله عز وجل قوم هود عليه السلام، حيث أرسل الله تعالى هودًا إلى عاد، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها، يقال: لإحداها: صداء، وللآخر: صمود، وللثالث: الهباء (أو الهناء).[1] وقد تمثلت ذنوب قوم هود عليه السلام فيما يلي:

– الشرك بالله.

كان ذنب قوم هود الأعظم هو الشرك بالله عز وجل، فقوم عاد هم أول الأمم الذين عبدوا الأصنام بعد الطوفان، وذلك مُشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ (الأعراف: ٦٩)، أي جعلهم أشد أهل زمانهم في الخلقة والشدة والبطش، وقال تعالى في سورة "المؤمنون" عن قوم نوح: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١﴾ (المؤمنون :٣١)، وهم قوم هود على الصحيح.[2]

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٦٥﴾ (الأعراف: ٦٥)، قال هود عليه السلام: يا قوم اعبدوا الله فأفردوا له العبادة، ولا تجعلوا معه إلهًا غيره، فإنه ليس لكم إله غيره، أفلا تتقون ربكم فتحذرونه، وتخافون عقابه بعبادتكم غيره، وهو خالقكم ورازقكم دون ما سواه.[3]

---

[1] انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، مرجع سابق، ٢١٦/١.

[2] انظر: قصص الأنبياء، إسماعيل ابن كثير، تحقيق عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٣٠.

[3] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٢٦٤/١٠.

- **الاستكبار.**

هناك عدة سمات مشتركة لكل من أشرك بالله منذ قديم الأزل، فهم يتسمون جميعًا بالاستكبار عن الحق، وربما يكون هذا الاستكبار نتيجة لما يتمتع به سادة القوم، من مزايا فيها الكثير من الظلم للآخرين، فنكروا الحق وهم يعلمون، قال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (الأعراف: ٦٦). الملأ هم الجمهور، والسادة القادة منهم، و لفظة ﴿سَفَاهَةٍ﴾ تعني: أي في ضلالة، حيث دعوتنا إلى ترك عبادة الأصنام، والإقبال إلى عبادة الله وحده لا شريك له.[1]

فرد عليه السلام بقوله: ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾(الأعراف: ٦٧-٦٨)، أي ليس بي ضلالة عن الحق والصواب، ولكني رسول من رب العالمين، أبلغكم رسالات ربي، وأؤديها إليكم كما أمرني أن أؤديها.[2]

وبدلا من أن يشكروا نعمة الله تعالى، حيث زادهم في الخلق بسطة جحدوها واستكبروا عن الحق.

- **تحدي النبي عليه السلام.**

عندما دعاهم هود عليه السلام إلى اتباع الحق وعبادة الله، فقد تحدوه أن يأتيهم بما يعدهم: ﴿ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٠)، طلبوا العذاب

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣/٤٣٤.

[2] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٠/ ٢٦٥.

الذي خوفهم به وحذرهم منه.[1]، وذلك تمادي في الكبر والتحدي، في محاولة للاستهزاء بوعيد نبي الله هود عليه السلام، ولذلك أخبرهم بأنه ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١)﴾ (الأعراف: ٧١)، قال هود عليه السلام لقومه: قد حل بكم عذاب وغضب من الله[2]، فالعذاب قد وقع فعلاً، وانتهى الأمر فهو محقق لا محالة، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١)﴾ (المؤمنون: ٤١)، واستحقون ذلك من الله لكفرهم وطغيانهم، والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف، القوي البارد،﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥)﴾ (الأحقاف: ٢٥)، وقوله ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾، أي: صرعى هلكى كغثاء السيل، وهو الشيء الحقير التافه الهالك الذي لا ينتفع بشيء منه.[3]

ولذلك لم يختلف مصيرهم عن مصير قوم نوح عليه السلام، فقد وقع بهم العذاب؛ نتيجة لكفرهم وما اقترفوه من ذنوب وآثام.

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٩/٢٦٥.

[2] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ،الطبري، مرجع سابق، ١٠/٢٨٠.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٧/٤٧٤.

③ الصيحة والرجفة، عقوبة قوم صالح ﷺ.

وقد تمثلت ذنوب قوم صالح ﷺ فيما يأتي:

- **الشرك بالله ﷻ.**

يقول تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (الأعراف: جزء من الآية ٧٣)، كان صالح ﷺ ينصحهم قائلاً: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، فما لكم من إله يجوز لكم أن تعبدوه غيره، وقد جاءتكم حجة من ربكم، وبرهان على صدق ما أقول، وحقيقة ما إليه أدعو من إخلاص التوحيد لله، وإفراده بالعبادة دون ما سواه، وتصديقي على أني له رسول.[1] ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾(هود: ٦٣).

- **جحود الآية.**

طلب قوم صالح ﷺ آية على صدقه، وأعلنوها قائلين: ﴿ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الشعراء: ١٥٤)، أي إن كنت صادقًا فادع الله يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء عشراء، فتضع ونحن ننظر، وترد هذا الماء فتشرب، وتغدو علينا بمثله لبنًا، فدعا الله وفعل الله ذلك.[2]

وطلبُهم الآية تسليم منهم، أنه إذا جاءتهم الآية كما طلبوها فإنهم سوف يؤمنون، وبالتالي فلا يكون هناك مجال للشك في دعوة النبي، وقد رد الله ﷻ

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٢٨٣/١٠.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٦٦/١٦.

عليهم بقوله: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأعراف: ٧٣)، أي بينتي على ما أقول، وحقيقة ما جئتكم به من عند ربي وحجتي عليه، هذه الناقة التي أخرجها الله من هذه الهضبة، دليلاً على نبوتي وصدق مقالتي، فقد علمتم أن ذلك من المعجزات، التي لا يقدر على مثلها أحد إلا الله.[1]

فخروج الناقة من الصخر، آية لا يظهرها إلا الله ﷻ، القادر على خلق الحيوان من الجماد، فكان الإيمان لازمًا لهم. وقد اتفق الحال على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم، ترعى حيث شاءت من أرضهم، وترد الماء يومًا بعد يوم، وكانت إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك، فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم، ويقال: إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم، ولهذا قال: ﴿ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ ﴾ (الشعراء: ١٥٥)، فلمّا طال عليهم الحال، اجتمع علماؤهم واتفق رأيهم على أن يعقروا هذه الناقة؛ ليستريحوا منها، ويتوفر عليهم ماؤهم، وزين لهم الشيطان أعمالهم، ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾(الأعراف: ٧٧).

وقتل الناقة يُعد تمادي في الكفر، والجحود لآية عظيمة تقشعر منها القلوب، وقد عرفوا أن الله هو الذي أخرجها، فيكون قتلها تحدي للإله عن اصرار وعلم بما يفعلوه، وهنا يكون العذاب أضعافًا مضاعفة.

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٠/٢٨٣.

- **محاولة قتل النبي.**

لم يكتف قوم صالح عليه السلام بقتل الناقة، وإنما تآمروا على نبيهم ليقتلوه، وذلك هروب من الحقيقة المعلومة لديهم، وهي أنه نبي مرسل من عند الله عز وجل، فلما فرغوا من عقر الناقة بلغ الخبر صالحًا عليه السلام، فجاءهم وهم مجتمعون، فلما رأى الناقة، قال: ﴿ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ ﴾ (هود: ٦٥)، فلما أمسى أولئك التسعة الرهط عزموا على قتل صالح عليه السلام، وقالوا: إن كان صادقًا عجلناه قبلنا، وإن كان كاذبًا ألحقناه بناقته، و﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النمل: ٤٩-٥٢).

ويُستفاد من ذلك أن الأنبياء -عليهم السلام- جاءوا أقوامهم بالبينات الباهرة، فكان لزاماً أمام تلك البينات أن يؤمنوا بالله عز وجل ويصدقوا رسله، أما ثمود فقد تعاموا عن رؤية آية، لا يستطيع أحد أمامها إنكار نبوة صاحبها، وأنها من الله عز وجل، ولذلك فإن عقر الناقة دليل على الكفر، كما أنه دليل على العناد والتكبر عن الحق الواضح، ولذلك فقد استحقوا العقاب الشديد، وقد وصف النبي ﷺ قاتل الناقة أنه من شرار الناس، فقال ﷺ: "ألا أحدثكم بأشقى الناس؟ رجلين: أُحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه،

حتى يبل منها هذه". [1]

فقاتل الناقة -كما أخبر النبي ﷺ- أحد أشقى رجلين، والشقاء يشمل الدنيا والآخرة، فهو شقي في الدنيا بجلبه العقاب على نفسه وقومه، وشقي في الآخرة؛ لأنه تحدى الله تعالى بعد أن ظهرت له البينة على قدرة الله ﷻ، وصدق النبي عليه السلام.

❹ قلب القرى والإمطار بالحجارة، عقوبة قوم لوط عليه السلام.

كفر قوم لوط بالله ﷻ، وكفرهم بالله هو أصل شرورهم التي اقترفوها وأشدها، ومن أفعالهم التي استوجبت سخط الله سبحانه وتعالى عليهم، ما يأتي:

- إتيان الذكور دون النساء.

استحدث قوم لوط ذنبًا لم يسبقهم أحد إليه من قبل، وهو إتيان الرجال شهوة دون النساء، يقول تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٠-٨٤).

وهذا الذنب يدل على الانغماس في الشهوات إلى أدنى درجة، حتى أضحوا أدنى رتبة من الحيوان، إذ الحيوان لا يفعل مثلما فعل قوم لوط، فقد كان

---

[1] صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الألباني، مرجع سابق، حديث رقم ٢٥٨٩، ١/٥٠٥. حديث صحيح.

قوم لوط عليه السلام من أفجر الناس، وأكفرهم وأسوئهم طوية، وأردئهم سريرة وسيرة، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر، ولا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم، وهي إتيان الذكران من العالمين، وترك ما خلق الله من النسوان لعباده الصالحين.(١)

- **الفساد في الأرض.**

فقد كانوا يقطعون الطريق على الناس، ويفعلون المنكرات في ناديهم، يقول تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (العنكبوت: ٢٩)، وقطع السبيل، هو: التصدي للمارين فيه بأخذ أموالهم، وقتل أنفسهم وإكراههم على الفاحشة، وكان قوم لوط يقعدون بالطرق ليأخذوا من المارة من يختارونه.(٢)

وقد فُسر "المنكر" بعدة أقوال: قال البعض: إنهم كانوا يحذفون أهل الأرض، فقد جاء في الحديث عن أم هانئ عن النبي ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ (العنكبوت: ٢٩). قال ﷺ: "كانوا يحذفون أهل الأرض ويسخرون منهم".(٣) وقيل: إنهم جعلوا ناديهم ملتقى؛ للاستعداد لتلك الفاحشة ومقدماتها وتزيينها".(٤)

---

١ انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

٢ انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق ٢٤١/٢٠

٣ الجامع الكبير، الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، مرجع سابق، أبواب التفسير، باب "ومن سورة العنكبوت"، حديث رقم ٣١٩٠، ٢٥١/٥. حديث حسن.

٤ انظر تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٤٠/٢٠.

- **التعدي على حرمة لوط عليه السلام.**

لما جاء الملائكة لوطًا عليه السلام، جاءه قومه ليطلبوا ضيوفه؛ ظنًا منهم أنهم بشر، ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ (هود: ٧٨-٧٩).

ثم أخذ لوط عليه السلام يدافع عن ضيفه، وقال لقومه: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ ﴾، وقد اختلف المفسرون في بيان ذلك القول: "فقالت فرقة: أشار إلى بنات نفسه، وندبهم في هذه المقالة إلى النكاح، وذلك على أن كانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة، أو على أن في ضمن كلامه أن يؤمنوا. وقالت فرقة: إنما كان الكلام مدافعة لم يرد إمضاءه. وقالت فرقة: أشار بقوله "بَنَاتِي" إلى النساء جملة، إذ نبي القوم أب لهم".[1] والقول الأخير هو ما ذهب إليه الطبري، وابن كثير من قول قتادة ومجاهد، وابن جريج وسعيد بن جبير[2].

ولذلك استحقوا العقاب الشديد، يقول تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ﴾ (هود:٨٢-٨٣).

---

[1] تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، د.ت، ص ٩٦١.

[2] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٥٠٢/١٢، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٣٧. وتفسير السدي الكبير، جمع وتوثيق محمد عطا يوسف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٩٣م، ص ٣٠٤.

ويتبين من خلال ما سبق أثر الانغماس في الشهوات على حياة المجتمع والأفراد، وذلك حينما يطلقون لتلك الشهوات العنان، فيتجاوزون بها كل الحدود، والشهوات بشكل عام -وعلى وجه الخصوص شهوة الجنس- هي أمور لا يمكن إشباعها؛ لأنها ليس لها حد في الإشباع، فكلما وصل الفرد إلى درجة معينة من الإشباع سعى إلى درجة أعلى، فتعم الخبائث، وهذا ما نراه في العصر الحالي، حيث اتجهت المجتمعات إلى الإشباع المادي، ونسيت أو تناست الإشباع الروحي، فتجاوزت ما كان يقوم به قوم لوط من مفاسد، حتى ظهرت المطالبات العلنية، التي تتبناها الحكومات والمنظمات؛ لتقنين أوضاع الشذوذ في العالم، وأصبح من يعترض على ذلك يُرمى بالتخلف، وعدم العدالة في معاملة الشواذ، باعتبارهم فئة تستحق أن تمارس تلك المحرمات في إطار قانوني، وذلك كما قال قوم لوط: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (النمل: ٥٦).

وقد عاقب الله تعالى قوم لوط عليه السلام بنوعين من العقوبات، تتشابه في آثارها مع نوعين من الكوارث الكونية، الأول: وهو انقلاب المدينة وهدمها فوق رؤوس أصحابها، وذلك من آثار الزلازل العظيمة، التي تهدم المدن وتقلبها رأسًا على عقب، والثاني: وهو إرسال الحجارة، وذلك ما يحدث عند سقوط شهب مدمرة على مدن فتهلك أهلها، وكان سبب إهلاكهم شيوع فاحشة عظيمة بينهم، وهي إتيان الذكور شهوة دون الإناث، وذلك أن الفاحشة إذا شاعت في المجتمع حق عليه العقاب بكارثة، ويصدق هذا قول النبي ﷺ: "ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلا حُبس عنهم القطر".[1]

---

[1] صحيح الترغيب والترهيب، الألباني، كتاب الأدب وغيره، باب الترغيب في إنجاز الوعد، حديث رقم ٣٠٠٥،

5 الصيحة، والرجفة، وعذاب يوم الظلة، عقوبة قوم شعيب عليه السلام.

كان أهل مدين قومًا عربًا، يسكنون مدينة "مدين"، التي هي قريبة من أرض معان من أطراف الشام، مما يلي ناحية الحجاز قريبًا من بحيرة قوم لوط، وكانوا بعدهم بمدة قريبة، و"مدين" قبيلة عُرفت بهم، وهم من بني مدين بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام.[1]ومن افعالهم التي استوجبت العقوبة والانتقام الإلهي، ما يأتي:

- **الشرك بالله:**

اشتهر قوم شعيب ببخس الميزان والمكيال؛ نتيجة كفرهم بالله، والكفر هو الذنب الأكبر الذي استحقوا عليه العذاب والاستئصال، فقد "كان قوم شعيب عبدة أوثان، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وبالكفر استوجبوا العذاب، ولم يعذب الله أمة عذاب استئصال إلا بالكفر، وإن أُضيفت إلى ذلك معصية كانت تابعة".[2]، فدعاهم نبي الله شعيب إلى عبادة الله عز وجل، وهي دعوة الرسل جميعًا، وقيل إن الله أرسل معه آية على صدقه، إلا أنها لم تذكر.[3]

- **بخس الكيل والميزان.**

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾(هود: ٨٤).

٣/١٥٦، صحيح.

[1] انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

[2] تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق ٥/٢٥٢.

[3] انظر: معالم التنزيل، البغوي، مرجع سابق ٣/٢٥٦.

وفي قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ ، ذكر المفسرون عدة أقوال في المقصود من الخير، فمنهم: من قال يعني خير الدنيا وزينتها، ومنهم: من خصصها بالمال، وذهب الطبري -رحمه الله- إلى القول: إنه يعني خير الدنيا، فقد يدخل في خير الدنيا المال، وزينة الحياة الدنيا، ورخص السعر.(١)

وقد كانت معصيتهم الشنيعة التواطئوا في أخذ ما يرد عليهم من غيرهم وافيًا، ويعطوه ناقصًا في وزنهم وكيلهم، فنهاهم شُعيب عليه السلام بوحي من الله عز وجل عن ذلك.(٢)

ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ (هود: ٨٦)، فقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، شرط في أن تكون البقية خيرًا لهم، وأما مع الكفر فلا خير لهم في شيء من الأعمال، وجواب هذا الشرط متقدم.(٣)

كما يؤكد على ذلك أن نقص الميزان له عقوبة أخرى، ذكرها رسول الله ﷺ في قوله: "يا معشر المهاجرين، خصال خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن"، وذكر ﷺ من تلك الخصال: "...ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم".(٤)

وهذا يؤكد أن الأعمال لا تكون مقبولة، إلا إذا كانت وفق شرع الله، ووخالصة لوجهه الكريم، فأي عمل يخلو من هذين الشرطين فهو مردود.

---

١ انظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٢/ ٥٣٩-٥٤٠.

٢ انظر: تفسير ابن عطية، مرجع سابق ،ص ٩٦٥.

٣ انظر: تفسير ابن عطية، مرجع سابق ،ص ٩٦٥.

٤ صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الألباني، مرجع سابق، حديث رقم ٧٩٧٨، ١٣٢١/٢، صحيح.

ويُستفاد من ذلك، أنهم ما داموا بخير فهذا يستوجب أمرين، الأول: هو ضرورة شكر النعمة، وذلك بالإيمان بالمنعم ﷻ وتوحيده بالعبادة، وقد كفر قوم شعيب عليه السلام بالله بسبب عبادة الأصنام، والأمر الثاني: هو أنه ليس هناك مدعاة لما اقترفوه من ذنوب، من بخس الميزان وغيرها، فتلك ذنوب يقترفها صغار التجار سعيًا وراء دراهم قليلة، فإذا كان الخير وفير، فقد اقترفوا ذنبًا بدافع الطمع لا أكثر، فاستحقوا العذاب مضاعفًا.

- **الصد عن سبيل الله.**

من سمات الكفار وأكلة حقوق الناس، أنهم يسعون دائمًا إلى الصد عن سبيل الله، فإن الناس إذا استقامت على طريق الله ﷻ، فإن الحقوق تراعى ولا يكون هناك مجال للغش؛ لذلك فإنهم دائمًا يسعون إلى إضلال الناس بكل ما يمتلكون من قوة، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (الأعراف: ٨٦- ٨٧).

- **الاستكبار.**

وهذا شأن جميع من سبقهم من الكافرين، فقد استكبروا عن اتباع الحق، يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (الأعراف:

.(٨٨

وقد أكثر نبي الله شعيب عليه السلام في دعوة قومه، وحاورهم كثيراً لينتهوا عما كانوا يعملون فأبوا وعادوه، يقول تعالى: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾ (هود: ٨٧).

يقولون- قبحهم الله- على سبيل التهكم: ﴿أَصَلَاتُكَ ﴾، قال الأعمش: أي: قرآنك يأمرك ﴿ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾، فنترك التطفيف على قولك، إنما هي أموالنا نفعل فيها ما نريد، ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾، وقول أعداء الله هنا على سبيل الاستهزاء.[١]

ونرى هنا دأب الكافرين في كل العصور، وهو الاستهزاء بالرسل والأنبياء، الذين يدعون إلى عبادة الله ومكارم الأخلاق، فيكونون محل سخرية القوم الجاهلين، الذين لا يعرفون قدر النبي، وعظم ما يدعو إليه، فيقول تعالى مواسيًا رسول الله ﷺ: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) ﴾. (الرعد: ٣٢)

واستمر شعيب عليه السلام في محاورتهم لعلهم يؤمنون، فقال: ﴿ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٤/ ٣٤٣.

رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ (هود: ٨٩-٩٠)، يقول لهم لا تحملنكم عداوتي، وبغضي على الإصرار على ما أنتم عليه من الكفر والفساد؛ فيصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط من النقمة والعذاب.(١)

وقد كان جوابهم ﴿ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ ﴾(هود: ٩١-٩٢)

فقد كانوا لا يعيرونه أذهانهم، ولا يصغون لكلامه؛ رغبة عنه وكراهة له، أو كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه، أو قالوا ذلك على وجه الاستهانة به، كما يقول الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول؟ أو جعلوا كلامه هذيانًا وتخليطًا لا يُفهم كثير منه، وكيف لا يُفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء عليه السلام، ثم الذي حاورهم به من الكلام وخاطبهم به، هو من أفصح الكلام وأجله وأدلّه على معانيه، بحيث يفقهه من كان بعيد الفهم، فضلاً عن الأذكياء والعقلاء، ولكن الله تعالى أراد خذلانهم".(٢) ويتضح من هذا الخطاب مدى تكبرهم عن قبول الحق، حتى أنهم استصغروا ما يدعو إليه نبي الله شعيب عليه السلام، وجعلوه من قبيل الهذيان، وصموا أسماعهم عنه.

وقد جمع الله على قوم شعيب أنواعًا من العقوبات وصنوفًا من المثُلات، وأشكالاً من البليات، وذلك لما اتصفوا به من قبيح الصفات، سلط الله عليهم رجفة شديدة أسكنت الحركات، وصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وظِلة أرسل

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٤/٣٤٦.

(٢) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق ٥/٢٥٦.

عليهم منها شرر النار من سائر أرجائها والجهات.[1]

❻ **الغرق، عقوبة فرعون وقومه.**

اقترف فرعون وقومه العديد من الذنوب، منها الآتي:

- **الكفر بالله.**

أرسل الله تعالى موسى عليه السلام إلى فرعون، يدعوه إلى الله تعالى ورفع الظلم عن بني إسرائيل، فاستكبر عن إتباع موسى عليه السلام وادعى الإلوهية، يقول تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (النازعات: ١٧-٢٤).

لقد تمادى فرعون في كفره حتى إنه ادعى لنفسه الإلوهية، وذلك قمة الكفر، فقد علا فرعون وتكبر وكفر، وقيل: إن فرعون قال لقومه: اعبدوا أصنامكم التي كنتم تعبدون، فإن هؤلاء أربابكم الصغار، أما ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾.[2]

وبذلك يتضح الذنب الأعظم لفرعون، فلم يكتف بإذلال بني إسرائيل، ولا بما ارتكبه في حقهم من جرائم، بل تعداها للكفر بالله، وتمادى في ذلك الذنب، حتى ادعى لنفسه الإلوهية من دون الله عز وجل.

---

[1] انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير،، مرجع سابق، ص ٢٧٢.

[2] انظر: بحر العلوم، السمرقندي، مرجع سابق، ٣/٤٤٤.

- اضطهاد بني إسرائيل.

كما تمادى فرعون في كفره، فقد تمادى في طغيانه وظلمه، يقول ﷻ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾. (القصص: ٤)

فكان من تجبره أنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل واستبقاء نسائهم، وذلك قمة الذلة والطغيان، والقهر لشعب محكوم من قبل ملك طاغية، ومن استبقاهم من بني إسرائيل فقد كلفهم القيام بأخس الصنائع وأدناها.[1] حيث يُروى أن فرعون جعل بني إسرائيل خدمًا وخولاً، وصنفهم في أعماله، فصنفٌ يبنون، وصنفٌ يحرثون ويزرعون، وصنفٌ يخدمون، ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال ضربت عليه الجزية، فذلك سوء العذاب.[2] وتلك الفعلة دليل على الطغيان والاستكبار، وانعدام الشفقة والرحمة حتى بالأطفال الصغار، الذين لا ذنب لهم إلا أنهم ولدوا في بني إسرائيل، كما يدلنا على خضوع بني إسرائيل، حتى إنهم لم يدافعوا عن ذبح أبنائهم.

وقد عُوقب قوم فرعون بالغرق في اليمّ، وذلك أن موسى عليه السلام بعد أن استمر يدعوهم ويحاورهم، وتحدى السحرة، ونصره الله عليهم، وآمن به السحرة، فلم يبق لآل فرعون أي حجة في عدم الإيمان بما جاء به موسى عليه السلام.

ويُلاحظ في الكارثة التي حلت بفرعون، أنه هو من سعى إليها بنفسه، وذلك بخلاف الأقوام السابقة، حيث حلت عليهم في ديارهم، فقوم نوح جاءهم الطوفان من كل مكان، أما فرعون فقد رأى آية عظيمة أمامه، وتحدى تلك

---

[1] انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، مرجع سابق، ص ٣٧٨.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢/٨٥.

الآية واتبع بني إسرائيل، فإن من يشاهد تلك الآية يعلم علم اليقين أن البحر انفلق؛ ليمر به بنو إسرائيل، مما يدل على أن موسى عليه السلام كان على حق فيما دعا إليه، فقد أيدهم الله وفتح لهم الطريق، فكان عليه أن يعلم أنه لن يستطيع المرور بدوره، ولذلك يعد فرعون من أكثر من ذكرهم القرآن الكريم باللعنة والعذاب، فيقول عز وجل: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ (٤٥) ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ (٤٦) وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ (٤٧) ﴾(غافر: ٤٥ – ٤٧)، فكان أولى بهم من تلك المحاجة في الآخرة، أن ينصحوه في الدنيا كما فعل السحرة، وكما فعل الرجل المؤمن.

٧ الرجز، عقوبة بني إسرائيل.

لقد ارتكب بنو إسرائيل الكثير من الذنوب والمعاصي، ولم يوجد شعب أخذ من الفرص، وشاهد من الآيات ما شاهده بنو إسرائيل، ورغم ذلك كانوا يأتون بالذنب فيعاقبهم الله عز وجل، ولكنهم لا يعتبرون مما حدث، وسنقتصر على عرض الذنوب التي عوقبوا بسببها بكارثة كونية، فوقع "الرجز" بهم جراء عصيانهم أوامر نبيهم.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾(البقرة: ٥٨-٥٩).

أخرج أبو داود في سننه عن النبي ﷺ، أنه قال: "قال الله عز وجل لبني

إسرائيل: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾ "[1].

و ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ ﴾، أي القرية، وهي بيت المقدس، ﴿سُجَّدًا﴾، أي ساجدين له تعالى شكرًا على إخراجهم من التيه، ﴿ وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾، أي مسألتنا حطة، وهي فعلة من الحط كالجلسة، وقرئ بالنصب على الأصل، بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة.[2]

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾، قال: دخلوا متزحفين على أوراكهم". أي منحرفين.[3]

كما أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "قيل لبني إسرائيل ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ ﴾، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاهم، وقالوا حبة في شعرة".[4]

والحاصل أنهم خالفوا ما أمروا به من الفعل والقول، فإنهما أمروا بالسجود عند انتهائهم شكرًا لله تعالى وبقولهم حطة، فبدلوا السجود بالزحف، وقالوا: حنطة بدل حطة، أو قالوا حطة وزادوا فيها حبة في شعيرة.[5]

---

[1] سنن أبي داود، كتاب الحروف، حديث رقم ٤٠٠٦، ١٢٧/٦.

[2] انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، حديث كتاب الحروف، حديث رقم ٣٩٨٩، ٤١/١١.

[3] انظر: الجامع الكبير، الترميذي ، مرجع سابق ، أبواب القراءات، باب من سورة البقرة، حديث رقم ٢٩٥٦، ٧٢/٥.

[4] صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة الأعراف، باب ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، حديث رقم ٤٦٤١، ٢٣١/٣.

[5] انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، كتاب تفسير القرآن، سورة الأعراف باب ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، حديث رقم ٤٤٥٦، ٨ /١٦٠.

يقول الله ﷻ: ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (البقرة: ٥٩)، والرجز: القذر، مثل الرجس، وأما قوله تعالى: ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فهو العذاب.[١]

قال الضحاك عن ابن عباس: كل شيء في كتاب الله من "الرجز"، يعني به العذاب، وقال أبو العالية: الرجز: الغضب، وقال الشعبي: الرجز، إما الطاعون وإما البرد، وقال سعيد بن جبير: هو الطاعون.[٢]

وأخرج مسلم في صحيحه، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد: ماذا سمعت من رسول الله ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول الله ﷺ: الطاعون رجز، أو عذاب أرسل على بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه".[٣]

ويُستفاد مما سبق أن الأمر من الله ﷻ واجب الطاعة، فيتعبد به لله، فلا يتم التحريف ولا التغيير، سواء بالقول أو الهيئة، أو بأي شكل آخر؛ لأن الله ﷻ إذا أمر بشيء يجب أن يؤتى كما أمر، وقد سلط الله تعالى الرجز على بني إسرائيل لما خالفوا ما أمروا به.

---

[١] انظر: الصحاح، الجوهري، مرجع سابق ص ٨٧٨.

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،، مرجع سابق، ١/٢٧٧.

[٣] صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، حديث رقم ٢٢١٨، ص ١٠٥٤.

المبحث الثالث

خصائص سنة الله ﷻ في العقاب

يمتاز العقاب الإلهي الدنيوي بخصائص عدة، يمكن استخلاصها من آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ﷺ، من أبرز هذه الخصائص ما يأتي:

① الحكمة والعدل.

تعد العدالة الصفة المميزة للعقوبة الإلهية، فإن الله ﷻ هو العادل في حكمه وقضائه وقدره، قال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت: ٤٦)، ويأمر الله ﷻ الناس، ﴿ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ (النحل: ٩٠)، وقد حذر الله ﷻ من ترك العدل وإيثار العدوان على الحق، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة: ٨)

فإن الله ﷻ موصوف بالعدل في فعله، فأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، ليس فيها شائبة جور أصلاً، فهي كلها بين الفضل والرحمة، وبين العدل والحكمة، وما ينزله ﷻ بالعصاة والمكذبين من أنواع الهلاك والخزي في الدنيا، وما أعده لهم من العذاب المهين في الآخرة، فإنما فعل بهم ما يستحقونه، فإنه لا يأخذ إلا بذنب، ولا يعذب إلا بعد قيام الحجة، وأقواله كلها عدل فهو لا يأمرهم إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهاهم إلا عما

مضرته خالصة أو راجحة.[1]

فمن خصائص سنن الله ﷻ أنها تتسم بالحكمة والعدل؛ لأنها من فعله ﷻ، وفعل الله هذه صفته دائما، لأن من أسماء الله الحسنى الحكيم والعدل، فهو ﷻ حكيم في أفعاله، بل له الغاية والكمال الأتم في ذلك.[2]

ويقول تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (الأنعام: ١٣١)، أي لم يكن يعاجلهم بالعقوبة، حتى يبعث رسلاً تنبههم على حجج الله عليهم، وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم إليه، ولم يكن بالذي يأخذهم غفلة، فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير.[3]

ويعني: "إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لئلا يؤاخذ أحد بظلمه، وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذبنا أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم.[4]

وورد عن النبي ﷺ قوله: "لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم".[5] ومعنى يعذروا أي تكثر ذنوبهم وعيوبهم، وفيه لغتان، يقال: أعذر الرجل أعذارًا إذا صار ذا عيب وفساد، ويقال: أعذر فلان من نفسه إذا أمكن منها، يعني أنهم لا يهلكون حتى تكثر ذنوبهم، وعيوبهم فيستوجبون العقوبة، فلم يبق لهم

---

[1] انظر: الجزاء من جنس العمل، سيد حسين العفاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،، ١٩٩٦م، ١/١٥.

[2] انظر: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك ، الخطيب، مرجع سابق، ١/٥٤.

[3] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٩/٥٦٣.

[4] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣/٣٤١.

[5] سنن أبي داود مرجع سابق ،كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٤٧، ٦/٤٠٢، قال إسناده صحيح. وانظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الألباني، مرجع سابق، حديث رقم ٥٢٣١، ص ٩٢٨، قال عنه صحيح. وانظر: مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، مرجع سابق، كتاب الآداب، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم ٥١٤٦، ٣/ ١٤٢٤.

عذر بإظهار الحق لهم.[1]

فذلك مما قدره الله ﷻ، كما أن فيه تنزيهًا لله ﷻ عن الظلم، وإن كان الظلم لا يُذكر في حقه أصلاً؛ فخالق الخلق يفعل بهم ما يشاء، سواء أعذرهم أم لم يعذرهم، حتى لا يكون للناس على الله حجة، فيقول سبحانه: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾(النساء: ١٦٥).

② العقاب سنة مطردة.

إن الناظر المتفحص للتاريخ، ولسير الأقدمين المؤمنين السائرين على منهج الله، أو الكافرين المتنكرين لمنهجه، يجد أن هناك قوانين وسننًا ثابتة تحكم حياة البشر، وفق تعاملهم مع المنهج الإلهي الذي ارتضاه الله نظامًا لهذه البشرية، فالثبات في السنن الإلهية الإنسانية أمرٌ مُلاحظ يدل عليه التاريخ، ويشهد له الواقع.[2]

وكثيرة هي الآيات التي تشير إلى اطراد العقاب وعدم تحوله عن المستحقين له، قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾ (الكهف: ٥٥)، أي وما منع هؤلاء المشركين من الإيمان بالله ﷻ، بعد مجيئهم الهدى، والاستغفار مما هم عليه من الشرك، إلا مجيئهم سنتنا في أمثالهم من الأمم المكذبة رسلها قبلهم، أو إتيانهم العذاب قُبلا، أي صنوفًا وألوانًا وفجأة.[3]

---

[1] انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، مرجع سابق ، ١١/٥٠١-٥٠٢.

[2] انظر: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الايمان بها في العقيدة والسلوك ، الخطيب، مرجع سابق، ١/ ٤٥.

[3] انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، مرجع سابق ١٨ /٥٠.

ولتأكيد هذه الحقيقة -اطراد العقاب- في نفوس المخاطبين، فقد وردت آيات تؤكد هذا المعنى، ليكون حقيقة ثابتة لا تقبل الشك أو الريب؛ حتى يعتبروا بحال من سبقهم ولا يسلكوا مسلكهم، فيحل بهم بما حل بسابقيهم. يقول الله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (السجدة: ٢٦)، "أي أو لم نبين لهم إهلاكنا القرون الكافرة من قبلهم..وهم يمشون في مساكنهم".[١]

ويقول الله ﷻ: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (مريم: ٧٤)، والمعنى: أن الله ﷻ يلفت أنظار المكذبين، "وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم، ...كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً وأمتعة، ومناظرًا وأشكالاً".[٢]

يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠٠)، يقول ﷻ: أولم يتبين للذين يُستخلفون في الأرض بعد هلاك آخرين قبلهم، كانوا أهلها فساروا سيرتهم، وعملوا أعمالهم، وعتوا على ربهم ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ﴾ ، يقول: أن لو نشاء فعلنا بهم، كما فعلنا بمن قبلهم، فأخذناهم بذنوبهم، وعجلنا لهم بأسنا كما عجلناه لمن كان قبلهم، ممن ورثوا عنه الأرض فأهلكناهم بذنوبهم.[٣]

ومن الأدلة على سنة العقاب، تحذير رسول الله ﷺ الناس من الوقوع في

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،مرجع سابق، ١١٠/١٤.

[٢] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢٥٨/٥.

[٣] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، مرجع سابق، ٣٤٤/١٠.

الأشياء التي أهلكت سابقيهم، من ذلك قوله ﷺ: "ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم"[1]، وقوله ﷺ: "...واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كانوا قبلكم.."[2]. فيتبين لنا مما سبق، أن العقاب سنة إلهية مطردة لا تتبدل ولا تتحول، وأن وقوع العقاب مستلزم لأسبابه الموجبة له.

③ الذنوب تهلك أصحابها.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (الأنعام: ٦).

وواضح من هذه الآيات، أن الهالكين إنما أهلكهم الله بذنوبهم التي اقترفوها، وفي هذا الإخبار حقيقة ثابتة وسنة مطردة: أن الذنوب تهلك أصحابها، وأن الله ﷻ هو الذي يهلك المذنبين بذنوبهم، وأن هذه سنة ماضية ولو لم يرها أحد في عمره القصير، ولكنها سنة ثابتة تخضع لها الأمم حين تفشو فيها الذنوب، فإنها تهلك إما بقارعة من الله تعالى، كما كان يحدث في هلاك الأمم السابقة، وإما بالانحلال البطيء الطبيعي الذي يسري في كيان الأمة، وهي توغل في متاهات الذنوب، وتحسب أنها في أمان من الهلاك.[3]

ويقول تعالى: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ

---

[1] صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ، حديث رقم: ٢٣٨٨.

[2] صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، حديث رقم:٤٦٨٢.

[3] انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص ٢١٠.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٥٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ (الأنفال :٥٢-٥٣)، أي أن هذا العقاب لأنهم غيروا وبدلوا.[1]

④ **الشمول والعموم.**

من خصائص العقاب الإلهي أنه شامل عام لكل مستحقيه، لا تنفرد به أمة من الأمم، أو حال من الأحوال، لوجود فرد معين أو صفة خاصة، فليس هناك قوم أو أمة معينة مستثناه من عقاب الله ﷻ، إذا توافرت أسبابه الموجبة له، فسنة الله ﷻ في العقاب تتواجد في الأشياء المتماثلة، فإذا فعلت أمة مثل ما فعلت أمة سابقة، حلت بها سنة الله نفسها التي حلت بالأمة السابقة، فلا اعتبار فردي ولا محاباة لأمة على أمة، أو لشعب على شعب، كما كان يظن كثير من الناس، حين كانوا يعتقدون أن أفعال الله تشبه أفعال الحاكم المستبد في حكومته، المطلق في سلطته، فهو يحابي بعض الناس، فيتجاوز لهم عما يعاقب لأجله غيرهم، ويثيبهم على العمل الذي لا يقبله من سواهم.[2]

يقول تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾ (نوح: ٢٦)، أي إنك إن أبقيت منهم أحدًا أضلوا عبادك[3]، وتلك سنة الله تعالى في أخذ القوم الكافرين، فلا يترك منهم أحد.

وقد سن الله تعالى إنزال العقاب بالقوم المجرمين وهو المنتقم الجبار، فالمنتقم من له انتقام واقع أو محذور مترقب، ويتضمن كل صفة يفتقر إليها الفعل، وانفرد

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٤٦/١٠.

[2] انظر: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، الخطيب، مرجع سابق، ٥٠/١.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢٣٧/٨.

سبحانه بمضمون هذا الاسم لأربعة أوجه، **أحدها:** عموم انتقامه لكل من كذب أو أشرك، ولا يصح ذلك من غيره، فانتقامه يكون على هذا الوجه لنكوص العبد عن طاعته، والتخلف عن استجابته له ولرسوله، **والثاني:** دوام مجازاته ولا محيص لمخلوق عما أراد به، **والثالث:** أن انتقامه ليس موقوف على أذى غيره، **والرابع:** أنه غير محتاج إلى أعوان فيما يريده من ذلك.[1]

⑤ النفاذ وعدم التخلف.

لا راد لأمر الله ﷻ، فإذا قدر الله تعالى عقاب أمة أو قوم أو فرد، فإنه لا راد لكلمة الله ﷻ، ونرى تلك الصورة في مجادلة إبراهيم عليه السلام عن قوم لوط، حيث ذكر الله ﷻ صريح المجادلة بقوله: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ ﴾(هود: ٧٤-٧٦)، ويقول جل شأنه: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾(آل عمران: ١٢٨).

فالله ﷻ فعال لما يريد، وهو الغالب على أمره، فإذا قدّر قدرًا لا يرده إنس ولا جان، فإذا أمر بالعقاب فلا يستطيع مدافعته أحد، يقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (يوسف: ٢١)، ويقول جل شأنه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾(الملك: ٢٨).

---

[1] انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق محمد حسن جبل، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٩٩٩م، ٤٨٩/١.

ويقول ﷻ: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ (الرعد:٣٤)، أي: "وما لهؤلاء الكفار من أحد يقيهم من عذاب الله إذا عذبهم، لا حميم ولا صديق، ولا ولي ولا نصير، لأنه ﷻ لا يعاده أحد فيقهره، فيتخلصه من عذابه بالقهر، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وليس يأذن لأحد في الشفاعة لمن كفر به، فمات على كفره قبل التوبة منه".[١]

– أثر التوبة على رفع العقوبات.

التوبة هي الإقلاع عما هو عليه في المستقبل، والرجوع إلى الحق، وهي ترك الذنب مخافة الله واستشعارَ قبحه، وندمًا على المعصية من حيث هي معصية، والعزيمة على ألا يعود إليها إذا قدر عليها، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.[٢]

والاستغفار من غفر، وهو التغطية، فيكون غفران الذنب تغطيته ومحوه، والاستغفار من الذنب طلب الغفران منه.[٣]، طلب مغفرة ما سلف منهم في الماضي، والندم عما فرط منهم من سوء الاعتقاد.[٤]

يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾(النساء: ٦٤)، أي لو أنهم تابوا إلى الله واستغفروه، ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، أي راجعًا لهم مما يكرهون إلى ما

١ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٥٥١/١٣.

٢ انظر: تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٢٨٤/٦. وانظر: التوبة إلى الله "معناها حقيقتها فضلها شروطها"، صالح بن غانم السدلان، دار بلنسية للنش روالتوزيع، الرياض ، ١٤١٦هـ ، ص ١٠

٣ انظر الصحاح، الجوهري، مرجع سابق، ص ٧٧٠- ٧٧١

٤ انظر: تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٢٨٤/٦.

يحبون، فيغفر ذنبهم ويقبل توبتهم، ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه.[1]

وقد قضت سنة الله تعالى في العقاب أنه يرفع بالتوبة والاستغفار، فإن تقرير العقاب يكون على الذنب، والله تعالى يغفر الذنوب بالتوبة، والذنوب هي أساس العقاب، فإذا محيت بفضل الله تعالى ورحمته بسبب التوبة، فلا يكون هناك عقاب.

ويقول ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾ (المائدة: ٧٣- ٧٤)، فبعد أن قررت الآيات كفر من يقولون بأن الله — تعالى عما يصفون — ثالث ثلاثة، فقد أنذرتهم بالعذاب الأليم ، ثم دعتهم إلى التوبة لطفًا من الله ﷻ ورحمة بهم[2]، وتأكيدًا على رحمة الله ﷻ،... وأنه يغفر الذنب لمن تاب، فهو وعد بأنهم إن تابوا واستغفروه رفع عنهم العذاب برحمته، وصفح عما سلف منهم بغفرانه".[3]

والتوبة تجعل الذنب كأن لم يكن، يقول النبي ﷺ: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له".[4] فإن الله ﷻ يغفر الذنوب جميعًا، فقد ذهب الجمهور إلى أن التوبة ممكنة من كل ذنب[5]، وذلك أن من فضل الله ﷻ أن يغفر الذنوب

---

[1] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٩٩/٧.

[2] انظر: تفسير بحر العلوم ، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق ٥٤٤/٣.

٣ تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور ، مرجع سابق ٢٨٤/٦

[4] صحيح الترغيب والترهيب، الألباني ، مرجع سابق ،كتاب التوبة والزهد، باب الترغيب في التوبة، ٣/ ٢١٩

٥ انظر: التوبة والاستغفار، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد عمر الحاجي وعبد الله بدران، دار الكتاب العربي ، بيروت، ص٢٨

جميعًا، إذا تاب وأقلع عنها، فيقول تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾(الزمر: ٥٣) فالآية واضحة في أن الله ﷻ يغفر الذنوب جميعًا؛ لذلك لا يجب أن يقنط الإنسان من رحمة الله تعالى، "واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله ﷻ؛ لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولاً أضاف العباد إلى نفسه بقصد تشريفهم ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب أولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ ﴾".[1]

فإذا كانت التوبة والاستغفار تمحو الذنوب، فهي بالتالي ترفع العقاب رحمة من الله تعالى وفضلاً منه، فما دام الناس يستغفرون الله فإن الله يغفر لهم، ولا يعذبهم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأنفال : ٣٣)

"ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد، وبين أظهرهم مقيم، حتى أخرجك من بين أظهرهم، لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون".[2]

فتشير الآيات إلى حالتين لا يعذبهم الله تعالى فيها بعذاب الاستئصال،

---

١ فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة :الأولى، ١٤١٤ هـ ، ٥٣٨/٤.

٢ تفسير جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، الطبري ،مرجع سابق ، ١١/ ١٥٧

وهما: وجود رسول الله ﷺ بين ظهرانيهم، ودوامهم على الاستغفار، فالاستغفار هو سبب لرفع العذاب، "وترك الطريق أمامهم لاتقاء عذاب الاستئصال، إذا هم استجابوا واستغفروا عما فرط منهم وأنابوا".[1]

وقيل إن الاستغفار في قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، عائد إلى الكفار، وقال آخرون: إنه يعود على المسلمين بمكة، وقيل: إن الاستغفار هنا يراد به الإسلام، وقيل أي: في أصلابهم من يستغفر الله، وقيل لو استغفروا لم يعذبوا استدعاهم إلى الاستغفار.[2] والأقرب أنه يعني الإسلام، فيكون المعنى – والله تعالى أعلم– أن الله لن يعذبهم ما دام النبي بينهم، كما أنه لن يعذبهم إذا أسلموا واستغفروا لذنوبهم.

وهي دعوة إلى التوبة عما يقولون، والإيمان بما جاء به النبي ﷺ "فالذي يظهر أنها جملة معترضة، انتهزت بها فرصة التهديد، بتعقيبه بترغيب على عادة القرآن في تعقيب الوعيد بالوعد، فبعد أن هدد المشركين بالعذاب، ذكرهم بالتوبة من الشرك بطلب المغفرة من ربهم، بأن يؤمنوا بأنه واحد، فهو وعد بأن التوبة من الشرك تدفع عنهم العذاب، وتكون لهم أمنًا وذلك هو المراد بالاستغفار".[3]

والخلاصة أن التوبة جعلها الله سببًا لغفران الذنوب، وحيث أن الذنب هو سبب العقاب –كما تم إيضاحه– فإن غفران الذنب يعني: رفع العقاب برحمة الله تعالى ومشيئته.

يُشترط في التوبة لرفع العقوبة أن تكون خالصة لله ﷻ؛ لأن الله ﷻ لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا له وحده، مبتغيًا به وجهه، وموافقًا أمره بإتباع رسوله، فلابد أن يكون العمل خالصًا لله تعالى صوابًا، أي موافقًا للسنة،

---

١ انظر ، في ظلال القرآن ، سيد قطب، مرجع سابق ٣/١٥٠٥

٢ انظر الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، مرجع سابق ، ٩/ ٤٩٧

٣ انظر تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، مرجع سابق ، ٩/٣٣٥

إذ قد يكون العمل صوابًا ولا يكون خالصًا فلا يقبل، وقد يكون خالصًا ولا يكون صوابًا فلا يقبل أيضًا.[1]

ويظهر ذلك من خلال النظر إلى الفرق بين توبة قوم يونس عليه السلام، وبين ما قاله فرعون عند الغرق، فإن كان هناك تشابه في التوبة وقت وقوع العذاب، إلا أن الفرق واضح في النية والإخلاص، فقوم يونس عليه السلام قد أخلصوا النية وتابوا بالفعل، فآمنوا بالله عز وجل فنفعهم إيمانهم، أما فرعون فإنه لم يتب حقًا، وإنما أراد أن ينقذ نفسه مما حاق به من عذاب، ويؤيد هذا نكوصه عن عهوده السابقة لموسى عليه السلام، عندما أصابه الطوفان والحشرات والأمراض، فقد كان مع كل مصيبة تصيبه، يعاهد موسى عليه السلام على الإيمان وإرسال بني إسرائيل، إلا أنه يعود فيخلف وعده، وذلك أنه كان يعاهد موسى عليه السلام على اعتبار أنه فرد من بني إسرائيل، وليس بوصفه رسول، أما قوم يونس فقد تابوا لله عز وجل بعد رحيل نبيهم، ولجأوا إليه ليرفع عنهم العذاب، فاستجاب الله عز وجل وقبل توبتهم.

يُستفاد مما سبق أن التوبة ترفع العقوبة، ولكن يجب أن تكون صادقة لله سبحانه وتعالى، بمعنى عقد العزم على عدم العودة للذنب، وتكون نابعة من إيمان بالله تعالى، وليس لتجاوز الابتلاء ثم النكوص على عقبيه.

[1] انظر: التوبة إلى الله معناها حقيقتها فضلها شروطها، السدلان، مرجع سابق، ص ٢١.

الفصل الثالث

المصائب والكوارث الكونية وعلاقتها بالابتلاء

ويتكون من تمهيد ومبحثين، على النحو الآتي:

التمهيد: التعريف اللغوي والاصطلاحي للابتلاء.

المبحث الأول: تقرير سنة الابتلاء.

المبحث الثاني: حكمة الابتلاء وأسباب رفعه.

التمهيد: التعريف واللغوي والاصطلاحي للابتلاء.

تطرقنا في الفصل الثاني إلى أن المصائب والكوارث الكونية، قد تقع كعقاب على الذنوب التي يرتكبها الناس، كما بينا صفاتها من حيث كونها تقع بمشيئة الله ﷻ، ولا يملك دفعها إلا هو ﷻ، كما أن الله تعالى ينجي عباده المؤمنين من تلك الكوارث، حيث إن العقاب يكون –غالبًا– نتيجة الذنوب.

وسوف نوضح إن شاء الله في هذا الفصل، أن الكوارث والمصائب قد تأتي من باب الابتلاء، المشتمل على الحكمة وليس كعقاب، وتكون –غالبًا– تنبيهًا للغافل، أو اختبارًا للمؤمن، أو إمهالًا قبل وقوع العذاب، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله ﷻ.

أولاً: التعريف اللغوي للابتلاء.

البلاء من بلوته بلواً، جربته واختبرته، والتبالي: الاختبار[1].ويكون البلاء في الخير والشر، فالله ﷻ يختبر العبد في صبره وشكره[2]، ولهذا قيل: البلاء يكون منحة، ويكون محنة، فالمحنة مقتضية الصبر، والمنحة مقتضية الشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر، فصارت المنحة أعظم البلاءين[3]، والبلاء: الهم الذي تحدث نفسك به، وسُمي الغم بلاءً؛ لأنه يبلي الجسد.[4]

والابتلاء: في الأصل التكليف بالأمر الشاق، لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة إلى من يجهل العواقب ظُن ترادفهما، وقال بعضهم: الابتلاء يكون في

[1] انظر: الصحاح، الجوهري، مرجع سابق، ٢٢٨٥/٦.

[2] انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن زكريا ، مرجع سابق، ٢٩٣/١.

[3] انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، مرجع سابق ،٢٠٧/٣٧.

[4] انظر: التوقيف على مهمات التعاريف،عبد الرؤوف بن المناوي، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٨٣.

الخير والشر معاً، يقال في الخير أبليته، وفي الشر بلوته بلاء[1].

فإن الله ﷻ يبتلي عباده المؤمنين والكافرين، بالكوارث الكونية عبرة وعظة لهم؛ ليتوبوا إلى الله ﷻ ويرجعوا إليه، يقول ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾.(إبراهيم: ٦).

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي للابتلاء.

ويُعرّف الابتلاء بأنه: "استخراج ما عند المبتلى، وتعرف حاله في الطاعة والمعصية بتحمله المشاق".[2] كما يُعرّف بأنه" "الحادث الذي فيه شدة ومشقة، وينزل بالمرء لغرض اختباره وامتحانه به.[3]

ومن هنا يتضح أن البلاء اختبارٌ، وله معنيين، الأول: معنى عام يشمل الابتلاء بالخير وبالمكاره، وفي ذلك ورد قول الله ﷻ: ﴿ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾(الأنبياء: ٣٥)، والمعنى: لنمتحنكم لنعلم المجاهد والصابر علم معاينة، حتى يقع عليه الجزاء.[4]

وهناك معنى خاص وهو الابتلاء بالمكاره، وهو الاستخدام الأشهر

---

[1] انظر: الكليات ،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،، ١٩٩٨م، ص ٣٤.

[2] فقه الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم، عبد الله ميرغني محمد صالح السودان، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت، ص ١٩

[3] انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص٨.

[4] انظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ،مرجع سابق، ٢ / ٤٦٢

لمصطلح الابتلاء، فمعنى البلاء وإن كان يُطلق على الخير والمكروه، إلا أن أكثر استعماله في المكروه، والمصائب بشكل عام من المكروهات للإنسان، وأكثر ما يخافه أن يحدث طوفان أو زلزال، ذلك الخوف الفطري الموجود في الإنسان منذ بدايات حياته على الأرض.[1]

وبناءً على ما سبق نخلص إلى الابتلاء: "إصابة العبد المؤمن بالمكروه"، وفي إطار دراستنا فإن المكروه عبارة عن المصائب والكوارث الكونية، التي تصيب العبد المؤمن اختبارًا لصلابة دينه، وتكفير ذنوبه.

أما عن العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي فإنها واضحة، فالمعنيان قد اتفقا على ذكر الاختبار والمشاق المرافقين للبلاء، وإن كان المعنى الاصطلاحي أخص، وأدل على المطلوب بشكل مباشر.

المبحث الأول
تقرير سنة الابتلاء

كما تأتي المصائب والكوارث الكونية لعقاب الكافرين والعصاة، فإنها قد تقع أيضًا لابتلاء المؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(البقرة: ١٥٥-١٥٧)

أي لنختبرنكم يا أمة محمد، واللام لجواب القسم، تقديره والله لنبلونكم، والابتلاء من الله لإظهار المطيع من العاصي، لا ليعلم شيئًا لم يكن عالماً به[2]،

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ١٩٢/١٣.

[2] انظر، معالم التنزيل، البغوي، مرجع سابق، ١٦٩/١.

فإن الله يضع عباده في مواقف اختبار -مع علمه ﷻ بهم- ليستحقوا الثواب عن بينة.

أولاً: الابتلاء سنة الله ﷻ في أرضه.

فالابتلاء سنة الله في عبادة، وذلك أن الدنيا أساسًا دار ابتلاء، حيث يمحص المؤمن المستحق رضوان الله ﷻ وجناته، من الكافر المستحق نقمة الله ﷻ وعذابه، يقول ابن القيم: "إن الله ﷻ إنما خلق السماوات والأرض، وخلق الموت والحياة، وزين الأرض بما عليها؛ لابتلاء عباده وامتحانهم، ليعلم من يريده ويريد ما عنده، ممن يريد الدنيا وزينتها.[1]

ومن سنة الله تعالى، أن يبتلي عباده بالأحكام الكونية القدرية من وجوه الضراء، التي لا صنع له فيها، من مصائب في الأموال والأنفس والثمرات، ومن زوال الصحة بالمرض، وفقدان بعض الأعضاء، ومن قلة مطر وجدب وفقر وجوع، ومن غم وحزن وخوف، إلى غير ذلك من المضار والمصائب.[2]

فوجود الإنسان في الحياة في حد ذاته اختبار وابتلاء، وعلى الإنسان اجتيازه ليصل إلى رضوان الله ﷻ وجناته، ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ (البلد: ٤)، قيل في معنى ﴿كَبَدٍ﴾: "في شدة، فلم يخلق الله خلقًا يكابد ما يكابد ابن آدم، وهو في ذلك أضعف الخلق".[3]، وحرف الجر "في" يفيد ملازمة الإنسان للكبد، والظرفية في قوله: ﴿فِى كَبَدٍ﴾، مستعملة مجازًا في

---

[1] انظر: أصول جامعة نافعة في البلاء والإبتلاء، ابن القيم الجوزيه، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة طبرية ، الرياض ١٩٩٢م، ص١٣.

[2] انظر: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، الخطيب، مرجع سابق، ٢٨٧/١.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٨ / ٤٣٠.

الملازمة، فكأنه مظروف في الكبد".[1] فالإنسان يعيش حياته كاملة يعاني من الشدائد والمصاعب، فمن ثبت قلبه للابتلاء نجا، ومن اهتز إيمانه أهلكته الدنيا.

بل جعل الله ﷻ السماوات والأرض، وما فيهما من مخلوقات وزينة؛ ليبتلي عباده بالاعتبار والاستدلال على كمال قدرته، وعلى البعث والجزاء ليميز أحسنهم عملاً فيما أمر به ونهى عنه،[2] قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾. (هود: ٧)، بل إن الله ﷻ خلق الموت والحياة من أجل ابتلاء العباد، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ .(الملك:٢)

ولتعميق أصل الابتلاء، فقد افتتح الله ﷻ سورة العنكبوت -بعد الأحرف المقطعة- باستفهام استنكاري، قائلاً: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ (العنكبوت: ٢-٣)، أي أن الله ﷻ لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب إيمانهم،[3] "قال مجاهد وغيره: نزلت هذه الآية مسلية ومعلمة، أن هذه هي سيرة الله في عباده اختباراً للمؤمنين وفتنة"[4]، ولا تستغني الحياة عن

---

[1] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٥١/٣٠.

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٠٧/٤.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢٦٣/٦.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٢٣/١٣.

عن الامتحان والاختبار؛ "ليعرف المحسن من المسيء، والعامل والمقصر أو غير العامل، والمستقيم والفاجر، وهكذا حياة البشر أمام الله ﷻ، لا بدّ لهم من الاختبار؛ ليتميز المؤمنون الصادقون والكاذبون، ويعرف المجاهدون والمتقاعسون، فيجازى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته".(١)

قال رسول الله ﷺ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ".(٢)

لذلك يتزايد الابتلاء مع الإيمان، فحياته تكون عرضة للبلايا من بدايتها حتى نهايتها، أما المنافق فإن الله يمد له حتى يستحصد، فيقول النبي ﷺ: "مثل المؤمن كمثل خامة الزرع، لا تزال الريح تفيؤه، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز، لا يهتز حتى يستحصد".(٣)

أَمَّا "الخَامَة" فهي: الطَّاقَة وَالْقَصَبَة اللَّيِّنَة مِنْ الزَّرْع، وقيل: ما لها ساق واحد، تحمر تارة وتصفر أخرى، وأما "تفيؤه" أي: تُقَلِّبهَا الرِّيح يَمِينًا وَشِمَالًا، فإذا سكت الريح اعتدلت، وكذلك المؤمن مع البلاء يخرج منه قويًا، رغم الشدة والزلزلة التي أصابته، ففي الحديث إشارة إلى أن المؤمن يَرى نفسه معزولة عن لذاتِ الدنيا وَشهواتها، معرضة للمصائب، مخلوقة لِلْآخرة لِأَنها دَار خلود.(٤)

وأمّا قوله ﷺ: "ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز"، أي كشجر الصَّنوبر، لَا تتحرّك حتى يدخل وقت حصادِها فَتُقطع، فالمنافق شبيه بشجرة الصنوبر، يقلُّ

---

١ التفسير الوسيط، وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١٩٤٦/٣.

٢ صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم: ٥٣٢٣.

٣ صحيح الجامع الصغير (الفتح الكبير)، الألباني، مرجع سابق، حديث رقم ٥٨٤٢، ص ١٠١٧.

٤ انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، مرجع سابق، ١٨٦/٩. تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، المباركفوري، ١٨٥/٧.

بَلَاؤه فِي الدنيا لِئلا يخف عذابه في العقبى،[1] "والمعنى أن المؤمن كثير الآلام في بدنه، وأهله وماله، وذا مكفر لسيئاته، رافع لدرجاته، والكافر قليلها وإن حل به شئ لم يكفر، بل يأتي بها تامة يوم القيامة".[2]

ولذلك فإن سنة الله ﷻ في ابتلاء عباده، سنة جارية وماضية لا تحيد عن أحد من البشر، فردًا أو جماعة مسلمًا أو كافرًا.

ثانيًا: أقسام الابتلاء.

ويمكن تقسيم الابتلاء: إلى ابتلاء خاص: يصيب فرد أو مجموعة أفراد معينين، وابتلاء عام: يصيب جماعة من الناس، أو بلد أو مدينة معينة.

فقد تقع الكارثة ضمن فئة محددة من الناس، وفي مكان محدود، وتشمل الحوادث الكبيرة التي تقع في المنشأة، ووسائل النقل من سفن وقطارات وطائرات، ومن أمثلتها تحطم الطائرات واحتراقها وغرق السفن، كما قد تقع ضمن نطاق مدينة واحدة، ويشمل الأحداث التي يقتصر نطاق تأثيرها على المدينة أو المنطقة التي حدثت بها.

ومن أمثلتها، ما حدث لمدينة الرياض مساء يوم السبت الموافق ٤ ذي القعدة ١٤١٦هـ، حيث هطلت أمطار غزيرة على مدينة الرياض مصحوبة بقطع كبيرة من البرد، وبرياح بلغت سرعتها حوالي "٧٠" كيلو مترًا في الساعة، وبلغت كمية الأمطار التي هطلت على مطار الملك خالد ٣٢،٤ ملم، و٤٠ملم وسط مدينة الرياض.

---

[1] انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، مرجع سابق، ١٨٦/٩. تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، المباركفوري، مرجع سابق، ١٨٥/٧.

[2] المنهاج شرح صحيح، مسلم، بن الحجاج، النووي، مرجع سابق سابق، ١٨٦/٩.

كما قد تقع الكوارث في نطاق الدولة، وتسمى كوارث قومية، ومثال هذا النوع ما تعرضت له الصين من فيضانات خلال شهر مايو، عام ١٩٩١م، وقد أثرت بشكل مباشر على ١٣ مقاطعة، من مجموع ٣٠ مقاطعة في البلاد، وتشرد أكثر من ٢٢٠ مليون نسمة، أي ما يعادل ربع سكان الصين تقريبًا.(١)

ثالثًا: نماذج من الابتلاء بالمصائب والكوارث الكونية.

الابتلاء سنة من سنن الله ﷻ، سواء كان ابتلاءً خاصًا أم عامًا، وقد حدثنا القرآن الكريم عن نماذج عدة للابتلاء، الذي ابتلى الله به عباده المؤمنين، عامًا كان أم خاصًا، ومن تلك النماذج:

١ ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام.

يذكر الله ﷻ عن أيوب عليه السلام البلاء الذي أصابه في ماله، وولده، وجسده، وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام، والحرث شيء كثير، وأولاده كثر، وله منازل مرضية، فابتلي في ذلك كله، وذهب عن آخره، ثم ابتلى في جسده بالجذام، ولم يبق من الناس أحد يحنوا عليه سوى زوجته، كانت تقوم بأمره.(٢)

فإن المرض، وفقدان الأهل والأبناء بالموت، هو من المصائب التي تحل بالإنسان، خصوصًا إذا أدى ذلك المرض إلى عجز الإنسان عن الحركة، وطلب الرزق من الله ﷻ، فذلك من أشد أنواع الابتلاء الذي لا يصبر عليه إلا من كان مؤمنًا حقًا، وأيوب عليه السلام نبي من أنبياء الله تعالى، وقع في البلاء، فكان كما قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾(ص: ٤٤)

---

[١] انظر: الأسس النظرية والعلمية لإدارة الكوارث ومدى تطبيقها في إدارة الأزمة، الزهراني، مرجع سابق ص ٢٦

٢ انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ،٣٥٩/٥.

وقد التجأ أيوب إلى الله ﷻ قائلاً: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٣)، أي: نالني في بدني ضر، وفي مالي وأهلي[1].

وفي اللحظة التي توجه فيها أيوب إلى ربه بهذه الثقة وبذلك الأدب، كانت النتيجة ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .(الأنبياء: ٨٤)

❷ ابتلاء النبي محمد ﷺ وصحابته الكرام.

لقد ابتلي الرسول ﷺ وصحابته الأطهار بصنوف من الابتلاء، كالفقر والجوع، والهزيمة يوم أحد، والرعب والخوف الشديد يوم الخندق، أما عن الجوع والفقر، فقد ذكر المباركفوري في خبر حصار الرسول ﷺ وأصحابه في شعب أبي طالب، الذي امتد لثلاث سنين، أن المشركين قطعوا عنهم "الميرة والمادة، فلم يكن المشركون يتركون طعامًا يدخل مكة، ولا بيعًا إلا بادروه فاشتروه، حتى بلغهم الجهد، والتجأوا إلى أكل الأوراق والجلود، وحتى كان يسمع من وراء الشِعب أصوات نسائهم، وصبيانهم يتضاغون من الجوع، وكان لا يصل إليهم شيء إلا سرًا، وكانوا لا يخرجون من الشِعب لاشتراء الحوائج إلا في الأشهر الحرم، وكانوا يشترون من العير التي ترد مكة من خارجها، ولكن أهل مكة كانوا يزيدون عليهم في السلعة قيمتها؛ حتى لا يستطيعون شراءها".[2]

وأيضاً ما ابتلى الله ﷻ به الرسول ﷺ، وصحابته من فقر وجوع في غزوة

---

١ الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، مرجع سابق ٢٥٦/١٤.

٢ الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار إحياء التراث، ١٩٧٦، ص٩٧-٩٨.

تبوك، قال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾. (التوبة: ١١٧)

أما ما ابتلى الله ﷻ به المؤمنين من الهزيمة يوم أحد، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (آل عمران: ١٥٢)، يقول صاحب المنار: "وحاصل المعنى أنه بعد أن صدقكم وعده، فكنتم تقتلونهم بإذنه ومعونته قتل حس واستئصال، صرفكم عنهم بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم، وحال بينكم وبين تمام النصر ليمتحنكم بذلك، أي ليعاملكم معاملة من يمتحن ويختبر، أو لأجل أن يكون ذلك ابتلاءً واختبارًا لكم يمحصكم به، ويميز بين الصادقين والمنافقين، ويزيل بين الأقوياء والضعفاء".[1]

أما ما أصاب المسلمون من البلاء والشدة يوم الأحزاب، فقد كان "أحرج موقف يقفه المسلمون، فلم يكن يحول بينهم وبين قريظة شيء يمنعهم من ضربهم من الخلف، بينما كان أمامهم جيش عرمرم، لم يكونوا يستطيعون الانصراف عنه، وقد كانت ذراريهم ونساؤهم بمقربة من هؤلاء الغادرين في غير منعة وحفظ، وصاروا كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ

١ تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ٤/١٥٠-١٥١.

زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ (الأحزاب: ١٠)، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط. وبعضهم قال: إن بيوتنا عورة من العدو، فائذن لنا أن نرجع إلى دارنا"،[1] وفي هؤلاء أنزل الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾. (الأحزاب: ١١– ١٣)

ورغم البلاء الذي حلّ بالمسلمين، إلا أنه قد تميز الصادقون، المتوكلون على الله، المؤمنون بوعده ﷻ، حتى قال الله فيهم: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الأحزاب: ٢٢)، وكانت نتيجة الصبر على البلاء، والالتجاء إليه ﷻ أن ردّ ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ ﴾. (الأحزاب: ٢٥)

❸ الابتلاء بالقحط والمجاعات.

ابتليت الأمة الإسلامية في بعض السنوات بالقحط والمجاعات، وكان ذلك ناتجًا عن بعدها عن الله ﷻ والانغماس في المعصية.

---

١ الرحيق المختوم، المباركفوري، مرجع سابق ،ص٩٨.

ويذكر ابن كثير في أحداث سنة (٦٢٢هـ)، أنه "كانت الخمور دائرة، والفسق ظاهرًا، والمكوس بحالها، فغلت الأسعار في هذه السنة جدًا، وهلك الصعاليك بالطرقات؛ وكانوا يسألون لقمة، ثم صاروا يسألون لبابة، ثم تنازلوا على فلس يشترون به نخالة، يبلونها ويأكلونها كالدجاج".(١)

وفي سنة (٦٩٤هـ) كسر النيل بديار مصر عن نقص بيّن، وغلت الأسعار بين الناس، ثم وقع فيهم أوائل الوباء، ثم عظم واستمر إلى السنة التالية، وقد مات في تلك المجاعة حوالي سبعة عشر ألف وخمسمائة، هذا بالإضافة على من لم يصل علمه، ولم يكتب اسمه في أوراق الديوان من الغرباء والفقراء، ومن لم يدفن، وذلك بالقاهرة خاصة دون مصر. ويذكر ابن الجزري أن السبب في ذلك، يرجع إلى أن أهل برقة هاجمهم الجراد، وحصل عندهم غلاء عظيم فقدم إلى مصر ما يزيد عن خمسين ألفًا، فتسببوا فيما حدث بمصر.(٢)

والشاهد من ذلك أن البلاء يقع ببلاد المسلمين؛ لتنبيههم من غفلتهم، وحثهم على اللجوء إلى الله ﷻ؛ ليرفع عنهم ما حل بهم من بلاء، فهو وحده القادر على ذلك.

---

١ انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ١٩٩٨م، ١٧ / ٢٧٩

٢ انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ٣٢/ ٣٧، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري، تحقيق عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٩٩٨م، ١/ ٢٥٧

المبحث الثاني

حكمة الابتلاء وأسباب رفعه

أفعال الله ﷻ -سواء أكانت في السراء أو الضراء- صادرة عن حكمة، فكمال الرب ﷻ وجلاله وحكمته، وعدله وإحسانه وحقائق أسمائه الحسنى، تمنع كون أفعاله صادرة منه بلا حكمة وغاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه[1]

ومن أسمائه ﷻ "الحكيم"، أي: الموصوف بكمال الحكمة والحكم بين المخلوقات، واسع العلم والإطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واضع الأشياء في مواضعها، ومنزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره، فلا يتوجه إليه سؤال، ولا يقدح في حكمته مقال. فلا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع شيئًا سدى، له الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه.[2]

وينبغي ألا ينظر إلى الابتلاء نظرة تشاؤمية؛ لأن العكس هو الصحيح، فإن الله ﷻ ما أجرى على عبده قضاءه إلا ليرفع به درجة، أو يحط عنه سيئة، وليست كل أنواع الابتلاء آلامًا كما يظن البعض، بل قد يُبتلى الإنسان بالصحة كما هو الشأن في المرض، ويُبتلى بالنعمة كما يُبتلى بفقدها وذهابها، فالله يعطي العبد بما يناسب تجربته في الابتلاء،[3] قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ

---

١ انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء القدر والحكمة والتعليل، ابن القيم، مرجع سابق، ص٢٠٤.

٢ انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن السعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٢، ١٤٢١هـ، ص١٨٦-١٨٧.

٣ انظر: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٦م، ص٢٨٤.

أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ .(الفجر: ١٥- ١٦)

وينبغي أن نعلم أن الله لا يبتدئ عباده بالابتلاء، وإنما يبتدئهم بالفضل والإحسان، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (إبراهيم: ٧)، فمن أعرض عن الهداية لا يستحق أن يحظى بالفضل الإلهي أو يختصه الله به، ويكون العبد هو السبب فيما حل به من ألوان القضاء.[1]

أولاً: حِكَم الابتلاء وغاياته.

أ. استخراج العبودية لله.

يذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، بل قد يكون نصيب الغني وقسطه من الصبر أوفر؛ لأنه يصبر عن قدرة، فصبره أتم من صبر من يصبر عن عجز، ويكون شكر الفقير أتم؛ لأن الشكر هو: استفراغ الوسع في طاعة الله، والفقير أعظم فراغًا للشكر من الغني، فكلاهما لا تقوم قائمة إيمانه إلا على ساقي الصبر والشكر".[2]

فالبلاء دواء يُستخرج به داء الخطايا والذنوب، وينال المسلم أجرها وثوابها يوم الفقر والفاقة، وفي بعض الآثار: أنه يتمنى أناس يوم القيامة، لو أن جلودهم كانت تقرض بالمقاريض؛ لما يرون من ثواب أهل البلاء، هذا ويشتد فرحه العبد يوم القيامة، بما له قبل الناس من الحقوق في المال، والنفس، والعرض، فالعاقل يعد هذا ذخرًا ليوم الفقر والفاقة، ولا يبطله بالشكوى والانتقام الذي لا يجدي

---

١ انظر: قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، محمد السيد الجليند، ص٢٨٥.

٢ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م، ٢/٢٤٢-٢٤٣.

عليه شيئًا.[1]

ويُحكى أن امرأةً من العابدات، عثرت فانقطعت إصبعها فضحكت، فقال لها بعض من معها: أتضحكين وقد انقطعت إصبعك؟ فقالت: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها.[2]

وإذا صارت الحياة في رخاء ويسر وسهولة، فإن ذلك من شأنه أن ينسي الإنسان حقيقته، وحقيقة وجوده على الأرض، فالإنسان بطبعه غافل، تلهيه أمور الحياة، فيأتي البلاء ليذكره بقدرة ربه عليه، فلا يجد معينًا أو سندًا إلا إياه ﷻ، وهنا يكون دور البلاء في "استخراج العبودية لله، والذل والانكسار، والافتقار إليه وسؤاله النصر، ولو كانوا دائما منصورين قاهرين غالبين لبطروا وأشروا".[3]

وذلك حين "تهتز الأسناد كلها، وتتوارى الأوهام وهي شتى، ويخلو القلب إلى الله وحده، لا يجد سندًا إلا سنده، وفي هذه اللحظة فقط تنجلي الغشاوات، وتتفتح البصيرة، وينجلي الأفق على مد البصر، لا شيء إلا الله، لا قوة إلا قوته، لا حول إلا حوله، لا إرادة إلا إرادته، لا ملجأ إلا إليه، وعندئذ تلتقي الروح بالحقيقة الواحدة التي يقوم عليها تصور صحيح".[4]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : "إن جماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، ولا نعبده بالبدع،...كما أننا مأمورون أن لا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله، ولا نستعين

---

١ انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ٢/٢٢٢-٢٢٣.

٢ انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ٢/١٦٧.

٣ أصول جامعة نافعة في البلاء والابتلاء، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق ، ٩-١٠

٤ في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق ، ١/١٤٥

إلا بالله، وان لا تكون عبادتنا إلا لله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأسى به، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه".[1]

فقد ركز الإمام ابن تيمية في تحديد العبودية على أساسين:

الأساس الأول: العبادة، حيث لا نشرك بالله شيئًا، ونعبده كما أمر دون ابتداع في دين الله.

الأساس الثاني: أن الخوف والرجا، والاستعانة لا تكون إلا بالله ﷻ.

وحدوث الكوارث يحقق الركنين السابقين، وذلك أن المسلم يعلم جيدًا أن جميع حركات الكون، وما يقع للمؤمن من كوارث هي من عند الله، فلا يخاف إلا الله، ولا يدعو غيره، وإذا وقعت الكارثة لا يلجأ إلا لله ﷻ، وبذلك تتحقق العبودية من خلال موقف الكارثة التي يواجهها المسلم.

ب. تربية النفس على المحن.

النفس الإنسانية تقوى بالشدائد، حيث تكسبها صلابة وقوة وثبات على المبدأ والعقيدة، ولذلك فإن البلاء تربية للنفس، "فلابد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، لابد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة، كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها، لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى، فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها، قبل أن تعز في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها كانت أعز عليهم وكانوا أضن بها، كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا

[1] العبودية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق، علي حسن عبد الحميد، دار الأصالة الإسماعيلية ص ١٨

حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها".[1]

والابتلاء يعمل على تربية النفس البشرية، وتهذيبها للقيام بما كلفها الله تعالى به، فمن كانت شيمته الثبات عند الشدائد، كان أهلاً للقيام بأعباء الدين والدعوة، يقول ابن القيم -رحمه الله-: "إن ما يصيب المؤمن في هذه الدار من إدالة عدوه عليه، وغلبته له أمر لازم لابد منه، وهو كالحر الشديد والبرد الشديد، والأمراض والهموم والغموم، فهذا أمر لازم للطبيعة، والنشأة الإنسانية في هذه الدار، حتى للأطفال والبهائم، لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين، فلو تجرد الخير في هذا العالم عن الشر والنفع عن الضر، واللذة عن الألم، لكان ذلك عالماً غير هذا، ونشأة أخرى غير هذه النشأة، وكانت تفوت الحكمة التي مزج لأجلها بين الخير والشر، والألم واللذة والنافع والضار، وإنما يكون تخليص هذا من هذا، وتمييزه في دار أخرى غير هذه الدار.[2]

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ (البقرة: ٢١٤)، يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة، كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل، إن من قام بدينه وشرعه لابد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها.[3]

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب ،مرجع سابق، ١/١٤٥

[2] انظر: أصول جامعة نافعة في البلاء والابتلاء، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق ، ص ٨-٩.

[3] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٩٦.

فإن طريق الجنة محفوف بالمكاره، وهي الابتلاءات التي يواجهها المؤمن في حياته، فيقول النبي ﷺ: "حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات"[1]، ولذلك كان في المكاره والابتلاءات تربية للنفس البشرية، على مقابلة الابتلاءات بنفس راضية مؤمنة.

ج. تنقية الدين من المنافقين.

لتحقيق هذه الحكمة، لا بُد أن يعقد الله ﷻ سببًا من المحنة، يظهر فيه وليه، ويفتضح فيه عدوه، يُعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر[2]، ويشير إلى هذا المعنى قول الله تعالى في غزوة أحد: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٧٩)، ويقصد بقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ أي ما كان الله ﷻ "ليعين لكم المنافقين حتى تعرفوهم، ولكن يظهر ذلك لكم بالتكليف والمحنة".[3]

وهذا الحكمة -التمحيص- قد أشار الله ﷻ إليها في آيات أخر، فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ

[1] صحيح الجامع الصغير (الفتح الكبير)، الألباني، مرجع سابق، حديث رقم ٣١٤٧، ص ٦٠٢، حديث صحيح.

[2] انظر: تفسير القران العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٧٣/٢.

[3] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٨٩/٤.

قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (آل عمران: ١٦٥- ١٦٨)، أي: أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان بأحد؛ ليعلم الله ﷻ المؤمنين، وليعلم الذين نافقوا، ليميز أهل الإيمان بالله ﷻ ورسوله، من المنافقين فيعرفونهم، ولا يخفى عليهم أمر الفريقين.[١]

ويعلق صاحب المنار، على تعجب المؤمنين بما حصل لهم من الهزيمة في أحد، بناءً على كون وجه تعجبهم، هو وجود الرسول ﷺ معهم: "إن الرسول ﷺ لا ينفع أمة قد خالفت السنن والطبائع، فلا تغتروا بوجودكم معه، مع المخالفة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، فهو لا يحميكم مما تقتضيه سنن الله فيكم".[٢]

فالابتلاء هو ما يبين سريرة النفوس لتظهر إلى العلن، ويعرف الصديق من العدو، والصادق من المنافق، ذلك أن الابتلاء يضع الإنسان في موقف الشدة والضعف، فلا يكون هناك حاجة للمنافق للاستمرار في نفاقه، ولا مبطن العداوة إلى إخفائها، بل يظن هؤلاء وهؤلاء أنه يقدرون الظهور بعداوتهم، "ولو كان المؤمنون منصورين دائمًا غالبين، قاهرين لدخل معهم من ليس قصده الدين ومتابعة الرسول ﷺ، فإنه إنما ينضاف إلى من له الغلبة والعزة، ولو كانوا مقهورين مغلوبين دائمًا لم يدخل معهم أحد.[٣]

ويقول ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ

---

[١] انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٣٧٧/٧.
[٢] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ١٨٥/٤. بتصرف يسير
[٣] انظر: أصول جامعة نافعة في البلاء والابتلاء، ابن القيم الجوزية، مرجع سابق، ص ٩-١٠.

ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (المعارج: ١٩- ٢٧). فللإيمان أثره القوي في نفس المؤمن، أمام ما يحل به من كوارث أيًّا كان شكلها أو نتائجها.

فمن قال آمنت لابد أن يمتحنه الله ويبتليه؛ ليتبين: هل هو صادق في قوله: آمنت أو كاذب؟ فإن كان كاذبًا رجع على عقبيه وفر من الامتحان، وإن كان صادقًا ثبت على قوله، ولم يزده الابتلاء والامتحان إلا إيمانًا على إيمانه، ومن ثم يكفّر الله عنه سيئاته، ويغفر له ذنوبه وخطاياه بهذا الابتلاء.[1]

فبالرغم من أن الله ﷻ يعلم قلوب عباده، ويعلم الصادقين منهم والكاذبين، إلا أن سنة الله ﷻ جرت على أن يبتلي المؤمنين من أتباع الرسل، ويبلغ الابتلاء غايته القصوى، حتى يكاد المؤمنين يهلكوا اختبارًا لهم، وتمحيصًا لما في قلوبهم، وكما حدث مع الأمم السابقة فإنه حدث مع المسلمين، وسيحدث مع المؤمنين في كافة العصور.

د. تثبيت المؤمن.

إن من مظاهر كمال العبادة لله ﷻ، الثبات عليها في جميع الأحوال، والمؤمن مأمور أن يرضى بقضاء ربه ﷻ في اليسر والعسر، وفي الصحة والمرض، وفي الرخاء والشدة، فتتقلب أحواله ولكنه ثابت لا تتزعزع عقيدته، شاكر في النعمة صابر على البلاء، مستبشر بفرج الله ﷻ، فإن الله ﷻ "يحب من عباده تكميل عبوديتهم على السراء والضراء، وفي حال العافية والبلاء، وفي حال إدالتهم والإدالة عليهم، فلله -سبحانه- على العباد في كلتا الحالين عبودية،

---

[1] انظر: الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين، عبد الله السودان، مرجع سابق، ص ٢٧-٢٨.

بمقتضى تلك الحال لا تحصل إلا بها".[1]

ففي غزوة أحد رغم الجراح والتعب، والجهد الذي لحق بالرسول ﷺ وأصحابه ، إلا أنهم ثبتوا واستجابوا لأمر الله ، وأمر رسوله ﷺ في تتبع المشركين في حمراء الأسد، وقد توعدهم الناس بالجموع، وخوفوهم بكثرة الأعداء، فما اكترثوا لذلك، بل زادهم قول الناس إيمانًا، أي تصديقًا ويقينًا في دينهم، وإقامة على نصرتهم، وقوة وجراءة واستعدادًا.[2]

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾. (آل عمران: ١٧٢– ١٧٤)

ويقول النبي ﷺ: "قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض، ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على راسه فيجعل فرقتين، وما يصرفه ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد، ما دون عظمه من لحم وعصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء وحضرموت، ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تعجلون".[3]

"فتلك المصائب مظهر لثباتهم على الإيمان، ومحبة الله والتسليم

---

[1] أصول جامعة نافعة في البلاء والابتلاء، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص ٩-١٠

[2] انظر: تفسير القران العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٦٩/٢. الجامع لأحكام القران، القرطبي، مرجع سابق ، ٢٨٠/٤.

[3] سنن أبي داود، باب في الاسير يكره على الكفر، حديث رقم ٢٦٥٧، ٢٨٦/٤، إسناده صحيح.

لقضائه، فينالون بذلك بهجة نفوسهم، بما أصابهم في مرضاة الله، ويزدادون به رفعة وزكاء، ويزدادون يقينًا بأن اتباعهم لهذا الدين لم يكن لنوال حظوظ في الدنيا، وينجّر لهم من ذلك ثواب". [1]

وفي رسالة من القاضي الفاضل[2] إلى صلاح الدين الأيوبي –رحمهما الله– أثناء حصار غزة، يقول فيها: "ربّ ممتحن بنعمة، وربّ منعم عليه بمشقة، وكم مغبوط بنعمة هي داؤه، ومرحوم من بلوى هي دواؤه، ويريد المملو بهذا أن لا يتغير لمولانا – أبقاه الله – وجه عن بشاشة، ولا صدر عن سعة، ولا لسان عن حسنة، ولا تؤى منه ضجرة ولا تسمع منه نهرة، فالشدة تذهب وتبقى ذكرها، والأزمة تنفرج ويبقى أجرها، وكما لم يحدث استمرار النعم لمولانا– عز نصره– بطرًا، فلا تحدث له ساعات الامتحان ضجرا".[3]

يتضح من ذلك أن المؤمن إذا أصابه ابتلاء، فإنه يجعل قلبه متعلق بالله رجاءً في فضله تعالى، بأن يرفع عنه ذلك الابتلاء ، وخوفًا أن يكون الابتلاء نقمة وغضب من الله، وبالتالي فإنه يكون دائم الصلة بالله والدعاء والاستغفار.

هـ. البلايا والمحن تكفر الخطايا وترفع الدرجات.

البلايا مكفرات لذنوب المؤمنين، فقد "وضع الله المصائب والبلايا والمحن

---

[1] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ٢/٤٥.

[2] أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف، بهاء الدين أبي المجد علي بن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي، العسقلاني المولد، المصري الداري المعروف بالقاضي الفاضل، وزر للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى، وتمكن منه غاية التمكن، وبرز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله فيها الغرائب مع الإكثار، توفي عام ٥٩٦هـ، ودفن بسفح المقطم بالقاهرة.انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ١٥٨/٣.

[3] الثبات أهميته وعوامل بقائه وهدمه وصور على الثبات وعدمه، محمد موسى الشريف، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٥٥.

رحمة لعباده، يكفر بها من خطاياهم، فهي من أعظم نعمه عليهم، وإن كرهتها أنفسهم، ولا يدري العبد أي النعمتين عليه أعظم: نعمته عليه فيما يكره؟ أو نعمته عليه فيما يحب".[1]

يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾(البقرة: ١٥٥)، ويقول الماوردي -رحمه الله-: "أما الصبر ففيه قولان، أحدهما: الثبات على أوامر الله تعالى، والثاني: الصيام المقصود به وجه الله تعالى، وأما الاستعانة بالصلاة فتحتمل وجهين، أحدهما: الاستعانة بثوابتها، أما الثاني الاستعانة بما يتلى في الصلاة؛ ليعرف به فضل الطاعة فيكون عونًا على امتثال الأوامر".[2]

وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ "زيادة ثواب وأجر على ما يحصل لهم من انتظار المصيبة"[3]، و يذكر الماوردي: أنه "يحتمل ثلاثة أوجه أحدهما: وبشر الصابرين على الجهاد بالنصر، والثاني: وبشر الصابرين على الطاعة بالجزاء، والثالث: وبشر الصابرين على المصائب بالثواب، ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾(البقرة: ١٥٦)، يعني: إذا أصابتهم مصيبة في نفس أو أهل أو مال، قالوا: إنا لله: أي نفوسنا وأهلونا وأموالنا لله، لا يظلمنا فيما يصنعه بنا، ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ يعني: بالبعث في ثواب المحسن، ومعاقبة المسيء".[4]

---

[1] مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية،تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م، ٢/ ٢٧٤.

[2] النكت والعيون، الماوردي، مرجع سابق، ١/ ٢٠٩.

[3] تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، مرجع سابق، ١/ ٦٢٣.

[4] النكت والعيون، الماوردي ، مرجع سابق١/ ٢١٠.

وذلك غاية التسليم لله ﷻ وأقداره، ومن هنا استحقوا الثناء من الله ﷻ، فقال فيهم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة: ١٥٧)، "صلوات من ربهم، يرفعهم بها إلى المشاركة في نصيب نبيه، الذي يصلي عليه هو وملائكته سبحانه، وهو مقام كريم ورحمة وشهادة من الله بأنهم هم المهتدون".(١)

ولذلك فإن الابتلاء هو خير للمسلم في دنياه وآخرته، فإذا صبر عليه رفعه الله عنه، وأنعم عليه النعم الكثيرة، ثم له في الآخرة حسن الثواب، ولذلك فإن المؤمن دائمًا ما يناله الخير من البلاء، مثل أو ربما أكثر مما يناله من الرخاء، قال رسول الله ﷺ: "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له".(٢)

وابتلاء الله ﷻ لعباده دليل على محبته إياهم، ولذلك فإن المؤمن يكون ثابت في جميع أحواله، يدرك أن وراء الابتلاء هذا رحمة واسعة، ومحبة كبيرة من الله ﷻ له، يقول ﷺ: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط".(٣)

فيجب أن ندرك أن البلاء منحة وليس محنة، فهو تذكر للمؤمن، وفرصة عظيمة للتكفير عن الذنوب، فإن الله تعالى يكرم الإنسان، بتكفير ذنوبه في الدنيا عن طريق الابتلاء، يقول ﷺ: "لا يزال البلاء بالمؤمن أو المؤمنة في نفسه

---

١ في ظلال القرآن، سيد قطب، مرجع سابق ١/ ١٤٦.

٢ صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب المؤمن أمره كله خير،حديث رقم ٢٩٩٩، ٢/١٣٦٥.

٣ صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الألباني، مرجع سابق، حديث رقم ٢١١٠، ١/٤٢٤، حكمه حسن.

وماله وولده، حتى يلقى الله تعالى وما عليه من خطيئة".[1]

ومن هنا كان الأنبياء والصالحون أشد الناس ابتلاء، والله ﷻ يعلم قوة إيمان عباده، وصبرهم أمام الشدائد، فيبتلي كل إنسان على قدر قوته وتحمله، ويقول النبي ﷺ: "أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد، حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة".[2]

والنبي ﷺ هو أشد الناس إيمانًا، وأقواهم صلابة أمام الشدائد، وقد مرت عليه العديد من الابتلاءات الشديدة، التي لا يقوى على تحملها إلا رسول الله ﷺ، فعن ابن مسعود ؓ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فمسسته بيدي، فقلت يا رسول الله! إنك لتوعك وعكاً شديداً، فقال النبي ﷺ: "أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم"، قال فقلت: ذلك لأن لك أجرين؟ فقال "أجل"، ثم قال: "ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حط الله تعالى به سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها"[3].

ويتضح من خلال ذلك، أن الابتلاء وإن كان في مظهره مصيبة وكارثة تقع للناس، إلا أنه يحمل الخير للمؤمن الراضي بقضاء الله ﷻ، فهو يكفر عن خطاياه، وتلك من أعظم المنن التي يمتن بها الله على عباده، حيث إنه مهما وقع للمؤمن من شدائد، فإنه لا يساوي لديه تكفير ذنب واحد اقترفه في حياته.

---

[1] مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، مرجع سابق، حديث رقم ١٥٦٧، ١/ ٤٩٣، حسن صحيح.

[2] صحيح الجامع الصغير (الفتح الكبير)، الألباني، مرجع سابق، حديث رقم ٩٩٢، ١ /٢٣٠، حكمه صحيح. مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، مرجع سابق ، حديث رقم ١٥٦٢، ١/٤٩٢، حسن صحيح.

[3] مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي ، مرجع سابق ، حديث رقم ١٥٣٨، ١/٤٨٦، متفق عليه.

و. تسلية المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) ﴾ (آل عمران: ١٣٧– ١٤٢)

من الحِكم تسلية أهل المصائب والبلايا، ففي الآية السابقة يخاطب الله ﷻ عباده المؤمنين، الذين اصيبوا يوم أحد، ويلفت نظرهم إلى أن هذا البلاء والمصاب، قد جرى نحوًا منه على الأمم الذين كانوا من قبلهم من أتباع الأنبياء، ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين؛[1] ولهذا قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

ثم قال الله ﷻ مسليًا المؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾، أي: لا تَضعفوا بسبب ما جرى، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ، أي: العاقبة والنّصرة لكم أيها المؤمنون.[2] فإن أصابتكم جراح، وقُتل منكم طائفة، فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، أي: نُديل

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٢٦/٢.

[2] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٢٧/٢.

عليكم الأعداء تارة، وإن كانت العاقبة في نهاية المطاف لكم، لما في ذلك من الحِكم.[1]

ومن تسلية الله ﷻ لعباده المؤمنين، أنه يذكر لهم من فوائد البلاء وحِكمه، ففي البلاء يرى الله ﷻ من يَصبر على مناجزة الأعداء، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، كما أن فيها الإنعام على عباده بالقتل في سبيله، وبذلهم أرواحهم في مرضاته، ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، وفيها تكفير ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب، وإلا رفعَ لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به،[2] ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، ومنها دخول الجنة التي لا يمكن لكم دخولها، "حتى تُبْتَلَوا، ويرى الله ﷻ منكم المجاهدين في سبيله، والصابرين على مقارنة الأعداء".[3]

فالله ﷻ يهيئ لعباده المؤمنين سُبل الثواب والمغفرة، ولكي ينالوا هذا الفضل، فإن الله ﷻ يُسليهم بذكر مصاب الأمم السابقة، وما أعد لهم من الكرامة، ويلفت أنظارهم إلى ذكر آثار البلاء وفوائده.

ثانيًا: أحوال الناس مع البلاء.

تختلف أحوال الناس عند الابتلاء، فمنهم من يرضى، ومنهم من يسخط بالقلب واللسان، ومنهم من يسخط بالقلب، وإن كان لا يظهر ذلك مخافة ملامة الناس، وغير ذلك من الأحوال التي تتباين تبعًا لدرجة إيمان كل منهم،

---

[1] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٢٧/٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢١٨/٤.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٢٠/٤.

[3] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٢٧/٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢١٨/٤.

ومن هنا فإن الناس ينقسمون في مواجهة ما يحل بهم من مصائب وكوارث إلى أصناف عدة، على النحو الآتي:

الصنف الأول: الظالمون.

وهم الذين يظنون بالله ظن السوء، "فلا يظن بالله ظن السوء إلا المنافقون والمشركون، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله واسمائه وصفاته".[1]

فكثير من الناس ييأس، ويكتئب عند حلول المصيبة أو الكارثة، وقد يصل به الأمر إلى تمني الموت، بل قد يدفعه يأسه إلى الإقدام عليه والانتحار، وهذا اليأس ناتج عن عدم الإيمان بالله ﷻ، وعدم اليقين في حكمته، يقول تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾(الفتح: ٦)، والسوء هو المكروه ضد السرور.[2]

وقد نهى النبي ﷺ عن تمني الموت، إذ يقول: "لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه، فإن كان لا بد فاعلاً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي".[3]

والواضح من هذا الدعاء النبوي الشريف، أنه لا يخص أصحاب المصائب فقط، بل إن الإنسان الصحيح في بدنه، وماله وأهله، له أن يدعو به فهو دعاء، يطلب الخير أيًا كان مكانه، فهو ليس دعاء قنوط، بل دعاء رجاء.

---

[1] مجموعة التوحيد، بشير محمد عيون، مكتبة دار التوحيد، دمشق، ص ٢٨٧.

[2] انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ١٥٣/٢٦.

[3] صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب المرض، باب تمني المريض الموت، حديث رقم ٥٦٧٢.

الصنف الثاني: الصابرون.

وهم الذين حبسوا قلوبهم عن التسخط على المقدور، وألسنتهم عن الشكوى، وجوارحهم عن أفعال الساخطين، فهؤلاء لهم أجرهم بغير حساب.[1]

الصنف الثالث: الراضون.

هم الراضون عن الله ﷻ، الذين كملوا مراتب الصبر، واطمأنت قلوبهم لأقدار الله المؤلمة ورضوا بها، ولم يتمنوا أنهم لم يصابوا بها، بل رضوا بما رضي الله به لهم، فرضوا عن الله ورضي الله عنهم.[2]

يقول ابن القيم -رحمه الله-: "إن الحكم والقضاء، نوعان: ديني وكوني، فالديني يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام، والكوني: منه ما يجب الرضا به كالنعم، ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعائب، والذنوب التي يسخطها الله ﷻ، وإن كانت بقضائه وقدره،...ومنها ما يستحب الرضا به كالمصائب،...فإن قيل: كيف يجتمع الرضا بالقضاء بالمصائب، مع شدة الكراهة والنفرة منها، واجتماع الضدين محال؟ قيل: الشيء قد يكون محبوبًا مرضيًا من جهة، ومكروهًا من جهة أخرى، كشرب الدواء النافع الكريه، فإن المريض يرضى به مع شدة كراهته له.[3]

ولا يمنع الرضا من التوجه لله بالدعاء أن يرفع البلاء، فإن هذا الدعاء من تمام الرضا بقدر الله ﷻ، فإن الإيمان بالله كما يقتضي الرضا بقضائه، فإنه يقتضي التوجه إليه بالدعاء.، يقول النبي ﷺ: "تعوذوا بالله من جهد البلاء،

---

[1] انظر: تسلية المصاب، محمد حامد محمد دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٦.

[2] انظر: تسلية المصاب، محمد حامد محمد، مرجع سابق، ص ٥.

[3] انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق، ص ٥٤٦، بتصرف

ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء".[1]

الصنف الرابع: الشاكرون.

وهم من ارتفعت على الأصناف السابقة درجاتهم، فصبروا لله ورضوا بقضاء الله، ولكنهم شكروا الله على الضراء، كما شكروه على السراء، وحمدوه على المصائب والمضار، كما حمدوه على المحاب والمسار، فهؤلاء الشاكرون الأصفياء الأبرار، وهم الأقلون عددًا، الأعظمون عند الله قدرًا، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾(سبأ: ١٣).[2]

يقول ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾(البقرة، ٢١٤).

ثالثًا: الدعاء وأثره في رفع الابتلاء.

بيّنا فيما سبق، أن التوبة سبب من أسباب رفع العقوبة الإلهية، فمن باب أولى أن تكون سببًا في رفع الابتلاء، فالعقوبة تتقرر أساسًا على الكافر والمسلم العاصي، بينما الابتلاء ليس شرطًا أن يكون نتيجة للذنوب، إلا أنه وسيلة لتكفير الذنوب، وبالتالي فإن التوبة إلى الله ﷻ من الذنوب، تعمل على رفع البلاء كما ترفع العقاب.

وقد ذكر رسولنا الكريم ﷺ: أنه "لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في

---

[1] صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب القدر، باب من تعوذ بالله من درك الشقاء، وسوء القضاء وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)﴾ (الفلق :١-٢)، حديث رقم ٦٦١٦، ٤/٢١٢

[2] انظر: تسلية المصاب، محمد حامد محمد، مرجع سابق، ص ٦.

العمر إلا البر"،[1] "وتأويل الحديث أنه أراد بالقضاء، ما يخافه العبد من نزول المكروه به ويتوقاه، فإذا وفق للدعاء دفعه الله عنه، فتسميته قضاء مجاز على حسب ما يعتقده المتوقي عنه".[2]

إلا أن الإنسان لا يعلم ما هو مقدر له، ويلتمس أسباب بلوغ طلبه، والدعاء من أهم تلك الأسباب، حيث يذكر الإمام ابن القيم: أن "المقدور قدِّر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء، فلم يقدر مجردًا عن سببه، ولكن قدر بسببه، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور، وهذا كما قدّر الشبع والري بالأكل والشرب، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء، لم يصح أن يقال: لا فائدة من الدعاء"[3] ، وذلك أن الله تعالى قد جعل لأقداره أسبابًا، فإذا كان البلاء قدرًا، فإن الدعاء قدر أيضًا، يرفعه الله ﷻ بدعوة عباده التائبين الراجين عفوه.

وسنركز هنا على الدعاء إلى الله ﷻ، كأحد أهم أسباب رفع الابتلاء عن المؤمن، وقد جاء الدعاء في القرآن الكريم على عدة معاني متقاربة، "منها العبادة، ومنها الاستغاثة، ومنها السؤال، ومنها القول، والنداء، والثناء"[4]. ويُعرّف الدعاء شرعًا بأنه: "سؤال الباري ﷻ، ورفع الحاجات إليه، وطلب بقائها".[5]

---

[1] أخرجه الترمذي وقال حسن غريب، انظر الجامع الكبير، الترمذي ، مرجع سابق، أبواب القدر ، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، حديث رقم ٢١٣٩، ٤/١٨. قال عنه الألباني: حديث حسن. انظر:صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) ، الألباني، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٣، ١٩٨٨م، ٢/١٢٧١.

[2] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، المباركفوري، ، كتاب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء، حدث رقم ٢٢٢٥ ، ٦/٣٤٧

[3] انظر: الداء والدواء، ابن القيم، مرجع سابق ص ٢٨.

[4] فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، ١١/ ٩٧

[5] منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد القاسم، دار البيان، دمشق، ١٩٩٠م، ٥/ ٢٦٥

ويمكن تعريف الدعاء: بأنه لجوء العبد -وهو خاضع- إلى الله ﷻ، وسؤاله جلب منفعة، أو رفع ضرر ما، حال أو مستقبل.

والدعاء له وجهان: فهو من جهة عبادة لله ﷻ؛ لأنه دليل على الخضوع التام، وإقرار بعجز العبد وحاجته إلى الإله القوي، الذي لا يعجزه شيء، ومن جهة أخرى فهو طلب مسألة من الله ﷻ، ولذلك يُقسم العلماء الدعاء إلى دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

"ويعرف دعاء المسألة: بأنه أن يطلب الداعي ما ينفعه، أو ما يكشف ضره، ودعاء العبادة هو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة؛ لأن المتعبد لله طالب، وداع بلسان مقاله، ولسان حاله أن يتقبل الله تلك العبادة والإثابة عليها".[1]

غير أن هذا التقسيم لا يعني أن هناك دعاء للعبادة، ودعاء للحاجة، فأي دعاء هو مظهر من مظاهر العبادة، وفي نفس الوقت يطلب العبد من الله ﷻ أن ييسر أمره، سواء كان هذا الطلب في الدنيا أو في الآخرة، "فإن أكثر الناس إنما يتبادر لهم من لفظ الدعاء والدعوة دعاء المسألة فقط، ولا يظنون دخول جميع العبادات في الدعاء، ويدل على عموم ذلك، قوله تعالى:﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر: ٦٠)، أي أستجب لكم وأتقبل عملكم، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾(غافر: ٦٠)، فسمى ذلك عبادة، وذلك أن الداعي دعاء المسألة، يطلب مسؤوله بلسان المقال، العابد يطلب من ربه القبول ولثواب،

---

[1] الاعتداء في الدعاء، صور وضوابط ونماذج من الدعاء، سعود بن محمد بن حمود العقيلي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٠هـ، ص ١٩.

ومغفرة ذنوبه بلسان الحال".[1] يُستفاد من ذلك أن من يسأل ربه في حاجته، فهو في نفس الوقت يتعبده، فالدعاء وإن كان لحاجة من حاجات الدنيا، سواء طلب نفع أو كشف ضر، فإنه يكون فيه تعبد لله، وخضوع لمشيئته وإرادته ﷻ.

فإذا كان الدعاء يشمل التعبد لرب قادر عالم حكيم، فإنه يجب ألا يشرك أحد مع الله ﷻ في دعائه؛ لأن الإشراك في الدعاء، هو إشراك في العبادة، يقول ﷻ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾(يونس: ١٠٦)

فالدعاء من العبادات التي يختص بها الله تعالى دون سواه، ويذكر الإمام ابن تيمية –رحمه الله– أن "الذين يدعون الأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وغير قبورهم، هم من المشركين الذين يدعون غير الله".[2]

وهذا الأمر فطري في الإنسان، فعندما تلجئه الحاجة، وتعجزه الأسباب فإنه لا يلجأ إلا لله ﷻ، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾. (الأنعام: ٤٠– ٤١)

فالكون كله ملك لله ﷻ خاضع لإرادته، فإذا حلت كارثة كونية على الناس، فإن اللجوء لله هو الباب الوحيد لرفعها، ويُستدل على ذلك بأن الله ﷻ –بعد أن ذكر خلقه السماوات والأرض– يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا

---

[1] القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مكتبة الرشد،، الرياض، ١٩٩٩م، ص ١٢٧.

[2] مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية، مرجع سابق ١/ ١٧٨

﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾. (الأعراف: ٥٤)، أعقب تقرير تلك الحقيقة أمره بالدعاء إليه تضرعًا وخفية، فيقول ﷻ: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (الأعراف: ٥٥)، ثم يأمر بعدم الفساد في الأرض، ودعاؤه دعاء الخائف من عقابه الطامع في رحمته، مع تقرير أن رحمته قريب من المحسنين ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾(الأعراف: ٥٦)، فقد "أمر بأن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله ﷻ، حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان، كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته، وإن انفرد أحدهما هلك الإنسان".[1]

والدعاء سبب من أسباب رفع الابتلاء، فإذا أصاب الإنسان مصيبة أو حلت به كارثة، فإنه يلجأ إلى ربه ﷻ ليكشف عنه ما حل به، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾(لقمان: ٣٢)

أي، "وإذا غشي هؤلاء موج كالظلل فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، ولا يشركون به هنالك شيئًا، ولا يدعون معه أحدًا سواه، ولا يستغيثون بغيره، وقوله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ ﴾، مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البر، ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾، يقول: فمنهم مقتصد في قوله

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٩/ ٢٥٠

وإقراره بربه، وهو مع ذلك مضمر الكفر به".[1]

ومن هنا يمكن القول، إن الدعاء مع التوبة والاستغفار سبب في رفع البلاء، الذي يحل على الإنسان، بشرط إخلاص الدعاء لله ﷻ، فندعوه طمعًا وخوفًا.

[1] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٨/٢٧٩.

الفصل الرابع

الشبهات المثارة حول وقوع المصائب والكوارث الكونية

ويتكون من خمسة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: الكوارث لها أسبابها الطبيعية.

المبحث الثاني: إذا كان الله ﷻ يتصف بالكمال والجمال، فكيف يخلق الكراهية والقبح والشر؟

المبحث الثالث: إصابة الكوارث لدول غنية.

المبحث الرابع: الكوارث ظاهرة كونية طبيعة محضة ثابتة، لا علاقة لها بأحوال الناس.

المبحث الخامس: إذا كانت الزلازل عقوبات، فلِمَ يُصاب بها المسلمون والكافرون على حد سواء؟

تمهيد:

استعرضت في الفصول السابقة المصائب والكوارث الكونية، من حيث كونها عقاب على الذنوب، ومن حيث كونها ابتلاء من الله تعالى لعباده لحكمة يعلمها ﷻ، وسنقوم في هذا الفصل بإذن الله بإيراد الشبهات، التي أثيرت حول المصائب والكوارث الكونية والرد عليها، من خلال نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال العلماء رحمهم الله.

المبحث الأول
الكوارث لها أسبابها الطبيعية

أولاً: عرض الشبهة:

في مقال لخالد القائدي على موقع الحوار المتمدن، يقول: في كارثة وقعت بمدينة شنكال بالعراق عام ٢٠١١م، "إن شنكال عانت، ومازالت تعاني من الظروف السياسية والاجتماعية، والاقتصادية الصعبة، وما تعرض لها أهل شنكال منذ مئات السنين من الفقر والتخلف، والحرمان وأساليب الاضطهاد، يصعب تصوره ويصعب نسيانه أيضًا، وخاصة الكورد الايزيديين؛ لأن غالبية أهل شنكال منهم، ويأتي بالمرتبة الأولى من المتضررين قرى، ومجمعات الكورد الايزيديين، وآخر ما تعرض لها الايزيديين، كان الكارثة التي هزت العالم وهزت القلوب، وهي أحداث ١٤ من آب عام ٢٠٠٧م، وقد كنا نتصور بأن تلك الأحداث، قد وجدت لنفسها مكانة في رفوف النسيان، ولكن الطبيعة أبت أن ينسى أهل شنكال الحزن والجروح والحرمان، واليوم تأتي الطبيعة لتكمل سلسلة المآسي والكوارث، التي لا تقبل أن تنتهي في شنكال، حيث بتاريخ ٢٢ /٤ / ٢٠١١م، تعرض شنكال ومجمعاتها وقراها إلى أمطار رعدية، كنا نتأمل أن تنهي الجفاف التي أصابت أرضها، وكنا نتأمل أن تعيد تلك الأمطار براعم الأزهار

والأشجار إلى الحياة، وتخضر قمم جبال شنكال من جديد، ولكن أمطار الغضب أبت أن تعيد البسمة إلى وجوه رعاة الماشية والأغنام، وبدأت هذه الفيضانات تلتهم كل شيء، والبيوت الطينية تهاوت من جديد إلى الزوال، وجرفت مياه الفيضانات كل شيء، سيارات تهاوت في التيارات القوية لهذه الفيضانات، ومحلات فقدت رونقها وجمالها بعدما اجتاحتها غضب الطبيعة".[١]

وكما يتضح فقد أشار الكاتب، إلى أن السبب في إثارة تلك الفيضانات هو غضب الطبيعة، وكأن للطبيعة شخصيتها التي تغضب وتثور على الإنسان.

كما أشار الأستاذ فاسويرو (Fasoyiro)-أحد أساتذة القانون في الولايات المتحدة الأمريكية- في أحد المقالات الصادرة عنه، والتي تحمل عنوان: "الدفاع عن الأفعال الصادرة عن المشيئة الربانية"، إلى أنه ليست أي كارثة طبيعية هي من فعل "الإله"؛ ذلك لأن الأفعال الإلهية في حد ذاتها تتسم بصفات مميزة استثنائية، كما أنه لا يمكن توقعها، وتكون في الأساس خارجة عن التحكم من جانب الإنسان، وعليه فإن نظرتنا للإعصار على سبيل المثال في البيئات الواقعية، لا تخرج عن كونه مجرد كارثة طبيعية، وليس مشيئة إلهية؛ لأن ذلك الفعل هنا خرج عن سياق "المفاجأة أو عدم التوقع"، إذا كان يمكن التنبؤ به من خلال خبراء الأرصاد الجوية، أو من خلال تدخل العنصر البشري في تحديده، وتحديد زمان ومكان حدوثه.[٢]

وبالرغم من أن الأستاذ يعنون مقاله بالدفاع عن الأفعال الصادرة عن المشيئة الربانية؛ إلا أنه لم يثبتها في جميع الأفعال، بل أثبتها في الأفعال التي لها

---

[١] غضب الطبيعة على أهل شنكال، خالد تعلو القائدي، موقع الحوار المتمدن الإلكتروني، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=٢٥٦٣٢٨.

[٢] انظر: الدفاع عن الأفعال الصادرة عن المشيئة الربانية. فاسيرو، لارينيكيا، مجلة سياسة القانون البيئي والطاقة، ١(٣)، ٢٠٠٩، ص ١-٣٣.

صفات مميزة استثنائية، بمعنى أنه ما دامت الحركات والظواهر تجري وفق قوانين معلومة، فإن الفعل لا يكون فعل إلهي، أما إذا تم خرق القوانين والنظم الحاكمة للكون، فإن الفعل يكون فعل إلهي، وعليه يرى أن الأعاصير -على سبيل المثال- لا تعبر عن المشيئة الإلهية، وإنما هي مجرد كارثة طبيعية.

ثانيًا: الرد على الشبهة:

كثيرة هي الآيات التي تذكر قيومية الله تعالى، وتدبيره للكون وعنايته له، وهي تلفت عقول الناس -مؤمنهم وكافرهم- إلى هذا الأمر، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ (فاطر: ٤١)، ويقول جل ذكره: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾﴾. (الحج: ٦٥)

يعلق ابن الوزير اليماني عل الآيات السابقة بقوله: "وهذه حجة أجمع عليها الكفرة مع المسلمين، فإن الجميع اتفقوا على أن العالم في الهواء أرضه وسماؤه، وما فيه من البحار والجبال وجميع الاثقال، وقد ثبت بضرورة العقل أن الثقيل لا يستمسك في الهواء إلا بممسك، وأن هذا الامساك الدائم المتقن، لا يكون بما لا يعقل من الرياح، كما زعمت الفلاسفة، على أن الرياح تحتاج إلى خالق يخلقها، ثم إلى مدبر يقدرها مستوية الانفاس، موزونة القوة، لا يزيد منها شيء على شيء، حتى تعتدل اعتدالاً أتم من اعتدال الفاعل المختار، فإن الفاعل المختار لو قصد الاعتدال التام، حتى يستوي على رأسه حفنة مملوءة ماء، لم يستطع تمام الاعتدال، إلا برياضة شديدة، فكيف تعتدل عواصف الرياح، وتقع موزونة وزن القراريط في الصنجات المعدلة، حتى يستوي عليها ثقل الأرض

والجبال من غير رب عظيم قدير، عليم، مدبر، حكيم". [1]

فالقول بأن الطبيعة خالقة، قول غامض لا يهدف إلا إلى صرف الناس عن عبادة ربهم، فالطبيعة نفسها مفهوم غامض، فهي مجموع كل الموجودات، والإنسان جزء منها، وكل الموجودات مخلوقات لا تقدر على الخلق، وهنا يمكن القول أن مصدر الخلط، الذي وقع فيه دعاة الطبيعة، أنهم خلطوا بين عملية الخلق وبين أمور أخرى، مثل التكاثر أو الانقسام، أو التطور أو غيرها من العمليات، التي تحفظ استمرار الأرض وتهيئتها للحياة عليها، ذلك أن عملية الخلق وهي الإيجاد من العدم، أما التكاثر أو الانقسام أو غيرها، فهي آليات للحفاظ على الحياة، "حيث يقترف التطوريون، والذين يؤلهون الطبيعة جناية كبرى، عندما يأخذون مثالاً واحدًا، أو حادثة واحدة ويجعلونها شاملة لجميع حياة الأحياء، فيصورون الحياة وكأنها صراع وعراك، فهم يعدون أن الغاية الوحيدة من الحياة، هي محاولة الأحياء الاستمرار في الحياة، والحصول على الغذاء من أجل تحقيق هذه الغاية، وعندما يقوم التطوريون والماديون، وعباد الطبيعة، بتقويم حياة الإنسان أيضًا على نفس النحو، فهم يقدمون ذريعة للأقوياء للبقاء على حساب الضعفاء، ويرون في هذا حقًا طبيعيًا لهم، كما يقدمون الحياة وكأن الغاية الأساسية منها هي: الأكل والشرب والتناسل". [2]

فهم يقدمون لنا العديد من المغالطات، التي لا تستند إلى أساس من واقع علمي مؤكد، بل كلها نظريات من نسج الخيال، يقول الله تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ

---

[1] إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم المعرف بابن الوزير اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م، ص٥٤. وانظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد للنشر، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ، ص٢٧٣.

[2] حقيقة الخلق ونظرية التطور، محمد فتح الله كولن، دار النيل للطباعة والنشر القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٦٧

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴿٥١﴾ ﴾ (الكهف: ٥١)، "والإشهاد: جعل الغير شاهدًا، أي حاضرًا، وهو هنا كناية عن إحضار خاص، وهو إحضار المشاركة في العمل أو الإعانة عليه، ونفي هذا الشهود يستلزم نفي المشاركة في الخلق، والإلهية بالفحوى، أي بالأولى".[١]

وبالنسبة لما يُقال من أن الأحداث التي تجري في شكل كوارث كونية، ناتجة عن غضب الطبيعة، أو ثورة الطبيعة، أو أيًّا من المصطلحات التي يستخدمونها، فإنه قول زائف بطلانه يغني عن إبطاله، فالطبيعة والكون كلها مخلوقات لا تتحرك، ولا تسكن إلا بإذن الله ﷻ، تعبده وتقدسه، وتسبحه ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ (الإسراء: ٤٤)، فالمخلوقات تنزه الله ﷻ وتعظمه، وتجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته.[٢]

ويقول ﷻ: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (فصلت: ١١)، يذكر ابن عاشور: أنه لما كانت السماء والأرض لا يتصور أن يأتيا، ولا يتصور منهما طواعية أو كراهية إذ ليستا من أهل العقول والإدراك، ولا يتصور أن الله يكرههما على ذلك؛ لأنه يقتضي خروجهما عن قدرته بادئ ذي بدء، تعين الصرف عن المعنى الحقيقي، وذلك بأحد وجهين:

الأول: أن يكون الإتيان مستعارًا لقبول التكوين، كما استعير للعصيان الإدبار في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النازعات: ٢٢)، فمعنى ائتيا امتثلا

[١] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق ، ١٥/٣٤٢

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٥/ ٧٨.

أمر التكوين.

الثاني: أن تكون جملة: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾مستعملة تمثيلاً لهيئة تعلق قدرة الله تعالى لتكوين السماء والأرض؛ لعظمة خلقهما بهيئة صدور الأمر من آمر مطاع للعبد، المأذون بالحضور لعلم شاق، أن يقول له ائت لهذا العمل طوعا أو كرها.[1]

فالطبيعة مخلوق لله لا تغضب ولا تثور، إنما هي مأمورة من الله، فإذا أمرها أن تخرج خيرها لراحة الإنسان والإنعام عليه فعلت، وإن أمرها أن تمنع خيرها وتظهر قسوتها فعلت بإذن الله وإرادته ﷻ، وليس بفعل ذاتي فيها.

أما القول الثاني: وهو أن الأفعال الإلهية ذات مظهر خاص وشروط خاصة، فإن ذلك تفريق غير مستساغ، فإن جميع ما يحدث في الكون هو من فعل الله ﷻ، ويحدث بأمره ﷻ، فلا مبرر على الإطلاق للقول إن الأفعال الإلهية يجب أن تكون خروج عن المألوف، بل إن اطراد السنن والقوانين الإلهية دليل أكبر على وجود الله، الذي يدبر الأمر ويسير الكون وفق نظام دقيق، فإن الحفاظ على النظام قائم أصعب -في عرف البشر- من الخروج عليه.

فيقول تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾(فاطر: ٤١)، فقد بين الله ﷻ أن خالق السموات والأرض، وممسكهما هو الله، فلا يوجد حادث إلا بإيجاده، ولا يبقى إلا ببقائه.[2]

فجريان الأمور وفق نظام ومنهج، لا يعني أن الكون يسير حركة

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٤/٢٤٧.

[2] انظر: الجامع لأحكام القرى، القرطبي، مرجع سابق، ١٧/٣٩٤.

ميكانيكية تبعًا لنظام محدد بلا رب ولا إله، وإنما يعني بشكل أوضح أن الذي يحفظ انتظام الكون هو إله قادر على حفظه من الفساد، وبقائه متماسكا.

المبحث الثاني

إذا كان الله ﷻ يتصف بالكمال والجمال، فكيف يخلق الكراهية والقبح والشر!؟

أولاً: عرض الشبهة:

يذكر د.مصطفى محمود في محاورته لصديقه الملحد: "قال صاحبي ساخرًا: كيف تزعمون أن إلهكم كامل ورحمن ورحيم، وكريم ورءوف؟ وهو قد خلق كل هذه الشرور في العالم: المرض والشيخوخة، والموت والزلزال والبركان، والميكروب والسم والحر، والزمهرير وآلام السرطان، التي لا تعفى الطفل الوليد ولا الشيخ الطاعن، إذا كان الله محبة وجمالاً وخيرًا، فكيف يخلق الكراهية والقبح والشر؟"[1]

فهؤلاء الملحدون -ومن لفّ لفهم- يريدون أن يتوصلوا من خلال شبهتهم هذه إلى إنكار الذات الإلهية، وإضافة الكوارث والمصائب إلى الطبيعة، ويُمكن أن نُقرّب شبهتهم منطقيًا على النحو الآتي:

- **المقدمة الأولى**: الإله عندكم يصدر عنه الكمال والجلال.
- **المقدمة الثانية**: الكوارث والمصائب نقص وعبث وسفه.
- **النتيجة**: الكوارث والمصائب من فعل الطبيعة وليست من فعل إلهكم.

١ حوار مع صديقي الملحد، مصطفى محمود، دار العودة، ١٩٨٦، ص٢٤. وللمزيد انظر: التفسير العقابي للكوارث، شهاب الدمشقي، شبكة اللادينيين العرب، مقال منشور على شبكة الانترنت،٢٠٠٧، ladeenion١.blogspot.com.

ثانيًا: الرد على الشبهة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الأعراف: جزء من الآية ٢٨) فالله ﷻ كله رحمة وخير، ولا يرضى إلا بالطيب، ولم يُوقع الشر إلا لحكمة، والناظر المنصف المحايد يجد أن الخير هو القاعدة، وأن الشر استثناء، فالزلازل بمجملها بضع دقائق في عمر الكون الذي يُحصى بملايين السنين، وكذلك البراكين والأعاصير...الخ.

ومن خلال الكوارث يظهر الخير، فالزلازل تنفس عن الضغط المكبوت داخل الكرة الأرضية، وفيها حماية لقشرة الأرض من الانفجار، كما أنها تعيد الجبال إلى أماكنها كأحزمة وثقالات تثبت القشرة الأرضية في مكانها. وكذا البراكين تنفث المعادن والثروات الباطنة، وتكسو الأرض بتربة بركانية خصبة. (1)

وللحديث عن الشر بشكل عام، فإنّ تقسيم القدر الذي يجب الإيمان به إلى خير وشر، إنما هو بإضافته إلى المخلوقات، أما بالنسبة لله ﷻ، فالقدر كله خير، والشر لا ينسب إلى الله تعالى، فعلم الله ومشيئته وكتابته وخلقه للأشياء والحوادث، كله حكمة وعدل وخير، فالشر لا يدخل في شيء من صفات الله ولا أفعاله، ولا يلحق ذاته نقص ولا شر، فله الكمال المطلق والجلال التام، فلا يجوز إضافة الشر إلى الله مفردًا، وإنما يجوز إضافته من باب العموم، نحو قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾ (الزمر: ٦٢)، ويجوز اضافته إلى السبب، نحو قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ ﴾ (الفلق: ١ – ٢)، ويجوز أن يُذكر بحذف فاعله، نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ

---

١ انظر: حوار مع صديقي الملحد، مصطفى محمود، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦. وللمزيد انظر: حقائق الإسلام واباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٨، ص٧-١٠.

﴿ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ﴿١٠﴾ ﴾. (الجن: ١٠)[1]

ويجب أن نتنبه إلى أن "الشر نوعان: شر محض حقيقي من كل وجه، وشر نسبي إضافي من وجه دون وجه، فالأول: لا يدخل في الوجود، إذ لو دخل في الوجود لم يكن شرًا محضًا، والثاني: هو الذي يدخل في الوجود"،[2] فالله لم يخلق شرًا محضًا من جميع الوجوه، فحكمته ﷻ تأبى ذلك، فلا يمكن أن يختار الله شيئًا يكون فساده من كل وجه، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: "...والخير بيديك والشر ليس إليك"[3]

فالمرض -مثلاً- شر ومصيبة بالنسبة للإنسان عاجلاً، ولكنه في الآجل خير، وهو في علم الله ﷻ خير؛ لما يعلم ما يترتب عليه من الثواب، ومغفرة الخطايا والذنوب. ويفهم من ذلك أن كل "ما كان شرًا إنما هو أمر نسبي إضافي، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب ﷻ، وشر بالنسبة إلى من هو شر في حقه، فهما وجهان هو من أحدهما خير، وهو الوجه الذي نسب منه إلى الخالق ﷻ، خلقًا وتكوينًا ومشيئة؛ لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها ﷻ، واطلع من شاء من خلقه على ما شاء منها".[4]

وللوقوف على هذه القضية بشكل أعمق، لا بد من توضيح معنى كلمة شر، ومدى اتصالها بالكوارث والمصائب التي تصيب الإنسان، فكما جاء في معجم مقاييس اللغة، فإن "الشين والراء أصل واحد، يدل على الانتشار والتطاير

---

[1] انظر: مجوع الفتاوى، ابن تيمية، مصدر سابق، ٢٦٦/١٤. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب، الاسكندرية، د.ت، ص٧٥.

[2] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزيه، مرجع سابق، ص١٨١.

[3] صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم: ١٢٩٦، ١٦٩/٤.

[4] الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب، الاسكندرية، د.ت، ص٧٦.

من ذلك الشر، ورجل شرير وهو الأصل لانتشاره وكثرته، والشر: بسطك الشيء في الشمس والشرار، والجمع شرار ما تطاير من النار. ويقال أشررت الشيء إذا أبرزته وأظهرته".[1] ويذكر الفراهيدي أن "الشر: السوء، والفعل للرجل الشرير والمصدر: شرارة" .[2]

كما حدد ابن سينا معنى الشر: بأنه ما يصيب الإنسان من مصائب، حيث يقرر أن الشر يظهر من خلال ما ينتج عن النار من الإحراق، وما ينتج عن المطر من إغراق الزرع، وعن الأنهار من إغراق طفل صغير، بل إن الشر يظهر في الإنسان من خلال الأخلاق الرديئة والمفاسد، وما يصيبه من شرور مثل: الموت والشيخوخة، والمرض وغيرها من شرور، ولذا يحدد ابن سينا الأوجه التي يقال عنها شر، فيرى أن الشر يقال للنقص الذي هو مثل الجهل، والعنف، والتشويه في الخلقة.[3]

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه "ليس في طوائف المسلمين، من يقول إن الله تعالى يفعل قبيحًا أو يخل بواجب، ولكن المعتزلة ونحوهم ومن وافقهم من الشيعة النافين للقدر، يوجبون على الله من جنس ما يوجبون على العباد، ويحرمون عليه ما يحرمونه على العباد، ويضعون له شريعة على خلقه، فهم مشبهة الأفعال، وأما المثبتون للقدر من أهل السنة والشيعة، فمتفقون على أن الله تعالى لا يقاس بخلقه في أفعاله، كما لا يقاس بهم في ذاته وصفاته، فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وليس ما

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن زكريا، مرجع سابق، ٣/ ١٨٠.

[2] كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي ،تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، مادة "شرر" ٢/٣٢٠.

[3] انظر: الخير والشر في الفلسفة الإسلامية، منى أحمد محمد أبو زيد، دراسة مقارنة في فكر ابن سينا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩١م، ص ١٢.

وجب على أحدنا وجب مثله على الله تعالى، ولا ما حرم على أحدنا حرم مثله على الله –تعالى–، ولا ما قبح منا قبح من الله، ولا ما حسن من الله تعالى حسن من أحدنا، وليس لأحد منا أن يوجب على الله تعالى شيئًا، ولا يحرم عليه شيئا". [1]

ويشير ابن القيم –رحمه الله–: إلى أن الشر حقيقته وضع الشيء في غير موضعه، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها، وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شرًا، فعلم أن الشر ليس إليه، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك، فإن منها القدوس والسلام، العزيز الجبار المتكبر، فالقدوس المنزه من كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب، المنزه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة، وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة، ومنه البيت المقدس لأنه مكان يتطهر فيه من الذنوب، ومَن أمّه لا يريد إلا الصلاة فيه، رجع من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومنه سميت الجنة حظيرة القدس؛ لطهارتها من آفات الدنيا، ومنه سُمي جبريل روح القدس لأنه طاهر من كل عيب، ومنه قول الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (البقرة: ٣٠)، فقيل: المعنى ونقدس أنفسنا لك، فعدى باللام، وهذا ليس بشيء، والصواب أن المعنى نقدسك وننزهك عما لا يليق بك، وهذا قول جمهور أهل التفسير. [2]

فالشر ليس مرادفًا للمصيبة، وإنما مرادف لما استوجب العدم، فما كان عدمه خير من وجوده فهو الشر، والله لا يقدر شيئًا عدمه خير من وجوده،

---

[1] منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ ١ / ٤٤٨.

[2] انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء القدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، مرجع سابق ، ٣/٣٦٠.

وبالتالي فإن مفهوم الشر ليس مرادفًا لوقوع الإنسان في المصائب والكوارث، فالمصائب والكوارث وجودها خير من عدمها، لأن الله ﷻ يوقعها لحكمة.

ومن هنا فإننا نقر أن الله ﷻ لا يصنع الشر، ونقول أن كل ما يحدث للإنسان سواء ما يعده خير أو شر–حسب نظرة الإنسان، ومنها المصائب والكوارث– فإنها من عند الله ﷻ ولا تخلو من الحكمة.

يقول ابن حزم –رحمه الله–: "قد علم المسلمون أن الله تعالى عدل، لا يجور ولا يظلم، ومن وصفه ﷻ بالظلم والجور فهو كافر، ولكن ليس هذا على ما ظنه الجهال، من أن عقولهم حاكمة على الله تعالى، فإنه لا يحسن منه إلا ما حسنت عقولهم، وأنه يقبح منه تعالى ما قبحت عقولهم، وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى لخلقه، إذ حكموا عليه بأنه تعالى يحسن منه ما حسن منا، ويقبح منه ما قبح منها، ويحكم عليه في العقل بما يحكم عليها".[1]

ونخلص من ذلك إلى أن الشر ليس صفة للفعل، بقدر ما هو صفة للفاعل، ويتوقف ذلك على مقدار المعرفة بالفاعل ومقاصده من الفعل، وفي قصة الخضر مع موسى عليه السلام مثال واضح لتلك الفكرة، فما رآه موسى عليه السلام على أنه شر، فوصفه مرة ﴿شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ (الكهف: ٧١)، ومرة ﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾(الكهف: ٧٤)، كان في جوهره هو الخير كله، وما أصاب الأشخاص الذين تعرضت لهم القصة من مصائب، هو في جوهره الرحمة الخالصة، وما دعا موسى عليه السلام إلى تلك النظرة للأحداث، أنه قام بتقييم الأفعال دون أن يأخذ في الحسبان الفاعل، وبالتالي فإن المصائب والكوارث لا توصف بكلمة شر، لأن الفاعل حكيم رحيم بالعباد.

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ص ١٣٧.

المبحث الثالث

إصابة الكوارث لدول غنية

أولاً: عرض الشبهة.

تشير تلك الشبهة، إلى أن الكوارث تقع في أمم غنية، تتمتع بالعديد من النعم، وما دامت تلك الكوارث تقع بها، فهي لا تعد دليلاً على العقاب الواقع عليهم، كما لا تعد النعمة التي يعيشون فيها دليلاً على رضا الله عليهم، وبالتالي ينحصر القول بأن ما هم فيه من نعمة ناتج العمل والعلم، ونظام الحياة التي يعيشها بما يوفر لهم متاع الحياة المختلفة، فإذا وقعت فيهم كارثة فهي مجرد حدث طبيعي لا علاقة له لا بالعقاب ولا بالابتلاء.

وفي هذا الإطار يشير الدكتور لطف الله خوجة، إلى أن من الشبهات التي أثيرت حول الزلازل، أنها تصيب دولاً وأمماً متقدمة غنية، فإذا كانت هذه الكوارث دليل غضب الله، فلِم يعطها من النعم وهو عليها غاضب؟ فهذه الشبهة مبنية على استحالة اجتماع النعمة والنقمة في محل واحد: شخص أو أمة؛ فهي من مقدمتين ونتيجة:

- **المقدمة الأولى**: النعمة والنقمة لا تجتمعان في محل واحد.
- **المقدمة الثانية**: الزلزال وقع في محل نعمة.

النتيجة: الكوارث ليست نقمة، ولا عقوبة على ذنب، بل ظاهرة طبيعية محضة، كطلوع الشمس وغروبها.[1]

ينبني على ذلك؛ أنه إذا كان الغنى والتقدم الذي تعيشه تلك الأمم،

---

[1] انظر: تسونامي الطوفان يعود، لطف الله خوجة، موقع صيد الفوائد الإلكتروني، ٢٠١٣/٦/١٠، http://www.saaid.net/Minute/١١٠.htm.

مظهر من مظاهر النعمة، فإن اجتماع النعمة والنقمة دليل على عدم وجود نعمة أو نقمة إلهية، وإنما جاء التقدم نتيجة للعلم والأسباب التي تعيشها تلك الأمم، بينما جاءت النقمة المتمثلة في الكوارث الكونية نتيجة لاضطرابات طبيعية، ولا علاقة للفعل الإلهي بذلك.

ثانيًا: الرد على الشبهة:

يمكن الرد على الشبهة من خلال ما يأتي:

أولاً: مبدأ أن النعمة والنقمة لا تجتمعان في محل واحد.

إن تلك الشبهة لا تقف على قدم، وذلك لأمرين:

الأمر الأول: تعدد أشكال النعمة وتعدد أشكال النقمة

فالنعمة ليست شيئًا واحدًا، ولكن لها مظاهرها المختلفة، فيمكن أن تكون النعمة في المال أو الصحة أو الأهل أو غيرها، وكذلك النقمة يمكن أن تصيب الشخص في ماله أو أهله أو صحته أو غيرها، وبالتالي فيمكن أن ينعم الله ﷻ على الشخص في جانب معين ويبتليه في جانب آخر، كما يمكن أن تظهر أثر النعمة في أحد الجوانب استدراجًا للعاصي؛ حتى لا يكون لديه عذر في المعصية.

وبالتالي فإذا ما ظهرت نعمة، فقد يكون الشخص صاحب مال ولكنه معتل في صحته، أو في أخلاقه، أو يصاب في ولده، فهو من جهة يعيش في نعمة، ومن جهة أخرى يعاني من نقمة.

فاجتماع النعمة والنقمة أمر وارد وسنة دائبة، وكلا الأمرين فتنة وابتلاء من الله ﷻ، يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾

(الأنبياء: ٣٥)، أي: نختبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، لننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط، نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلالة، ثم تردون إلى الله ﷻ فيجازيكم بأعمالكم.[١]

فالمزاوجة بين النعمة والنقمة تجعل الشخص دائم التذكر لنعم الله ﷻ؛ لأنه يعلم معنى النقمة وقد عايشها، "والمتابعة بالابتلاء رحمة من الله بالعباد، وتذكير دائم لهم، ووقاية من النسيان المؤدي إلى الاغترار والبوار".[٢]

كما يقول تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٦٨﴾ (الأعراف: ١٦٨)، "أي امتحناهم، وبلونا سرائرهم، واستعدادهم بالنعم التي تحسن، وتقر بها الأعين، وبالنقم التي تسوء صاحبها، وربما حسنت بالصبر والإنابة عواقبها، رجاء أن يرجعوا عن ذنبهم، وينيبوا إلى ربهم، فيعود برحمته وفضله عليهم".[٣]

وليس من المنطق أن نقول أن هناك شخصًا، أو أمة تجتمع لهم جميع أشكال النقم، وآخرين تجتمع لهم جميع أشكال النعم، وإنما كل شخص وكل جماعة يعطيهم الله تعالى نصيبًا من النعم ، ويبتليهم ببعض أنواع الابتلاء، وتلك سنة الله تعالى كما سبق بيانها.

وكما أشرنا سابقًا فإن من حِكَم الابتلاء تحقيق العبودية لله ﷻ، الأمر الذي يتطلب تحقيق كلاً من الشكر والصبر، وبالتالي فإن اجتماع النعمة والنقمة

---

[١] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٨/٤٤٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٥/٣٤٢.

[٢] في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مرجع سابق ٥/١٣٨٦

[٣] تفسير المنار، محمد رشيد رضا، مرجع سابق، ٩/٣٢٢.

ليس فقط أمر طبيعي ومقبول منطقيا، وإنما هو ضرورة لتحقيق العبودية لله ﷻ في كافة الأحوال.

الأمر الثاني: الغنى والعلم ليسا نعمة بشكل مطلق.

والأمر الآخر أن حصول الغنى لبعض الأشخاص، أو الأقوام ليس دائمًا نعمة، بل قد يكون ظاهره نعمة وباطنه نقمة، فقد كان مال قارون وعلمه ظاهره نعمة عليه، حتى إن الكثيرين حسدوه، فقالوا: ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ (القصص: ٧٩)، ولكن بينت الأحداث أن ذلك المال هو في الحقيقة سبب لهلاكه، ولذلك قال من تمنى أن يكون لهم مثل ما لقارون، ﴿ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(القصص: ٨٢)

فقد اقروا أن الله منَّ عليهم إذ لم يجعلهم مثل قارون، والمن هو "كل ما يمن الله به مما لا تعب فيه ولا نصب".[1] فقد عرفوا أن قلة المال لديهم منّة وفضل من الله ﷻ، فإن المال والعلم ليسا دليل نعمة، إنما يكونا نعمة لمن يوجههما التوجيه السليم في طاعة الله وخدمة الدين والمسلمين.

أما النعمة الحقيقية، فهي نعمة الإيمان بالله ﷻ وطاعته، فإذا ما فقدها الإنسان فلا يجب الانخداع في مظاهر الترف ومتع الحياة الزائلة، ويقول ابن القيم: إن "ما يصيب الكافر والفاجر والمنافق من العز والنصر والجاه، دون ما يحصل للمؤمنين بكثير بل باطن ذلك ذل وكسر وهوان، وإن كان في الظاهر بخلافه، قال الحسن -رحمه الله-: إنهم وإن هملجت بهم البراذين، وطقطقت بهم

[1] معجم الكليات، الكفوي، مرجع سابق، ص ٨٠٣.

البغال، إن ذل المعصية لفي قلوبهم أبى الله إلا أن يذل من عصاه".[1]

ثانيًا: وقوع الكارثة في محل نعمة

إن وقوع الكارثة في محل نعمة ليس دليلاً على عدم علاقتها بالعقاب الإلهي، خصوصًا وأن العقاب يكون أشد إذا جاء في محل نعمة، وباستعراض الآيات القرآنية التي تصف العقاب، يتضح أن الله تعالى قد أرسل عذابه على العديد من الأمم، وهم في محل نعمة.

فيقول الله ﷻ عن سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾(سبأ: ١٥- ١٦).

فقد جاء العذاب في محل النعمة، حيث يذكر الثعالبي أنهم: كانوا في أرغد عيش، وكانت لهم بعد ذلك قرى ظاهرة متصلة من اليمن إلى الشام، وكانوا أرباب تلك البلاد في ذلك الزمان.[2]

كما يقول ﷻ عن قوم فرعون: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الدخان: ٢٤-٢٩)، فقد كان آل فرعون يعيشون في نعمة ورخاء، والنعمة كما قيل في تفسير الآية، هي: أرض مصر لكثرة خيرها، وقيل: ما كانوا

---

[1] أصول جامعة في البلاء والابتلاء، ابن القيم الجوزيه، مرجع سابق، ص ٦.

[2] انظر: تفسير الثعلبي "الكشف والبيان"، مرجع سابق، ٤/ ٣٦٩.

فيه من السعة والدعة.[1]

ويصف القرطبي ما كان في مصر من جنات بقوله: "كانت الجنات بحافتي النيل في الشقتين جميعًا من أسوان إلى رشيد، وبين الجنات زروع والنيل سبعة خلجان، والزروع ما بين الخلجان كلها، وكانت أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا، بما دبروا ودروا من قناطرها وجسورها وخلجانها".[2]

فقد جاءهم العقاب وهم في نعمة ورخاء وسعة، وبالتالي فإن وقوع النقمة في محل النعمة، ليس دليلًا على أنها لا تقع بإرادة إلهية، كما أثير في تلك الشبهة، فإن الله تعالى يعطي القوم النعمة، فإن بطروها ولم يؤدوا شكرها نزل عليم العقاب.

---

[1] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٩ / ١١٧.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٦ / ٢٧.

المبحث الرابع

الكوارث ظاهرة كونية طبيعة محضة ثابتة، لا علاقة لها بأحوال الناس

أولاً: عرض الشبهة:

هذه الشبهة تعد الهدف الذي يسعى إليه كل من يثير شبهة، فإن جميعهم يسعون إلى إثبات أن الظواهر الكونية تحدث بشكل تلقائي نتيجة للأسباب العلمية ولا علاقة للإرادة الإلهية بذلك.

ويذكر الدكتور لطف الله خوجة أن هذه الشبهة مبنية على رفض العلاقة بين الظواهر الكونية، وأحوال الناس فهي من مقدمتين ونتيجة: [(١)]

– **المقدمة الأولى**: الكوارث الكونية ظاهرة طبيعة ثابتة.

– **المقدمة الثانية**: الظاهرة الطبيعة لا علاقة لها بأعمال الناس الحسنة والسيئة.

– **النتيجة**: لا علاقة للكوارث بأعمال الناس الحسنة والسيئة.

بمعنى إن خصائص الكوارث الكونية، من حيث طريقة الوقوع أو من حيث آثارها هي خصائص ثابتة، وبالتالي فإذا حدثت مسبباتها وقعت ونتجت عنها آثار معروفة، وبالتالي فلا علاقة لأعمال الناس أو الإرادة الإلهية بوقوع تلك المصائب.

[١] انظر: تسونامي الطوفان يعود، لطف الله خوجة، موقع صيد الفوائد الإلكتروني، ١٠/٦/٢٠١٣، http://www.saaid.net/Minute/١١٠.htm.

ثانيًا: الرد على الشبهة

أولا: مبدأ أن الكوارث الكونية ظاهرة طبيعية ثابتة:

يمكن الرد على ذلك من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى: أن الكوارث الكونية وإن كانت ظاهرة طبيعية إلا أن خصائصها غير ثابتة بشكل مطلق.

فإن الله قد وضع للظواهر الكونية خصائص وآثار معينة، فإذا أراد سبحانه وتعالى تعطيل تلك الخصائص فإنه قادر على ذلك، بحيث تقع الظاهرة ولا تحدث أثرها، أو يقتصر أثرها على الكافرين وينجو المؤمنين.

ومن الأمثلة على تعطيل خصائص الظاهرة ما يلي:

من خصائص النار الإحراق، غير أن الله "عز وجل" لما أراد تعطيل تلك الخاصية في النار عطلت، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كانت على النقيض من خصائصها، فكانت بردا وسلاما على إبراهيم.

فيقول تعالى: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ ﴾(الأنبياء: ٦٩- ٧٠)، فقد أظهر الله تعالى معجزة لإبراهيم؛ إذ وجه إلى النار تعلق الإرادة بسلب قوة الإحراق، وأن تكون بردًا وسلامًا.(١)

والمثال الثاني: أنه من خصائص الماء السيلان، فإذا لم يحجزه حاجز فإنه يسيل فإذا كان ماءا كثيرا أهل ما يقف في طريقه، فإذا أراد الله "عز وجل" تعطيل تلك الخاصية فيه فإنها تتعطل وذلك كما حدث عند عبور

---

[1] انظر: تفسير التحرير والتنوير ،ابن عاشور، مرجع سابق، ١٧ / ١٠٦.

موسى عليه السلام وبني إسرائيل البحر، يقول عز وجل: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٣)، فقد صار الجبل كالطود العظيم أي كالجبل الكبير، فقام الماء على حيله كالحيطان، وبعث الله الريح على قعر البحر فلفحته، فسار يبسا كوجه الأرض. [1]

فقد كسرت خصائص الماء الفيزيائية، بل إن الله عز وجل جعل تلك الخصائص في خدمة بني إسرائيل، حتى يعبروا إلى البر، واستدراجا لآل فرعون ليسيروا ورائهم.

ومما يظهر لي في تلك النقطة أن تغيير خصائص الماء كان لهدف ما، وهو أن يعبر بنو إسرائيل، فلما حاول فرعون استغلال ذلك التغيير للعبور، عادت خصائص الماء إلى طبيعتها فأغرقت فرعون وقومه.

وقد تحتفظ الظاهرة بخصائصها، إلا أنها تصيب "بإرادة الله" قومًا دون قوم، بالرغم من اشتراكهم معهم في المكان، وذلك وارد كثيرًا في عقاب الأمم السالفة.

فيقول عز وجل عن "عاد" قوم "هود": ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾(هود: ٥٨).

كما يقول الله تعالى عن ثمود قوم صالح عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ

[1] انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٤٤/٦ بتصرف يسير.

جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (هود: ٦٦ – ٦٧).

النقطة الثانية: الظاهرة الطبيعية لا علاقة لها بأعمال الناس الحسنة والسيئة.

تناولنا تلك النقطة على مدار البحث، بالقول ن العقوبات تقع بسبب ذنوب الناس، ونزيد هنا أنه يجب التفرقة بين الأسباب الطبيعية لوقوع الظاهرة الكونية والأسباب الإلهية، فإن الأسباب الطبيعية خاضعة للأسباب الإلهية، فالأسباب الطبيعية تتحقق عندما يشاء الله تعالى لها أن تتحقق، وقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن يقع العقاب على المذنبين من الناس، فإذا انتشرت الذنوب والفواحش بينهم وقع عليهم العقاب، سواء وقع العقاب نتيجة لوقوع أسباب طبيعية، أم جاء بشكل معجزة لا ترتبط بالأساس العلمي المفترض لوقوع مثل تلك الظاهرة.

يقول تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (الروم: ٤١) فقوله تعالى ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾، أي بما عملوا من معاصي. [1]

ويقول تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (القصص: ٤٧).

فالمصيبة تصيبهم بما قدمت أيديهم أي من الكفر والمعاصي؛ [2] وبالتالي

---

[1] انظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي، مرجع سابق، ٣/ ١٤.

[2] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، مرجع سابق، ص ٦١٧.

فإن هناك ارتباطًا بين المصيبة وأعمال الناس، وتلك سنة الله من بداية الخليقة وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

المبحث الخامس

إذا كانت الزلازل عقوبات، فلِم يُصاب بها المسلمون والكافرون على حد سواء؟

أولاً: عرض الشبهة:

هذه الشبهة مبنية على استحالة وقوع العقوبة ذاتها على المسلمين والكافرين، فهي مقدمتين ونتيجة: [1]

- **المقدمة الأولى:** تقع العقوبة ذاتها على المسلمين والكافرين.
- **المقدمة الثانية:** الكارثة تقع على المسلمين والكافرين.

المعنى: من المفترض إذا كانت الكوارث عقوبة إلهية، ألا تقع على المسلمين هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الكوارث تتنوع وتتشكل، فكان يجب أن العقوبة التي تقع على الكافرين، تكون غير العقوبة التي تقع على المسلمين، وذلك لاختلاف الأحوال فيجب أن تختلف العقوبة .

النتيجة: الزلزال ليس بعقوبة، بل ظاهرة طبيعية محضة.

ثانيًا: الرد على الشبهة:

كون الكارثة تقع على المسلمين والكافرين، فإن هذا لا يستدل منه على شيء مما توصل إليه مثيرو الشبهة، ويرجع ذلك للأسباب التالية:

---

[1] انظر: تسونامي الطوفان يعود، لطف الله خوجة، موقع صيد الفوائد الإلكتروني، ١٠/٦/٢٠١٣، http://www.saaid.net/Minute/١١٠.htm.

١. إن هذا مشاهد في جميع العصور، ولكن المشكلة في دلالة ذلك، فالكارثة إذا أصابت المسلمين، فإن هذا لا يعد دليلاً على أنها تقع من تلقاء نفسها، وليس للإرادة الإلهية، ولا نتيجة لما يقترفه البشر من ذنوب، فالمسلمون كباقي البشر قد تقع منهم الذنوب والمعاصي.

٢. إن إبتلاء المسلم يختلف عن إبتلاء الكافر، فإن الله ﷻ رحيم بعباده المؤمنين، جبار على الكافرين، يقول ابن القيم –رحمه الله–: إن ما يصيب المؤمنين من الشرور والمحن والأذى، دون ما يصيب الكفار والواقع شاهد بذلك، وكذلك ما يصيب الأبرار في هذه الدنيا، دون ما يصيب الفجار، والفساق والظلمة بكثير.[١]

٣. إن العقوبة على الذنوب والمعاصي، والذنوب قد تكون كفرًا وهي أكبر الذنوب، كما قد تكون فيما دون الكفر كانتشار الرذيلة، واستحلال المحرمات كالخمور والسفور وغيرها، وجميع الذنوب دون الكفر تقع من المسلم كما تقع من الكافر، وبالتالي فإن العقوبة تنزل على المسلم والكافر بسبب انتشار الذنوب.

٤. قد تقع الكارثة –كما تم توضيحه– على المسلمين ابتلاءً من الله ﷻ.

كما أن حكمة الله تعالى بالغة، وعندما يصيب قومًا سواء كانوا مسلمين أو كافرين بكارثة معينة، فهي لحكمته ﷻ، أما مسألة وجوب التفرقة في نوع العقوبة بين المسلم والكافر، فهذا قول لا أساس له ولا يدل على شيء.

وقد نصت العديد من الآيات، على أن المسلم قد يصاب بما يصاب به الكافر إذا عصى الله، وسلك مسلك الكافرين في تقبل المعصية، والانغماس في الملاهي، والابتعاد عن منهج الله؛ ويتضح ذلك من قصة القرية التي كانت

---

[١] انظر: أصول جامعة نافعة في الابتلاء، ابن القيم، مرجع سابق ص ٣.

حاضرة البحر، فتلك القرية لم تكن كافرة، وذلك أمر مفهوم من سياق القصة، فيقول ﷻ: ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٣- ١٦٩).

تدل الآيات على أن تلك القرية كانت قرية صاحبة كتاب، والدليل على ذلك ما ذكرته الآيات من وجود فرقة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وفرقة مؤمنة لا تقر ما تفعله الفئة الأخرى يعترضون على النصح، الذي تقوم به الفرقة الأولى، بالإضافة إلى ذكر وراثة الكتاب، فلو كانوا كافرين لما اهتموا بالتحايل على أمر الله.

ولو فرض كفر الفئة التي اعتدت في السبت، فإن هناك الفرقة الثانية التي لا تحب المعصية، ولكنها لا تأمر بالمعروف، وقد اختلف المفسرون في نجاة تلك الفرقة[1] ولا شك أنها فرقة مسلمة، والمستفاد أن وجود الخلاف معناه اتفاق المفسرين على إمكانية هلاكهم، وتلك هي نقطة البحث هنا، وبالتالي فإن تلك الإمكانية موجودة، وهي وقوع نفس العقاب على المسلم والكافر بسبب الذنب.

كما جاء عن النبي ﷺ إمكانية أن يصاب المسلمون في الدنيا بما يصاب به الكافرون، إن كانوا معهم على حال المعصية، حتى وإن لم يرضوا عنها، ما داموا يعينوهم على تلك المعصية، ولو كانوا مجبرين على ذلك، حيث أخرج البخاري عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم، قالت: قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يخسف أولهم وآخرهم، ثم يبعثون على نياتهم". [2]

فعبارة من ليس منهم أي: من رافقهم ولم يقصد موافقتهم.[3] وهذا يدل على أنه من الممكن أن يهلك المسلمون مع الكافرين، إذا كانوا معهم على حال معصية، غير أن الله تعالى الرحيم العادل لا يحاسبهم إلا على نيتهم، وبالتالي يتضح أن ما أثير من شبهة، حول وقوع نفس العقاب على المؤمن والكافر، ليس حجة على أن الكوارث الكونية ليست عقابًا من عند الله عز وجل.

---

[1] والقصة موجودة في معظم التفاسير، وكذلك الخلاف حول الفرقة التي لم تأمر بالمعروف ولكنها كرهت ما يفعله العصاة، انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٣/ ٤٩٥، تفسير الكشاف، الزمخشري، مرجع سابق، ٢/٥٢٥، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق ٩/ ٣٦٥.

[2] صحيح البخاري، باب ما ذكر في الأسواق، حديث رقم ٢١١٨، ٢/ ٩٤.

[3] انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٤/ ٣٩٩.

الخاتمة

بعد حمد الله ﷻ والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ، فقد جاء الدور الآن لنعرض نتائج البحث وتوصياته، بعد الرحلة التي طوفنا بها في رحاب القران الكريم والسنة النبوية، باحثين عن سنن الله ﷻ في المصائب والكوارث الكونية. وقد توصلت دراستنا إلى النتائج الآتية:

أولاً: ذهب أهل السنة والجماعة، إلى أن الكوارث والمصائب الطبيعية من فعل الله ﷻ، يصيب بها من يشاء من عباده، العاصي والمؤمن على حد سواء، فهي عقاب للعاصين، وابتلاء للمؤمنين.

ثانيًا: تأخذ المصائب والكوارث الطبيعية عدة صور، منها: االزلازل، الرياح، الأمطار، الطوفان، الرعد، البرق، والصواعق، الحشرات والأوبئة، سقوط الحجارة...الخ.

ثالثًا: يقول أهل السنة والجماعة، باتصاف الله ﷻ بكمال القدرة وتمام الحكمة، فلا يقع في كونه ﷻ إلا ما يريده، ولا يحدث شيء من طيش ولا تعجل، ولا يندم ﷻ على قدر قدره على عباده، فكل ما يصيب الإنسان من مصائب هي من قدر الله ﷻ.

رابعًا: ذهب أصحاب العقائد الوثنية إلى القول بتعدد الآلهة، وكثيرًا ما عزا أصحابها تلك الظواهر إلى لهو إلههم من جهة، أو نتيجة الحرب بين تلك الآلهة من جهة أخرى، وإن كان العامل المشترك بين تلك العقائد، هو الخلط بين الظاهرة والإله المسؤول عنها، بحيث يمكن أن نفهم أن تلك الظاهرة هي نفسها الإله.

خامسًا: يقوم معتقد أهل الكتاب -اليهود والمسيحية- على نسبة الظواهر الطبيعية إلى فعل الله ﷻ، إلا أنهم يصفون الله ﷻ بما لا يليق به من كمال، مثل: الطيش الذي يدفعه لتوقيع العقوبة ثم الندم عليها، بالإضافة إلى تلك الذنوب الساذجة، التي قد تفسر بمعاني العنصرية، وتمييز جنس عن جنس، مثل التزاوج بين أبناء الله -تعالى الله عما يصفون- ببنات البشر.

سادسًا: يقوم التفسير المادي للمصائب والكوارث الطبيعية، على أنها ناتجة عن فعل الطبيعة، ومرتبطة بأسبابها العلمية.

سابعًا: تصنف العقوبة بالمصائب والكوارث الطبيعية، على أنها من عقوبات الله ﷻ القدرية.

ثامنًا: من الذنوب التي يعاقب الله ﷻ عليها بالمصائب والكوارث الطبيعية: الشرك بالله، الاستكبار، البطر وجحود النعمة، محاربة الأنبياء والصالحين، انتشار المنكر، والامتناع عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، انتشار الغش وأكل حقوق الناس بالباطل، التمرد والعصيان على الأنبياء...الخ.

تاسعًا: يشتمل العقاب بالمصائب والكوارث الطبيعية على بعض الخصائص، والتي منها: العقاب سنة مضطردة، الذنوب تهلك أصحابها، الشمول والعموم، الحكمة والعدل، النفاذ وعدم التخلف.

عاشرًا: للعقاب بالمصائب والكوارث الطبيعية نوعان، العقاب بالاستئصال: والعقاب دون الاستئصال.

الحادي عشر: التوبة والاستغفار والدعاء، من الأسباب الرئيسة لرفع العقوبة بالمصائب والكوارث الطبيعية.

الثاني عشر: تعد المصائب والكوارث الطبيعية الواقعة في صفوف المؤمنين، من باب الابتلاء المشتمل على الحكمة، أو من باب العقوبة والابتلاء في نفس الوقت.

الثالث عشر: الابتلاء بالمصائب والكوارث الكونية يحقق العديد من الحكم، والتي منها: استخراج العبودية لله ﷻ، تربية النفس على المحن، تنقية الدين من المنافقين، تمحيص المؤمنين واختبارهم، تكفير الخطايا ورفع الدرجات في الآخرة.

الرابع عشر: أُثير العديد من الشبهات، حول عقيدة المسلمين في الكوارث والمصائب الكونية؛ بغرض التشكيك والانتصار للمعتقدات المخالفة، التي تهدم

جوهر العقيدة الصحيحة في هذه المسألة الخطيرة.

الخامس عشر: ذهب مثيرو الشبهات إلى أن الكوارث الطبيعية، تقع تبعًا لأسبابها الطبيعية، ولا دخل للإرادة الإلهية بها، ونُقضت الشبهة: بأن وجود الأسباب الطبيعية، لا ينفي أنها تحصل بالإرادة الإلهية، فالأسباب تستلزم وجود قوة محركة لها، وتلك القوة هي الإرادة الإلهية.

السادس عشر: قيل عن الكوارث الطبيعية، إنها شر وقبح والله متصف بنقيض ذلك من الكمال والجمال، يرُد عليهم بأن مفهومهم للشر مفهوم قاصر، فإن كل ما يقدره الله تعالى خير، ما دام أنه من فعل الله ﷻ، وهو يقع لحكمة.

السابع عشر: ردد المشكون شبهة مفادها: أن الكوارث تصيب الدول الغنية، ولا تجتمع النعمة والنقمة في وقت ومكان واحد والرد على ذلك أنه يمكن اجتماع النعمة والنقمة، وأن الغنى بدون إيمان ليس نعمة وإنما نقمة.

الثامن عشر: ذهب أصحاب الشبه والمعتقدات الخاطئة إلى أن الكوارث الطبيعية، ظاهرة كونية طبيعية محضة ثابتة، لا علاقة لها بأحوال الناس: ويرد عليها بأن الله هو خالق تلك الظواهر وهو القادر على تعطيلها، وهي ذات علاقة بأحوال الناس إذ تقع عند انتشار المعاصي والذنوب.

التاسع عشر: قيل -من باب الشبهات- إن المصائب الكونية تصيب المؤمن والكافر: ويرد عليها أنها تقع على الكافر عقوبة ونصرة للمؤمنين، وتقع على المؤمن ابتلاءً أو عقابًا على انتشار الذنوب.

وأخيرًا، فإني أوصي الباحثين بضرورة مواصلة الاهتمام بالسنن الكونية، والكشف عن جوانبها في القرآن الكريم والسنة النبوية، على غرار الاهتمام بباقي السنن الإلهية.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس
الآيات
القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾	البقرة	٥٨-٥٩	١٢٢
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾	البقرة	١٥٧	٦٢
﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (٦٥) فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦) ﴾.	البقرة	٦٥-٦٦	٨٣
﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾	البقرة	٢٠	٣١
﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (٥٥) ﴾	البقرة	٥٥	٣٣
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾	البقرة	-١٥٥ ١٥٧	١٣٧
﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) ﴾	البقرة	١٥٦	٦٢
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) ﴾.	البقرة	٢١٤	١٥١

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾	البقرة	٢١٤	١٦٤
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾	آل عمران	١١٠	٨٥
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾	آل عمران	١٢٨	١٣١
﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾	آل عمران	١٣٧- ١٤٢	١٦٠
﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ .	آل عمران	١٧٢- ١٧٤	١٥٥
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ	آل عمران	١٦٥-	١٥١

أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ،،، ﴾		١٦٨	
﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾	آل عمران	١٦٥	١١
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) ﴾	آل عمران	١٥٢	١٤٤
﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾	النساء	٦٢	١١
﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) ﴾	النساء	٧٩	٩٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾	النساء	٤٨	٧٤
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧٣) ﴾	النساء	١٧٣	٧٩
﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨) ﴾ .	النساء	٧٨	٦٦
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ	المائدة	٧٤-٧٣	١٣٠

وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾			
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾	المائدة	٥٤	٩٨
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾	المائدة	٨	١٢٢
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾	الأنعام	٤٦	٩٦
﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾	الأنعام	٩٦	١٥
﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾	الأنعام	٦	٨٤
﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.	الأنعام	٤٠-٤١	١٦٧
﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾	الأنعام	١٣١	٩٢
﴿ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾	الأعر اف	٧٣	١٠٦

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾	الأعراف	٨٨	١١٤
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾	الأعراف	٥٩-٦٤	١٠٠
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾	الأعراف	١٣٣	٣٥
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	الأعراف	٣٣	٨١
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾	الأعراف	٥٤	٦٤
﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾	الأعراف	٧١	١٠٤
﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ	الأعراف	٥٦	١٦٨

ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾			
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾	الأعراف	٧٣	١٠٥
﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ ﴾	الأعراف	٧٨-٧٧	٩٥
﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾	الأعراف	٧٨	٣٧
﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ .	الأعراف	١٥٥	٣٧
﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾	الأعراف	٦٥	١٠٢
﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾	الأعراف	٦٦	١٠٣
﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾	الأعراف	٧٠	١٠٣
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .	الأعراف	٥٤	١٦٨

﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٨٧) ﴾	الأعراف	٨٧-٨٦	١١٤
﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ (١٦٦) وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧) وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨) فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩) ﴾	الأعراف	-١٦٣ ١٦٩	١٩٥
﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) ﴾	الأعراف	٦٨-٦٧	١٠٣

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾	الأعراف	١٣٠	٩٧
﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾	الأعراف	٩٥	٧٧
﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾	الأعرف	١٣٣	٢٦
﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾	الأنفال	٣٢	٣٦
﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾	الأنفال	٥٢-٥٣	١٢٧
﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾	الأنفال	٥٠	٧٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾	التوبة	٣٨-٣٩	٩٧
﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾	التوبة	٥٠	١١

﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ .	التوبة	١١٧	١٤٤
﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾	هود	٨٢-٨٣	١١٠
﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾	هود	٨٢-٨٣	٣٦
﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾	هود	٨٩-٩٠	١١٥
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ .	هود	٦٣	١٠٥
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾﴾	هود	٨٤	١١٢
﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾﴾	هود	٩١-٩٢	١١٦

﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) ﴾	هود	٦٥	١٠٧
﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) ﴾	هود	٦٦-٦٧	١٩١
﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) ﴾	هود	٧٤-٧٦	١٢٨
﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) ﴾	هود	٥٨	١٩١
﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) ﴾	هود	١١٣	٩٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ﴾	هود	١٠٧	٦٩
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) ﴾.	هود	٧	١٣٩
﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) ﴾.	هود	٤٠	٦٥
﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن	هود	٨٧	١١٥

نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ (٨٧) ﴾			
﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) ﴾	الرعد	١٣	٢٩
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ (٦) ﴾.	إبراهيم	٦	١٣٣
وقال: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠) ﴾	إبراهيم	٣٠	٧٤
﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧) ﴾	الإسراء	٧٦-٧٧	٨٩
﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) ﴾	الإسراء	٥٩	٢٤
﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) ﴾	الكهف	٥٥	١٢٤
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) ﴾	الأحزاب	٩	٢٤
﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا	الأحزاب	١١-١٣	١٤٥

عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾			
﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾	الأحزاب	٣٨	٩
﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءِۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾	الأحقاف	٢٤-٢٥	٢٧
﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	الأنبياء	٨٢	١٤٣
﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾	الأنبياء	٦٩-٧٠	١٩٠
﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	الأنبياء	٣٥	١٨٥
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ .	الحج	٦٥	١٧٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾	الحج	٢٢	٢٣
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾.	النور	٤٣	٣٢
﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾	الشعراء	٦٣	١٩١
﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ ﴾	الشعراء	٩	١٥
﴿ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾	النمل	٤٩-٥٢	١٠٨

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾.			
﴿ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾	النمل	٤٩-٥٢	١٠٩
﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾	القصص	٧٩	١٨٦
﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	القصص	٤٧	٩٠
﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾	القصص	٤٧	١٩٢
﴿ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾	القصص	٨٢	١٨٧
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾	القصص	٥٨	٧٦
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ .	القصص	٤	١١٨
﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾	العنكبوت	٢-٣	١٣٩

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾	العنكبوت	١٤-١٥	٢٦
﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾	العنكبوت	٤٠	٧٣
﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	الروم	٤١	٧٠
﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	لقمان	١٣	٧٤
﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾	السجدة	٢٦	١٢٥
﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾	سبأ	١٥-١٩	٧٨
﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ ﴾	سبأ	١٥-١٦	١٨٧

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ۚ وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾	فاطر	٤١	١٧٣
﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾	يس	٨٢	٤٨
﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾	الزمر	٥٣	١٣١
﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ ﴾	غافر	٤٥-٤٧	١١٩
﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾	فصلت	١٥-١٦	٧٨
﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾.	فصلت	١٤-١٦	٢٥
﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ	فصلت	٩-١٢	٤٥

أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ (١٠) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ (١١) فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (١٢) ﴾.			
﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ (١٠) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ (١١) ﴾	فصلت	٩-١١	٦٣
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ (١١) ﴾	فصلت	١١	١٧٥
﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٧) ﴾	فصلت	١٧	٣٣
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ (٣٠) ﴾.	الشورى	٣٠	جـ
﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ (٢٩) ﴾	الدخان	٢٤-٢٩	١٨٨
﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) ﴾	الجاثية	٢٤	٤٣
﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٦) ﴾	الفتح	٦	١٦٢

النص	السورة	الآية	الصفحة
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾	القمر	٤٩	١
﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ (٣٦) ﴾	الطور	٣٥-٣٦	٤٤
﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) ﴾	الحديد	٢٢	جـ ٦٢
﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) ﴾.	التغابن	١١	جـ
﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) ﴾	المعارج	١٩-٢٧	١٥٤
﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢١) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٢) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٤) مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا (٢٥) ﴾	نوح	٢١-٢٥	٧٥
﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) ﴾ .	الجن	١٠	١٨١
﴿ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) ﴾	النازعات	١٧-٢٤	١١٧
﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) ﴾	الزلزلة	١-٢	٢١

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
مثل المؤمن كمثل خامة الزرع	الألباني	١٤٠
قال الله ﷻ لبني إسرائيل	أبو داود- العظيم آبادي	٩٩
قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في	أبو داود	١٥٥
كانوا يحذفون أهل الأرض	الترمذي	١٠٩
كل شيء بقدر	مسلم	٦١
لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب	البخاري- الألباني	٩١
لا يتمنين أحدكم الوت	البخاري	١٦٢
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر	مسلم	٧٩
لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر	الترمذي	١٦٥
لا يزال البلاء بالمؤمن	الخطيب التبريزي	١٥٩
لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم	أبو داود، الألباني، الخطيب، التبريزي، العظيم آبادي	١٠٥
ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا	أبو داود	٨٢
ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة	مسلم	١٦٢
ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم	الألباني	١١١

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده	مسلم	٨٥
والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر	الترمذي- الخطيب التبريزي	٨٤
يا عائشة إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته	الألباني	٩٢
يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهن	الألباني	٨١، ١١٣
يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض	البخاري	١٩٦

المصادر
و
المراجع

➢ القرآن الكريم.

➢ السنة النبوية.

١. آثار المعاصي والذنوب، السيد عسكر دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، مصر، ١٩٩٧م.

٢. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد للنشر، السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٣. أساطير بابل وكنعان، شارل فيروللو، تعريب ماجد خير بك، مطبعة الكتاب العربي، دمشق. ١٩٩٠م.

٤. الأساليب النبوية في التعامل مع الابتلاء وتطبيقاتها التربوية في المرحلة المتوسطة، فارس سليمان عبيد الصاعدي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ.

٥. أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، سعيد محمد بابا سيلا، سلسلة إصدارات الحكمة، ليدز بريطانيا، ٢٠٠٠م.

٦. استخدام نظم المعلومات الجغرافية لدعم القرار في إدارة الكوارث، عرفان علي؛ وسعد الله آغة القلعة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، ٢٢(١).

٧. الأسس النظرية والعلمية لإدارة الكوارث ومدى تطبيقها في إدارة الأزمة: دراسة تطبيقية على المديرية العامة للدفاع المدني بالرياض، أحمد محمد موسى الزهراني، رسالة ماجستير غير منشورة،أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٧م.

٨. الإسلام أصوله ومبادئه، محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢١هـ.

٩. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي،

تحقيق محمد حسن جبل، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٩٩٩م.
١٠. أصول جامعة نافعة في البلاء والابتلاء، ابن قيم الجوزية، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.
١١. الاعتداء في الدعاء، صور وضوابط ونماذج من الدعاء، سعود بن محمد بن حمود العقيلي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣٠هـ .
١٢. الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، أ. أ. نيهاردت، ترجمة هاشم حمادي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٤.
١٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق صلاح الدين منجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦.
١٤. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم المعرف بابن الوزير اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م.
١٥. الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب، الاسكندرية، د.ت
١٦. الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار الوطن، الرياض، ١٤١٦هـ.
١٧. بحر العلوم، نصر بن حمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، تحقيق وتعليق، علي محمد معوض و أحمد عبد الموجود و زكريا عبد المجيد النوبي، دار الكتل العلمية، بيروت، د.ت.
١٨. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والإعلان القاهرة، ١٩٩٨.
١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق

علي هلالي،مطبعة حكومة الكويت، ٢٠٠٤م.
٢٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
٢١. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، د.ت .
٢٢. تاريخ الفلسفة اليونانية، ماجد فخري، دال العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١م.
٢٣. تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجرزي، تحقيق عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٩٩٨م.
٢٤. تسلية المصاب، محمد حامد محمد، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠٠٠ م.
٢٥. التسهيل في علوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م .
٢٦. تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب، يحيى بن حمزة اليماني الذماري تحقيق حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٥.
٢٧. تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، د.ت.
٢٨. تفسير الإمام مجاهد بن جبر، تحقيق محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، ١٩٨٩م.
٢٩. تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي،

تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
٣٠. تفسير التحرير والتنوير،محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٣١. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، تحقيق علي محمد معود، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م.
٣٢. تفسير السدي الكبير، جمع وتوثيق محمد عطا يوسف، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٩٣م.
٣٣. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ٢٠٠١م.
٣٤. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.
٣٥. التفسير الكبير، أحمد عبد الحليم بن تيمية ،تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
٣٦. التوبة إلى الله معناها حقيقتها فضلها شروطها، صالح بن غانم السدلان، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ.
٣٧. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م.
٣٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت،

٢٠٠٢م.

٣٩. الثبات أهميته وعوامل بقائه وهدمه وصور على الثبات وعدمه، محمد موسى الشريف، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٤٠. الثقافة والطبيعة، محمد سبيلا، وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٩١م..

٤١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ٢٠٠١م.

٤٢. جامع الرسائل لابن تيمية، رسالة في معنى كون الرب عادل، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، دار المدني للنشر والتوزيع، جدة، د.ت.

٤٣. الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٤٠٠هـ.

٤٤. جامع الفقه، ابن قيم الجوزية، جمع وتوثيق وتخريج أحاديث يسري السيد محمد، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ٢٠٠٠.

٤٥. الجامع الكبير، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦م.

٤٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطبع والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م .

٤٧. الجامع لشعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٣م.

٤٨. الجزاء من جنس العمل، سيد حسين العفاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ، ١٩٩٦م.

٤٩. الجغرافيا المناخية والنباتية مع التطبيق على مناخ أفريقيا ومناخ العالم العربي، عبد العزيز طريح شرف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

٥٠. الحشرات الناقلة للأمراض، جليل أبو الحب، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢.

٥١. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٩٦.

٥٢. الخلق غير المروض: الإنجيل، والإله، والكوارث الطبيعية. أولسون، دينيس، مجلة التفسير، العدد، ٥٦، المجلد ٤، ٢٠١١م.

٥٣. الخير والشر في الفلسفة الإسلامية، منى أحمد محمد أبو زيد، دراسة مقارنة في فكر ابن سينا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩١م.

٥٤. الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، د.ت.

٥٥. الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

٥٦. الدفاع عن الأفعال الصادرة عن المشيئة الربانية. فاسيرو، لارينيكيا، مجلة سياسة القانون البيئي والطاقة، ١(٣)، ٢٠٠٩.

٥٧. دليل العهد القديم، ملاك محارب، مكتبة النسر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٧م.

٥٨. الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم، محمد عثمان الخشت، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، العاشر من رمضان، مصر، د.ت.

٥٩. ديوان الأساطير: سومر وآكاد وآشور، الكتاب الثاني :الآلهة والبشر، قاسم الشواف، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٧م.

٦٠. الرحيق المختوم، صفي الرحمان المباركفوري، دار إحياء التراث، ١٩٧٦.

٦١. الزلازل أسبابها الشرعية وسبل النجاة منها، عمرو عبد المنعم، دار الصحابة للتراث، طنطا، ١٩٩٣.

٦٢. الزلازل، كيث لاي، ترجمة أمل الشاذلي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٦٣. سنن أبي داود،أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، ٢٠٠٩م.

٦٤. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣.

٦٥. السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، الدار العثمانية، عمان، ٢٠٠٤.

٦٦. شفاء العليل في مسائل القدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، تحرير الحساني حسن عبد الله، دار التراث، القاهرة، ص ٣٦٠.

٦٧. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠.

٦٨. صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٠.

٦٩. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م،

٧٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض.
٧١. العبودية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق، علي حسن عبد الحميد، دار الأصالة الإسماعيلية د.ت.
٧٢. عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة، جان ماري بيلت، ترجمة السيد محمد عثمان، سلسلة عالم المعرفة، ع (١٩٨)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤م.
٧٣. عون المعبود على سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د.ت.
٧٤. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود، الرياض، ١٤٢١هـ.
٧٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت،د.ت.
٧٦. فقه الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم، عبد الله ميرغني محمد صالح السودان، دار الاعتصام، القاهرة، د.ت.
٧٧. في ظلال القرآن، سيد قطب ،دار الشروق، القاهرة، الطبعة (٣٢)، ٢٠٠٣م.
٧٨. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م.
٧٩. قصص الأنبياء، ابن كثير، تحقيق عبد الحي الفرماوي، دار الطباعة

والنشر الإسلامية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٧م.

٨٠. القصيدة النونية، ابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٨١. قضية الخير والشر لدى مفكري الإسلام، محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٦م.

٨٢. القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٩م.

٨٣. الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٨٤. كتاب العين مرتبًا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٨٥. الكشاف، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وفتحي عبد الرحمن، أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م

٨٦. الكشف والبيان، الثعلبي، أبو إسحق أحمد الثعلبي، تحقيق أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

٨٧. الكليات ،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،، ١٩٩٨م.

٨٨. الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر (٤٩١- ٩٢٣هـ = ١٠٩٧- ١٥١٧م)، محمد حمزة محمد صلاح رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب الجامعة الإسلامية، غزة.

٨٩. لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي،دار صادر، بيروت، د.ت.

٩٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة،٢٠٠٤م.

٩١. مجموعة التوحيد، بشير محمد عيون، مكتبة، دار التوحيد، دمشق، د.ت.

٩٢. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٩٣. المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق محمد منير الدمشقي، الطباعة المنيرية، القاهرة ،د.ت.

٩٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.

٩٥. مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٩.

٩٦. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٢هـ.

٩٧. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨م.

٩٨. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، الفراء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٩٩. المعجم الرائد، جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة ن ١٩٩٢م.
١٠٠. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦.
١٠١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٠٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر العربي، ١٩٧٩م .
١٠٣. مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية،تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ٩، الرياض، ١٩٩٦م.
١٠٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، د.ت.
١٠٥. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
١٠٦. من تاريخ الإلحاد في الإسلام، عبد الرحمن بدوي، سينا للنشر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٣م.
١٠٧. من تفسير وتأملات الآباء الأولين، التكوين، القمس تادرس يعقوب مالطي، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، ١٩٨٣م.
١٠٨. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد القاسم، دار البيان، دمشق، ١٩٩٠م.
١٠٩. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٦هـ .

١١٠. الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم شرح لكل آية، الجزء الثالث، العدد والتثنية، مجموعة من كهنة وخدام كنيسة مار مرقص، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١١١. الموسوعة الكونية الكبرى: آيات الله في الرياح والمطر والأعاصير والبراكين والزلازل، ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨.

١١٢. النظرية المادية في المعرفة "ما هي المادية"، روجيه جارودي، ترجمة محمد عيتاني، دار المعجم العربي، بيروت.

١١٣. النكت والعيون تفسير الماوردي، محمد بن حبيب الماوردي البصري، راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١١٤. النهاية: الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، فرانك كلوز، ترجمة مصطفى إبراهيم فهمي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٤.

١١٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م،.

مواقع الانترنت

١. تسونامي الطوفان يعود، لطف الله خوجة، موقع صيد الفوائد الإلكتروني، ٢٠١٣/٦/١٠، http://www.saaid.net/Minute/١١٠.htm.

٢. غضب الطبيعة على أهل شنكال، خالد تعلو القائدي، موقع الحوار المتمدن الإلكتروني، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid

٣. كارثة جدة والعلاقة بين المصيبة والخطيئة، لطف الله بن ملا عبد العظيم خوجة، موقع صيد الفوائد،

http://www.saaid.net/Doat/khojah/٩٢.htm

٤. منظمة الإغاثة الإسلامية، فعاليات البرنامج التدريبي، موقع ندوة إدارة الكوارث، تصفح في ٢٠١٣/٨/١٤ .http://disasters.momra.gov.sa

٥. التفسير العقابي للكوارث، شهاب الدمشقي، ، مقال منشور على شبكة اللادينيين العرب ٢٠٠٧، ladeenion١.blogspot.com.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات